الشيخ الكامل

محمد بن عيسى



تأليف

أحمد القطعانى

الشيخ الكامل

محمد بن عيسى

تأليف

أحمد القطعانى

بسم الله الرحمن الرحيم

في بيـــوت أذن الله أن تـرفع ويذكر فيـها اسمه يسبح له فيـها بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكـر الله وإقـام الصـلاة وإيتـاء الزكاة يخافـون يوماً تتقلب فيـه القلوب والأبصـار ليـجزيهم الله أحسن مـا عـملوا ويزيدهم مـن فـضله والله يرزق مـن يشاء بغير حساب .

كيف تشرق ذات بانوار النبى ﷺ ولم تفعل ما كانت تفعله الذات الشريفة

محمد بن عيسى

تمهيد

الحمد لله على ما تفضل به علينا من معرفته وتوحيده وألهمنا شكره وتمجيده وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته واليقين بوحدانيته وجنبنا الشرك والإلحاد فى أمره وجعلنا من المصدقين المحبين للهادى إلى صراط محبته المؤمنين بالكتاب ورسالته الآخذين بحجزة أوليائه وأهل محبته.

وصلاتك ربى وسلامك على سيدنا محمد قبلة أرواح المحبين وإنسان عين حياة المخلصين أمينك الشاهد الأعظم ورسولك المشاهد الأفخم، روح ذات الملك والملكوت وبحر أنوار الحكمة والرحموت سرك السارى بتوحيدك فى عالم الوسائط والمعرب بأسرار الذات المنزهة عن المركبات والبسائط صلاة تليق بك منك إليه وتفوق وتفضل جميع صلوات المصلين عليه.

وأنزلنا اللهم بها موطن علمه ومعالمه وقربنا اياه فى علو قدره العظيم ومراتبه وارض اللهم عن أصحابه نجوم الهدى وبدور الاقتداء وآله السادات الأبرار ما تعاقب الليل والنهار وسلم كثيرا ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وبعد

فإن القلب ركن سعادة الإنسان أو شقائه وعليه المدار وبه تجازى الأعمال فقد أودع الله فيه الفرقان وخاطبه بالقرآن وخيبه بالجحود أو أكرمه بالإيقان.

وهو مبعث المحامد والمكارم وجل المحاسن وأساس الطاعة ففى القلب مضغة الصلاح أو الفساد.

وأصل عمران القلب هو الإيمان بالله وطريق سيره الأخلاق والأفعال وهدفه نيل السعادة وبلوغ الآمال ومنهجه المضى على سنن الدين واتباع الشرع الحكيم

ولزوم طريقة الصالحين وآثار العابدين واستقامة أهل الورع والدين من المقتفين لخطى سيد المرسلين ودرس سيرتهم واحتذاء سبيلهم لأنهم انموذج مثل الإسلام العليا ومنائر الحق المثلى إذ هم نصاب الحق ومنهج الصدق.

جعلوا من نبيهم قطب دائرة عبوديتهم يدورون معه كيف دار فظهرت فيهم شيمه الكريمة وبانت عليهم من نفحات هديه أنوار.

فدرس سيرتهم ودروب حيواتهم الشائقة والاقتداء بكمالاتهم اللائقة يؤدى إلى نقش الكمال المحمدى فى صحيفة قلب المؤمن وتزيينه بمحبتهم فيستشعر من أرواحهم القدسية وجمالاتهم الأنسية دواعى الفوز والقرب ثم تنطبع فى أعماله وأفعاله فإذ له مالهم وعليه ما عليهم.

ولهذ الغاية الجليلة فإننا نعطر أنفاس قارئ هذا الكتاب ونعمر مجالسه بسيرة أحد هؤلاء السادة الأماثل وهو الشيخ الكامل محمد بن عيسى.

وأنشر من طيب ريحه وكريم أخلاقه وجميل سجاياه ونبيل شيمه وعظيم هديه ورواء سيرته وحسن ونماء أثره على قدر مرتبة مثلى العاجزة القاصرة لامرتيته الحالية السامية.

وقد اشتهر رضى الله عنه فى المغرب العربى باسم الشيخ الكامل منذ جلوسه للتربية والارشاد فى مكناس، لكمال مرتبته وتمام ولايته، وهى درجة من السمو الروحى والرقى التعبدى تفضل بها الله تعالى على الكثير من رجال الحب والقرب وهى المشار إليها بقوله ﷺ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا اسيه امرأة فرعون و مريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[1].

(1) رواه البخارى ومسلم والأمام أحمد بن حنبل فى مسنده والترمذى وابن ماجه

واشتهر أيضاً لكثرة من تاب على يديه ومن سار بهم من الجهل إلى العلم ومن البعد إلى القرب ومن الانقطاع إلى الوصال والوصل باسم الهادى بن عيسى، وهى هداية الخلق إلى الصراط السوى وراثة من جده سيد المرسلين وخير العالمين ﷺ واقتداء بمنهج السلف الصالح فى الدعوة إلى الله وهداية الخلق إلى طريقه قال سبحانه وتعالى مسندا سبب الهداية للخلق فى شخص سيدهم: **«وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم»** [1].

ثم وبإعجاز إلهى جميل ثنى سبحانه بتبيان أن الهداية والهدى والمهتدى والهادى منه جميعا وإليه فقال: **«صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور»** [2].

وهؤلاء الهداة الصالحون المصلحون لكل أمة منهم نصيب وإن كان جلهم من أمة محمد ﷺ فلأنها خير الأمم ونبيها إمام الأنبياء، وحدثنا الله سبحانه عن بعضهم.

ممن كانوا فى بنى اسرائيل فقال: **«ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»** [3].

ومن أهم صفات هؤلاء الهداة قوة اليقين والصبر على الأخذ والعطاء قال تعالى: **«وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون»** [4].

---

(1) (2) الشورى 52 - 53.

(3) الاعراف 159.

(4) السجدة 24.

وحض سبحانه على اتباع هؤلاء المهتدين والسير على نهجهم وسلوك دربهم فقال: «**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**»[1].

ثم بين جل فى علاه أن الهداية والضلال فى يده مهما بلغ من نصح الهادين وجدهم فقال: «**ومن يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون**»[2].

واشتهر كذلك بلقب فحل الرجال دلالة على عظيم مكانته وكريم منزلته بين الأولياء والصالحين إذ الفحل هو مجرى الماء الكبير الذى تتفرع منه الروافد وهو تشبيه جميل غنى بالدلالة على تغلغل حب الشيخ فى قلوب المسلمين فى هذه المنطقة المباركة وإجلالا لقدره ومرتبته.

وقد أصبحت هذه الألقاب الثلاثة علماً عليه رضى الله عنه بل وكادت تطغى على اسمه وكنيته.

وهو مؤسس الطريقة العيساوية الشاذلية التى خرجت فطاحل العلماء وأئمة أهل الصلاح والتقوى ورسل دعوة التوحيد الإسلامية النقية وأبطال معارك الجهاد، وليوث النزال فى ساحة الوغى وأرباب القيام والمجاهدات فى ساحة الأنفس وحراس العقيدة والمدافعين عن بيضة الإسلام بالسيف والقلم واللسان.

وكتابنا هذا يتحدث عن هذا العلم الشامخ الجليل والرمز الإسلامى الراسخ النبيل وسيرته وأشياخه وطريقته ومنهج التربية والسلوك بالمسلم إلى رياض الانس فى حضرة القدس.

---

(1) الانعام 90.	(2) الاعراف 186.

ولا أخفى أننى خصصت بروائح هذه السيرة وعابق شذى هذه الطريقة المستنيرة أهل الله فقط من السائرين فى الطريق وعلى منهج أهل الحق والتحقيق والمحبين الصادقين.

جواهر لا تلقى بكل خزانة ترى من رآها واله العقل مبهوتا

فدارت كؤوس بعد ذا حين شاهدوا جمالا لمولى بالكمالات منعوتا

ولم تسقها ليلى وسعدى وعزة ولا ذا قها من لم تذق نفسه موتا

ولذا تجنبت جهدي الخوض فى إيراد الأدلة وإثبات البراهين على ما اكتنفته هذه الصفحات من أمور يعرفها أرباب القلوب ويجهلها أهل المساوى والعيوب من الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون القاسية قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأثاروا بين المسلمين الفتنة والتشرذم بباطل مفاهيم وساذج معلومات وتافه ثقافات ففى كتابنا الحجة منها ما يزيد عن الحاجة لمن كان يطلب الحق وينهج العدل.

ألا يعلم هؤلاء أن السعى لجمع كلمة المسلمين من أعظم القربات وأن تشتيتها من أكبر الجنايات، وأن الانسان محاسب على كل كلمة يتفوه بها وفعل يتحرك به، ألا يرعوى هؤلاء عن هذا الغى ويكفى ما أصاب ولازال يصيب بلاد الإسلام والمسلمين من التشرذم والتفتت بسبب التعصب لمذهب بعينه وتخطئة ما سواه.

وإن كان هناك من خلاف فى وجهات النظر وتباين الأراء فيكون التعامل معه على أساس أنه ظاهرة صحية تثرى تجارب المسلمين وتدعم تقدمهم ورقيهم وتنوع ثقافتهم وتطور فكرهم.

مع مراعاة أنه لاعصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ فأصبح الكل مجتهد مما لا يوجب مزية لعالم عن غيره إذ لكل مجتهد نصيب فإن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله اثنان وأن هذا التشنج والتعصب وهذه السوداوية هى خدمة مجانية تقدم عن طيب خاطر لأعداء أمة الإسلام.

ولنا فى السلف الصالح القدوة الحسنة والأسوة المثلى.

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مؤتلفين متفقين متصفين بكل الفضائل خالين من كل الرذائل ومع هذا تنازعوا فى فروع الشريعة من طهارة وصلاة وحج ونكاح وفى قراءات القرآن الكريم وكلهم أخذوا عن رسول الله ﷺ.

واختلافهم محمود ورحمة للأمة، وقد أخذ كل عالم مجتهد عنهم ماراه أكثر صوابا فأصبح التعصب لهذا المجتهد تعصباً لواحد من الصحابة ورفض للباقين ولما أخذوه عن رسول الله ﷺ وتعرضاً لغضب الله ورسوله ﷺ الذى قال: «**الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى**»[1].

وهو سبيل أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنهم مذمومون خارجون على أحكام الشرع ومن فعل فعلهم فهو منهم.

ثم إن المتعصب لرأى واحد لا غير يراه حقا ويذم ما سواه هو بالضرورة جاهل بالراى الآخر ويقدر الآخرين الأمر الذى يؤدى به إلى الظلم والله سبحانه يأمر بالعلم والعدل وينهى عن الجهل والظلم.

وكل ما أصاب بلاد الإسلام من فتن واضطرابات وتمكن للاجنبى منها هو بسبب التفرق والتشرذم وفى الوقت الذى يسعى فيه الغرب لتوحيد اختلافاته

---

(1) الترمذى.

وجمع شمله ليعلن الدولة القارية الواحدة التى تجمع كل التناقضات ولا يجمعها إلا هدف بسط سيادتها على غيرها، لازلنا نجد نحن من يكفر أخاه ويحاربه ويسفه رايه ويقاوم حجته لأسباب من الممكن تسميتها بكل اسم ما خلا الخير للإسلام والمسلمين.

لقد نهى الله سبحانه ورسوله عن الاختلاف وكل هؤلاء المتعصبون المتبعون للباطل وما تهوى الأنفس عبدة أهوائهم لا غير ومهتدون بغير هدى الله ورسوله ومستحقون للذم ومستوجبون للعقاب نسأل الله لنا ولهم الهداية والمغفرة.

أقول: إن التصوف منهج الأبرار ومرفأ الأمان وهو أعظم طرق السير إلى الله تعالى وهو طريق كله جد واجتهاد وقوة إيمان وسعة علم وكثرة عمل وأخلاق جميلة ومعاملة حسنة ورعاية لحدود الله، وتنتهى كلها فى أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والشيخ الكامل من سادة أهل الطريق بهداية الله فكان من الذين هم خير عباد الله لخلق الله هاديا مهتديا داعيا إلى الله تعالى عن بصيرة، وخير العباد وأنفعهم من جمّله الله تعالى بقوة الإيمان ومعرفته سبحانه وبعلم حكمته وأيامه وأحكامه وهذه صفة الفرد الوارث المحمدى وهو السعادة العظمى لمن سلم له وحصن الأمن لمن اقتدى به لأنه الصورة الكاملة لرسول الله ﷺ والخليفة القائم لله بالله، مجدد الدين ومقيم الحجة ومبين المحجة.

ويليه رجل منحه الله الورع فى دينه والخشوع فى عبادته، ويليه رجل منحه الله الرحمة فى قلبه والشفقة على عبادته، ويليه رجل ذكى الله نفسه حتى ذلت فى عينه وطهر أخلاقه، وكل هؤلاء يجمّل المريد على يديه بما جمّله الله به.

وكل مسلم لا يتربى على يد شيخ عارف لا يذوق لذه الإيمان ولا لذة التقوى وربما اغتر بأعماله فأفسد ابليس عليه حاله وكم سالك زلت به قدمه وواصل ارتد عن وجهته حفظنا الله سبحانه بما يحفظ به عباده الصالحين.

فالشيخ حصن الأمان من وسوسة الشيطان وخدع النفس وبه نيل الرقى إلى مقامات اليقين ومنازل الواصلين.

والشيخ الكامل من أهل الطريق الذين سلكوه وعرفوه بهداية الله سبحانه فكان هاديا مهتديا داعيا إلى الله على بصيرة، اجتمعت فيه كل هذه الصفات وتجلت عليه كل هذه المكرمات فكان بحق الشيخ الكامل الهادى.

وهذا الكتاب عنه وعن طريقته لايفى حتى بمقدار الذرة من قدره ومكانته وجميل محاسنه الفائقة وكمالاته الخارقة ولكنه قبس من نور وقطرة من بحر.

وأمسى وأضحى ذا شجون بسادة بهم مغرم قلبى وعنهم أسائل

وإن لاح برق أو نسيم من الحمى سرى هاج أشواقا بها الدمع سائل

لهم فى المعانى والمعالى مناقب بها هم أولاء السابقون الأوائل

سوى حبهم فى الله والحب كافل بحسن الجزاء والله نعم المعامل

والله الموفق القدير بكل شئ خبير نعم المولى ونعم النصير.

المغرب العربى حتى القرن التاسع الهجرى:

وهى المنطقة المرتفعة الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط فى الشمال والصحراء الكبرى فى الجنوب والمحيط الأطلسى غربا وبرقه وواحة سيوه شرقا.

وكان اليونان يطلقون عليها اسم ليبيا وتمتد من مصر حتى المحيط الأطلسى وكان للرومان فيها ولايات نوميديا وموريتانيا وأفريقيا ويسميها العرب جزيرة المغرب أو المغرب اختصارا.

وننعم اليوم فى المغرب العربى بتوحيد الخالق الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والتصديق برسوله ﷺ، ونمتع أجسادنا وأرواحنا بالامتثال للأوامر الإسلامية الكريمة من صلاة وصوم وحج ونرتع فى رياض القرآن الحكيم وربيع سوره الكريمة وجنان آياته المعجزة العظيمة بفضل الله سبحانه ثم بفضل أولئك الفاتحين الأوائل الذين حملوا راية الإسلام إلى أقاصى الصحراء وأطراف المعمورة.

فإنه وبعد انتقال النبى الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى قام الخلفاء الراشدون الهادون المهتدون بتجييش الجيوش وبعث الجنود لفتح البلاد وهداية العباد.

فدخلت جيوش الإسلام المنصورة الفاتحة برقة واطرابلس سنة 643 م وفى سنة 647 م قامت بالزحف على سبيطلة وقضت على جيوش الروم وجرجير البطرق وفى سنة 675 م أسس القائد العربى عقبه بن نافع مدينة القيروان، وفى سنة 681 م قام بتجريد حملة مر فيها بلميس وتاهرت وسبته وطنجه ووليلى ونفيس وتارودنت فى أقصى منطقة السوس إلى أن بلغ شاطئ المحيط الاطلسى.

وأكرمه الله بالشهادة فى تهوذه فى جنوب قسنطينة سنة 683 م. وفى سنة 711 م دخل طارق بن زياد الأندلس أعادها الله.

ثم اجتازت الجيوش الإسلامية جبال البرنات وحتى بواتييه فى جنوب فرنسا حيث اصطدمت هناك بشارل مارتل سنة 732 م، وكان لبعدهم عن إمداداتهم وطول خطوط الإسناد أن توقف زحفهم التوحيدى المجيد بعد أن فتحوا جنوب فرنسا وكامل البرتغال وأسبانيا وبقوا بها حتى سنة 1492 م.

ولم يكن غريبا أبدا أن يهرب الناس بجلودهم من ظلمات الشرك إلى انوار التوحيد ويهجرون الاعتقادات الباطلة الزائغة التى حشت النصرانية بها عقول خاصتهم والقائمة على أساس اعتقاد أن لله ولدا وزوجة وما إليها، وما كان ينتشر عند عامتهم من طوطمية ووثنية فنجد أن الإسلام استطاع بأسلوبه البسيط المتفق مع فطرة الله التى فطر الناس عليها أن يكون هو الدين الواحد لكافة الشمال الأفريقى.

ولكن حدث بعد القرن الثانى الهجرى أن امتد نشاط بعض الفرق الإسلامية التى تلجأ إلى العنف فى نشر رأيها إلى المغرب بعد أن ضيق عليها فى المشرق لبعده عن نفوذ الخلافة.

وابتدأت الفتن بمقتل عمربن عبدالله والى طنجة سنة 122هـ- 740 م، ونستطيع أن نجزم بأن ذلك التاريخ يعتبر ميلاد الشقاق والاضطرابات بين أبناء الدين الواحد والعقيدة الواحدة فى المنطقة.

وفى نهاية القرن الثالث الهجرى قام المهدى بن عبيد الله بتأسيس الدولة العبيدية والتى تسمى أيضاً بالفاطمية فى القيروان ثم بنى المهديه جنوب المنستير وجعلها عاصمة ملكه.

وقد قامت الدولة العبيدية على عقائد ضالة مضلة منها اعتقاد ألوهية الحاكم الفاطمى وبث الكثير من الأفكار المنحرفة التى تروج لهذه الترهات، وسب النبى ﷺ- حاشا جنابه الأرفع الأقدس- وأزواجه وصحابته باستثناء على بن أبى طالب والمقداد وعمار بن ياسر وسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى، وزعم أن الصحابة ارتدوا بعد الرسول ﷺ.

ناهيك عن القسوة الشديد وإنزال أشد العقوبات بالرعية لأتفه الأسباب حتى إن ابن عذارى قال: إنهم اضرموا ناراً شديدة لبعض من وقعوا بأيديهم ببرقة وقطعت لحومهم وشويت ثم أمروا باكلها مشوية ثم قذف بهم إلى النار [1]، والكثير غير هذا.

خلا الثورات والانقلابات والحروب والمجازر الدموية الرهيبة كثورة أبى يزيد صاحب الحمار سنة 943- 947م وثورات الخوارج المتتالية، وثورة المرابطين وثورة الموحدين وبنى حفص وبنى عبدالواد وبنى مرين.

ولم يقتصر الأمر على الفتن والاضطرابات السياسية والتنكيل والتشريد الاجتماعى والحروب الطائفية بل تجاوزها إلى أمور العقيدة وشئون الدين فإن رجلا يسمى صالح بن طريف من قبيلة برغواطه التى كانت تقيم بباديس ومكناس ودمنه ادعى النبوة وأتى بديانة استمرت بعد موته لفترة طويلة جداً وادعى أنه تلقى من الله قرآنا مؤلفا من ثمانين سورة يحمل بعضها أسماء مضحكة مثل: سورة الجمل وسورة الديك وسورة غرائب الدنيا وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة هاروت وماروت، واعتنقت كل قبيلة برغواطه هذه الديانة المزعومة.

---

(1) انظرا هذا بتوسع فى كتاب البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب ابن عذارى المراكشى جـ 1 ص 170.

وقام هذا الكذاب بتشويه الشعائر الإسلامية ومسخها فنجد الوضوء يبدأ بغسل السرة والخاصرتين، وألغى الأذان والإقامة، وزيدت الصلوات من خمس إلى عشر خمس بالليل وخمس بالنهار، وبالصلاة ثلاث سجدات متتالية، وبعضها إيماء بلا سجود ويرفعون جباههم وأيديهم على الأرض مقدار نصف شبر، ولا تكبير عندهم وتكون أيديهم مبسوطة على الأرض طوال ما يتشهدون والتلاوة أثناء الصلاة يكون نصفها أثناء القيام ونصف أثناء الركوع، وقدمت صلاة الجمعة إلى الخميس قبل الصبح وبدل شهر الصوم من رمضان إلى رجب، وعيد الأضحى صار فى الحادى عشر من محرم.

وحرم عليهم أكل رؤوس الحيوانات وأكل السمك إلا إذا ذكى وحرم عليهم البيض ولا يأكلون الدجاج إلا مضطرين وحرم الزواج من ابنة العم وبالمقابل لا يوجد تحديد لعدد الزوجات ولا لعدد الطلقات.

وفى سنة 925م ظهر نبى آخر فى غمارة يسمى حاميم بن أبى خلف بن جفوال، وأتى هو الآخر بقرآن جديد وبعكس نبى برغواطه فقد أسقط نبى غماره الطهارة أصلا ولم يبق من الصلوات إلا صلاة الصبح والمغرب ويكون سجودهم على بطون أكفهم، وفرض صوم الاثنين والخميس إلى الظهر وصوم الجمعه وعشرة أيام من رمضان ويومين من شوال ومن أفطر يوم الخميس عمدا فكفارته أن يتصدق بثلاثة ثيران ومن أفطر يوم الاثنين فكفارته أن يتصدق بثورين، وأحل لهم أكل أنثى الخنزير بحجة أن محمداً حرم ذكر الخنزير فقط على أتباعه.

وظهر نبى آخر يسمى عاصم بن جميل اليزد جومى وشرع دينا وعبادات، وظهر أيضاً مؤذن تعيس من نواحى تلمسان ادعى هو الآخر النبوة وتأول القرآن على غير وجهه وكان من أصول ديانته أنه ينهى عن قص الشعر وتقليم الأظافر ونتف الإبط والاستحداد وأخذ الزينة ويقول: لا تغيير لخلق الله.

وظهر نبى آخر يسمى أبو الطواجن وشرع هو الآخر ما شرع من شعوذة وكفر. هذا من الناحية الإجتماعية والسياسية والدينية.

أما من الناحية العلمية فإنه وبانتهاء دولة الموحدين خبت شعلة العلم وأصبح التعلم لا يعنى أكثر من حفظ بعض المتون ودراسة الحواشى والتقريرات بدون الرجوع غالبا إلى الأصول من قرآن وحديث شريف.

وشاء الله تعالى أن تضيع بلاد الأندلس ويفقدها المسلمون وانعكست الأحوال وأصبح النصارى هم الذين يقومون بالإغارة على الشواطئ الإسلامية، بل واستولوا على تطوان فى سنة 1399م، ثم سبته سنة 1415م، ومليله سنة 1418م، وطنجه واسيله سنة 1470م، وأسسوا مزعان سنة 1506م، واستولوا على صافى سنة 1507، وازمور سنة 1516م، وهاجموا وهران وبجايه سنة 1509ك، والجزائر ودلس واطرابلس سنة 1510م.

وبسط الأسبان سيطرتهم على تلمسان ودولتها وكانت قد تضاءلت وصار أمراؤها المسلمون يدينون بالولاء لملوك أسبانيا سنة 1512م، وكذلك احتل الايطاليون ميناء جيجل سنة 1514م.

وكثر الفساد فى الحكم والحكام وشاعت الخيانه واستنجاد الولاة بالنصارى على بعضهم البعض حتى إن السلطان الحفصى طلب حماية الملك شرلكان.

وكان من الطبيعى أن تؤثر كل هذه المعطيات على الناس وتمس أخص شئون حياتهم وأمور معيشتهم فكثر الزيغ والزندقة وفقد الاستقرار والاطمئنان وتبعه بالضرورة التشتت والانحلال السياسى والاجتماعى.

أما من الناحية الدينية فتسود عادة فى مثل هذه الظروف السيئة السطحية العلمية والانحراف عن أوامر الشرع الكريم والاهتمام بالمصالح الخاصة والمارب الضيقة على حساب المثل العليا والمبادئ السامية.

وكان أن أخذ المجتمع الإسلامى يبحث عمن يرشده ويأخذ بيده من إفك مدعى النبوات، ويقوده ويوحد صفوفه ضد غزاة البحر ويريه سبل مكارم الأخلاق ويطفئ نار الفتن بين أبناء الجلدة الواحدة واللسان لواحد والجنان الواحد.

ولم تكن صفات هذا المرشد تتوفر إلا فى السادة الصوفية فهم العلماء العاملون وهم دائماً نصحاء الأمة المشفقون، وهم الذين يعملون لله لا يبغون عن عملهم جزاء ولا شكورا بل ابتغاء وجهه سبحانه وتعالى حراس العقيدة الأمناء وحملة مشعل التوحيد الأصفياء الأتقياء.

دور الصوفية فى نهوض المجتمعات الإسلامية:

التصوف- أخى المسلم قبلنى المولى وإياك- أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة، والصوفى كالأرض يطرح عليها قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح، والصوفية هم قوم أثروا الله تعالى على كل شئ فأثرهم على كل شئ.

وصفحات التاريخ ملأى بالجهاد الصوفى المجيد جهاد العدو وجهاد النفس وجهاد المسئولية الواعية، وكأس شرفهم مترعة حتى الثمالة بمحاربتهم ومخالفتهم لذوى المآرب الضالة والمقاصد الزائغة كما فعل الشيخ عبدالسلام من مشيش مع مدعى النبوة أبى الطواجن.

قال صاحب الاستقصا: (توفى الشيخ أبو محمد عبدالسلام بن مشيش شهيدا بجبل العلم من جبال غمارة وقبرة هناك مشهور أعظم مزارات المغرب وكان سبب شهادته أن محمد بن أبى الطواجن الكتامى كان قد ثار بتلك البلاد وانتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة حسبما سلف وتبعه على ضلالته طغاة غمارة والبربر.

فكان عدو الله يغص بمكانة الشيخ رضى الله عنه لما آتاه من شرف التقوى والاستقامة المؤيد بالشرف الصميم والعنصر الكريم فسول له الشيطان أنه لا يتم أمر مخرقته فى تلك الناحية إلا بقتل الشيخ فدس له جماعة من أتباعه وأشياعه فرصدوا الشيخ حتى نزل من خلوته فى سحر من الأسحار إلى عين هنالك قرب الجبل المذكور فتوضأ منها وولى راجعا إلى محل عبادته وارتقاب فجره فعدوا عليه وقتلوه.

ومن الشائع أنه القى عليهم ضباب كثيف ضلهم عن الطريق ودفعوا إلى شواهق تردوا منها فى مهاو سحيقه تمزقت أشلاؤهم ولم يرجع منهم خبر)[1].

وعندما اشتدت الهجمات النصرانية على سواحل مراكش وتخاذل الحكام وتقهقر الولاة وتقاعس المسئولون المناط بهم مسئولية أمن الأرض والسكان توجهت أنظار المسلمين إليهم والتمست النجاة على أيديهم فقاد سيدى عرفه شيخ الطريقة الشابية تلميذ الشيخ أحمد بن عروس المقاومة من سنة 1538م إلى سنة 1542م، والشيخ عبد الله بن المبارك تلميذ الشيخ الجزولى الذى لجأ إليه المسلون ليكون على رأسهم لصد الهجمات الصليبية.

ومنذ الغارات الأولى للنصارى على السواحل تزعم السادة الصوفية الجهاد بالسيف ورص الصفوف وتهيئة العدة وما استطاعوا من قوة ورباط خيل.

وكانوا هم دائما الدعاة إلى مكارم الأخلاق وحميد الصفات لا يخافون فى الله لومة لائم يأخذون بأيدى الناس وقلوبهم إلى حضرة علام الغيوب، وكم من ضال هداه الله على أيديهم، وكم من منحرف استقام ببركة مجالستهم، وكم من عاص صلح بصحبتهم، ديدنهم الأخلاص والصدق وأسلوبهم البر والرفق، بسطاء متسامحون مع عوام المسلمين وضعفتهم وأقوياء متعالون مع الظلمة والجبابرة، وإن منهم إلا ومجلدات التاريخ تشهد له بالتبجيل والتعظيم كشيخ الشهداء عمر المختار والأمير عبدالقادر الجزائرى والشيخ الدرقاوى والشيخ الحراق والشيخ ابن عجيبه والشيخ المقرانى والشيخ حداد ومن قبلهم الإمام الشاذلى والمكرم البدوى والقطب عبد السلام الأسمر.

وغيرهم ممن يخرج عدهم عن الحصر.

---

(1) الاستقصا فى اخبار المغرب الاقصى الناصرى جـ 2 ص 263.

وكانوا ولازالوا هم دائماً العلماء العاملون الناشرون المعارف الدين وسنن الإسلام وشرائع الحنيفية السمحاء والمحجة البيضاء التى ليلها كنهارها بأساليبهم المعروفة عنهم والمتمثلة فى الأسوة الحسنة والصبر وقوة الحجة والإخلاص والصدق.

وكان من الطبيعى أن يكون السادة الصوفية فى صف الدفاع الأول وفرقة الهجوم الأمامية لصد غزاة البحر وتهيئة مجاهدى البر فكان أن تهيأت الطرق الصوفية منذ لحظات الخطر الأولى لهذه المهمة الجسيمة وتنظيم الجهاد على الجبهتين الداخلية والخارجية وتعبئة المسلمين روحيا وماديا.

ومن هنا نفهم السبب فى انتشار الزوايا الصوفية فى المغرب العربى فى القرن الثامن الهجرى والذى يليه من أدناه إلى اقصاه ونأخذ الطريقة العيساوية كمثال فإنه لم تمض على وفاة الشيخ الكامل مائة سنة إلا وزواياها منتشرة فى كل بلاد المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس، ولتبنى أول زاوية فى اطرابلس فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى على يد العالم الفاسى محمد بانون الحسنى الشريف وبعدها بقليل الزاوية الصغيرة بالقرب منها.

ولتغطى هذه البقاع المباركة معاهد العلم ومنابت الصالحين ومراكز الإشعاع الإسلامى الحضارى حتى المدن والقرى الصغيرة.

وقد عرف الولاة فى تلك الفترة الحرجة ما يكتنفهم من خطر خارجى وفساد داخلى وكانوا بين مؤيد لها خائن لواجبه وانتمائه، ومخلص لدينه عارف بمسئوليته تجاه رعيته وكان من هؤلاء والى درنه المصلح محمد باى المتوفى سنة 1110هـ- 1696م، الذى بنيت فى عهده أول زاوية عيساويه سنة 1685م على يد الشيخ المبروك بوطلاق رحمه الله.

ثم تكاملت

يقول الأستاذ هاشم العلوى مؤرخا لفترة اشتداد الهجمات على شواطئ المغرب العربى: (وقد تبنت الطريقة الجزولية حركة المقاومة المغربية ضد البرتغاليين المحتلين للشواطئ المغربية)[1].

وقد كان الإمام الكبير والقطب الشهير سيدى محمد بن عيسى على رأس هؤلاء فهو وارث سر الطريقة الجزولية وحامل لواءها وإمام مدرستها وأستاذها الأكبر بعد مؤسسها الذى بشر به قبل مولده بقوله لتلاميذه ومريديه: (ياأبنائى إن الطريقة لن تسمى بى ولا بكم فصاحبها لم يولد بعد) فى إشارة واضحة جلية للشيخ محمد بن عيسى رضى الله عنه زادها بما تركه له عند كبار مريدية من وصايا وأسرار ومواهب.

وإذا علمت أن الشيخ الجزولى توفى سنة 870 هـ وأن الشيخ محمد بن عيسى ولد بعده بسنتين أيقنت أن لله أسرارا أو وعها فى قلوب من أراد من خلقه وعلمت أن مقام الشيخ ابن عيسى مقام شريف عالى منيف لا يطال ولا يرام وإلا لما خص بالوراثة دون معاصرى الشيخ والآخذين عنه مباشرة.

وللمؤمن فراسة لا تخطئ فكأن هذه المنزلة السامية الرفيعة لم تخلق إلا للشيخ محمد بن عيسى ولم يخلق إلا لها فكم ربى من مريد وهدى الله على يديه من آلاف المسلمين إلى طريق الحق والرشاد والخير والسداد فإذ القلوب تستيقظ بصحبته وإذا بالدنيا تضمحل فى عيون من أكرمهم الله برفقته، وإذا بصيحة العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح تدوى عالية مجلجلة من مجالسه، ولا زالت هذه المبادئ العظيمة والشمائل الكريمة الكريمة ظاهرة وباطنة فى اتباع طريقته أبنائه وأحبائه الحاملين لشعلة العلم واتباعه بالعمل الرافعين لراية الصلاح والتقوى منذ ما يزيد عن أربعة قرون وإلى ما شاء الله تعالى.

---

(1) مقدمة تحقيق كتاب التقاط الدرر هاشم العلوى القاسمى ص 99.

وبحمد الله ما إن انتشر التصوف فى المغرب العربى حتى اختفت العقائد الزائغة والأفكار الهدامة، ولازال السادة الصوفية بالمجتمعات الإسلامية ينقونها مما دس فيها ويحاربون البدع والأهواء لا يهمهم أن يبذلوا أرواحهم بعد الغالى والرخيص فى سبيل مثلهم العليا ومبادئهم السامية.

فاختفت بتوفيق الله على أيديهم المباركة مظاهر الكفر والارتداد وادعاء النبوات وذهبت ببركة وجوههم النيرة مظاهر الجهل والانحلال ليحل محلها العلم والإيمان وملئت الرباطات والثغور بأجسادهم الشريفة وكفت الهجمات التنصرية بصدورهم الكريمة، وإن المار على طول ساحل المغرب العربى ليقف إجلالاً لشهداء الرباطات المتناثرة به من رباط أبى عزه بدرنه إلى رباط أبى خريبيش ببنغازى والشعاب والهدار والمصرى والأندلسى وأبى شعيفة وإلى المحيط الاطلسى غربا بدون توقف، ولهذا أصبح اسم (المرابطون) علما على السادة الصوفية فى المغرب العربى.

ناهيك عن دعوتهم الأخلاقية ودورها فى خلق الأسوة الحسنة والقدوة المثلى التى احتذاها وسار عليها الآخذون عنهم والسائرون على نهجهم بل وحتى عموم معاصريهم.

ولا ينكر فضل السادة الصوفية إلا جاحد مكابر أعمى البصيرة قاسى القلب فاقد للمقدرة على السمع والبصر والفهم ومثل هذا لا تثريب عليه إذا الكلام مع الجدار الاصم قد يكون أكثر فائدة من الكلام معه. **«مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون».**

الشيخ الكامل

محمد بن عيسى رضى الله عنه

قال فى تاريخ المغرب المسمى اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس: محمد بن عيسى الفهدى بفتح الفاء وسكون الهاء وبعدها دال مهملة السفيانى الأصل المختارى النشأة المكناسى الدار والاقبار [1].

والذى يهمنا من هذه الرواية هوضبط نطق الاسم والإفنسبة الشيخ رضى الله عنه إلى قبيلة سفيان لا تصح فالمعروف أنه من أولاد أبى السباع وإن كان قد قضى فترة من سنى شبابه المبارك بيت السفيانيين وقضى مع الشيخ الحارثى مدة ليست بالقليلة وهو من قبيلة سفيان فربما ظنه البعض لهذا السبب سفيانيا، وكذلك لتصويب من ينطقه الفهرى (بالراء). وقد لقب بالفهدى لأن الفهود والسباع كانت تستأنس به وسيأتى شئ من هذا إن شاء الله تعالى.

وقد ولد رضى الله عنه سنة 872 هـ وذكر غير واحد من المحققين أن القطبانية العظمى منحت إليه وهو فى المهد، وقد أوتى الحكم فى الصبا العديد من الأنبياء والأولياء.

ونشاء عند أخوا له فى بطن من قبيلة بنى حسن يسمى مختار، وكان والده السيد عيسى بن عامر رجلا صالحا من أهل العلم والتقوى طيبا مباركا يسمو بنسبه إلى السادة الأشراف المقيمين بسوس الأقصى بالمغرب المعروفين باسم أولاد أبى السباع، وقد حل ببنى مختار وتزوج بسيدة كريمة منهم تسمى مريم وتنسب لقبيلتها فيقال مريم المختاريه وانجب منها الشيخ الكامل فتعلقت

(1) اتحاف اعلام الناس فى جمال اخبار حاضرة مكناس عبد الرحمن بن زيدان جـ 4 ص 11.

قلوبهم بحسن شمائله وبالغوا فى الحفاوة به والحدب عليه ومازالوا به ليسكن إليهم وينعمون بوجوده المبارك بين ظهرانيهم حتى لسر إراده الله تعالى نزل على رغبتهم.

ونشأ ابنه السيد محمد بن عيسى بين هؤلاء الطيبين المحبين أخوا له بنى مختار فى بطن منهم يسمى بنى سحيم محبوبا معظما مهابا مكرما لا يقاس بتعلقهم به تعلق ولا بمحبتهم له محبة حتى إنهم أصبحوا فيما بعد من أكثر أتباعه وأشد الناس تفانيا فى محبته حتى إنه رضى الله عنه شرفهم بقوله: أهل سحيم أعز على من أولاد صلبى.

وكلهم كانوا من أتباعه والمحبوبين عنده وكانوا يفدون عليه لزيارته والاجتماع به والأخذ عنه وقد جاءوه مرة فى شهر ربيع الأول للاحتفال بمولد النبى ﷺ على عادة الشيخ طوال حياته والتى سار عليها أتباعه من بعده إلى وقتنا هذا. فأمر الشيخ بإعداد الطعام لهم وإنزالهم بدار كبرى بازاء داره.

ثم إن الشيخ دخل داره فوجد أهله فى غاية التعب والضعف عن القيام بحق كل من يأتي لزيارته فنظر إليهم وقال: جعل الله البركة فيكم وفى طعامكم وندعو الله سبحانه وتعالى أن يأتيكم بالمعين ممن يقوم بطبخ طعام الفقراء الوافدين إلينا إنه على ذلك قدير.

وبعد ثلاثة أيام قدم رجل من أهل فاس واستأذن فى الدخول على الشيخ وقال له: ياسيدى أنا رجل ذو تجارة على أرض السودان، ولك عندى أمانة وهى أربعة وعشرون عبدا ذكورا وإناثا أرسلهم لك معى حاكم السودان، فسأله الشيخ قائلا وكيف ذلك؟ فقاله له: كنت مسافرا فى بلاد السودان بقصد التجارة. وقد طالت إقامتى هناك، فلما قضيت اشغالى وأردت الرجوع إلى وطنى أتانى رسول من طرف حاكمهم وأمرنى أن أتوجه إليه.

فدخلت عليه ورحب بى وأمرنى بالجلوس فجلست وأكرمنى غاية الإكرام ثم قال: بلغنى عنك أنك مسافر إلى وطنك فقلت له: إن شاء الله تعالى فقال: عندى إليك حاجة، وهى أمانة الله عندك أريد إرسالها معك إلى مولانا وسيدنا محمد بن عيسى المكناسى، وأريد من فضله وإحسانه قبولها على وجه الهدية، وتطلب لنا منه الفاتحه والدعاء الصالح. فقلت له: يكون لك ذلك إن شاء الله تعالى، ثم رجعت إلى محلى فلما قرب السفر أرسل إلي العبيد وما يكفيهم من الزاد.

فأحضرهم وأعان الله تعالى بهم الشيخ على إكرام الوافد والبر بالأضياف كما دعا.

ولم يقتصر بره وجميل وده على بنى سحيم بل كل أخواله من بنى مختار الذين صحبه منهم الكثيرون وفازوا بصحبته والأخذ عنه فكان لا يرد لهم طلبا إجلالا لقرابتهم وتعظيما لنسبتهم، وكانوا من خيرة أصحابه وصفوة تلاميذه وبصحبتهم حفظ الله لنا الكثير من الروايات عن الشيخ الكامل، ونقلوا لنا مأجورين إن شاء الله آداب الطريق ومناهج السلوك، ولقربهم وملازمتهم له أكرمهم الله بأن أراهم من كرامة أوليائه وخوارق ما يجريه على أيدى أصفيائه الكثير.

تحدث السيد محمد بن عمر بن داود المختارى[1] رضى الله عنه عن

---

(1) السيد محمد بن عمر المختارى: من أخوال الشيخ وخواص أصحابه، وكان شيخ تربية وسلوك أثناء حياة أستاذه وعلى منهجه واشتهر بأن أهل بيته كانوا من أتباع الشيخ الكامل وسيأتى أنه جمعه بسيدنا الخضر عليه السلام، وكان يمشى فى الشفاعات إلى الشيخ لمنزلته وقربه فكان لا يرده وكانت له أحوال من الجذب تغلب عليه، توفى سنة 975 هـ تقريبا ودفن باحروا على بعد مرحلة من مكناس قرب وادى الكل.

السبب فى دخول الشيخ أحمد بن عمر بن المبارك الحصينى الطريقة وكيف صار من أصحاب الشيخ رضى الله عنه ومن أهل الولاية والعناية فقال:

كان الشيخ أحمد الحصينى من أهل الفقه وقدم ذات يوم على الشيخ الكامل وأنا جالس بين يديه وبكى بكاء شديدا فسأله الشيخ عن سبب بكائه فقال: إنه رأى والده الذى مات منذ مدة يسيرة فى المنام يعذب فى قبره وإنه أمره فى الرؤية بالمجئ إليه عل الله يخفف عنه العذاب ببركة دعائه فبسط الشيخ كفيه وقال: اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد صاحب الجاه العظيم عندك أن تخفف عن والده العذاب، وأمن من حضر على دعائه.

فقام مسرورا وايقن بالفرج لما هو مشهور من إجابة دعاء الشيخ رضى الله عنه، وعاد بعد ثلاثة أيام ليصلى الصبح مع الشيخ ويقول بعد انقضاء الصلاة وعلامات الانشراح بادية عليه: يا سيدى البارحة أيضا رأيت الوالد وهو فى غاية السرور وعليه عباءة خضراء وقال لى: يا ولدى لقد رفع عنى العذاب والحمد لله.

وتحدث السيد موسى بن عمران المختارى وكان من خواص الشيخ ومن مشائخ القوم فى التربية فقال: حضرت يوما عند شيخنا سيدى محمد بن عيسى وقد جاءته امرأة وكانت من معارفنا وطلبت الإذن فى الدخول عليه فأذن لها فدخلت وسلمت، ثم تأخرت، وكانت من الصالحات وقالت: ياسيدى أنا امرأة غريبة من مدينة طنجة ولى ولد واحد ليس لى غيره وقد اسره الإفرنج وبكت شوقا لولدها فصبرناها ورق لها قلب الشيخ من الرأفة والحنانة التى أودعها الله فى قلبه فبسط يديه وقال:

اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك أن تخلص ابن هاته المرأة من الأسر بفضلك وإحسانك.

ثم قال لها يا أمة الله: اعلمى أن الله قادر على خلاص ابنك فارجعى إلى بلادك وادخلى دارك فتجديه هناك إن شاء الله تعالى.

فخرجت المرأة وذهبت إلى دارنا وباتت عندنا وسافرت فى الغد إلى بلدها فلما دخلت دارها وجدت ابنها هناك كما قال الشيخ رضى الله عنه ففرحت وسألت ابنها عن كيفية خلاصه من أسر الافرنج ومن أتى به إلى الدار فقال:

ليس عندى من العلم شئ غير أنى كنت نائماً وعلى حارسان ويداى مقيدتان فاستيقظت لاجد الحارسين نائمين وإذ برجل قد دخل على ومعه عبد أسود وقال لى: لا بأس عليك ودنا منى وفك قيودى وقال للرجل الأسود: ياعبد الله احمل هذا الشاب إلى دارهم بطنجه فقال له نعم ياسيدى وحملنى إلى هنا وأنا لا اشعر بشئ وهذان الرجلان ما كنت أعرفهما ولا رأيتهما سابقاً منذ عقلت.

فسألته أن يصفهما؟ فكانت صفة أحدهما منطبقة على الشيخ رضى الله عنه.

ويستطرد السيد موسى المختارى فى حديثه فيقول: ثم إن المرأة جاءت إلى دارنا بعد أيام قلائل صحبة ولدها لتشكر الشيخ فاستأذنته لهما فدخلا وسلما وقال الشاب لأمه: يا اماه هذا السيد هو الذى فك عنى القيود حين كنت فى بلاد الافرنج، فنهره الشيخ وقال له: اسكت فإن الذى خلصك هى قدرة الله سبحانه وتعالى.

ويختم السيد موسى حديثه قائلاً: فتعجب الحاضرون فقال لهم الشيخ: أتعجبون من قدرة الله سبحانه وتعالى.

قلت: فإنه وإن كان إحضار هذا الشاب من سجنه وفكاكه من أسره من أكبر الكرامات لما تضمنته من خوارق العادات وما اشتملت عليه من إظهار عظمة الله ومقدرته وإمداده لاوليائه إلا أن توجيه قلوب الحاضرين وسياسة عقولهم للتسليم المطلق لله سبحانه وتعالى وعدم التعجب مما يجريه على أيدى أحبائه وأصفيائه لأن قدرة الله لا حد لها فى الوقت المناسب زمانا ومكانا كرامة ما بعدها كرامة.

وكان لهؤلاء السادة الأكابر من أخوال الشيخ رضى الله عنه واقعات صوفية ومكاشفات روحانية ومخاطبات علويه أثرت عنهم ورويت.

روى الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسى عن الشيخ أبى عبد الله محمد الصغير السفيانى أن الشيخ أبا عمران موسى بن يعقوب المختارى قال يوما لنفسه: إننى رئيس المحبين.

فسمع صوتا يقول: بالله ياداعى المحبة عد لنا الغاية فيها والأقصى وأدناها؟

قال: وغلب على ظنى أنه صوت سيدى محمد بن عمر المختارى أخى فى الشيخ قال:فاستعذت من الشيطان ثم مشيت فسمعت الصوت مكررا، فاستعذت من الشيطان أيضا فعاود أيضا فعاودته بمثل ذلك.

قال فحضر لى الجواب من بركة شيخى فقلت:

الغاية رفع الحجاب عنه حيث دنا ، والأقصى جاز على العوالم خلاها

وليس الشأن الأنس بمن هو يفنى وليس الشأن أنوار وأسرار سيراها

وليس الشأن بما سوى الله يعنى مالك تنسى بالمحبة مولاها

شهود الذات يغنيك عن كلاها

ولا تستغرب مخاطبة الشيخ محمد المختارى لأخيه بظهر الغيب فقد كان من أكابر الصالحين ومن أهل القرب المكاشفين قال القائد أبو العباس أحمد بن غطيفة: صنعت صنيعاً لم يعلم به إنس ولا جان امتحنه وقلت فى نفسى إن كان من الأولياء يفضحنى بما صنعت، فدخلت عليه فأخذ بيدى إلى موضع خال من الناس وقال:

يا أخى النصيحة واجبة والتوبة لازمة وأنت لا تقبل الاشارة ولكنك صنعت كذا وكذا وذكر القصة كأنه معى فقلت: أتوب إلى الله سبحانه فقال: استر ما سمعت ولا تحدث به أحدا.

وذكر صاحب ممتع الاسماع أن الشيخ محمد المختارى كان مارا مع أصحابه يوما بموضع وبه غنم ونعجة تصيح، فقال لهم: ألا تسمعون ما تقول هذه النعجة؟ قالوا: فما تقول ياسيدى؟ قال: تقول: أسرعوا بهذا الموضع فإن به أكل الذئب ولدى عام أول.

فتخلف رجل منهم فسأل الراعى إن رعى بهذا الموضع عام أول وهل أكل الذئب شيئا؟ فقال: نعم أكل الذئب عام أول ولدتلك النعجة وأشار إليها فرجع وأخبر بذلك.

ومن لطائف ما يروى عن علو درجته وسمو معرفته وصدق منزلته وما كان يقاسيه أمثاله من قبل أدعياء الطريق وجهلة المنتسبين، أن بعض الناس من معارفه زار بعض الصالحين النائين من بلادهم وعندما رجع جاء للسلام عليه سأله: كيف كانت زيارتكم؟

فقال: حسنة الطعام كثير والناس يقبلون علينا فقال له: أنا إسألك عن قلبك وما زاد فيه من خير ونور وأنت تذكر لى الطعام وحشو البطن الهذا تعبت وأتعبت نفسك.

نسبه:

هو صدر المقربين من أهل الهدى واليقين صاحب المقامات الفاخرة والمآثر الظاهرة والهمم العلية والرتب السنية والقدم الراسخ فى أحوال النهايات والطود الشامخ فى التنزلات والتجليات والمشاهدات الشيخ محمد بن عيسى بن عامر ابن عمر بن عمرو بن حريز بن محروز بن عبدالمؤمن بن عيسى المكنى بأبى السباع بن إبراهيم بن هلال بن محمد بن يوسف بن أبى زيد بن عبد الرحمن بن سلام بن عبدالعزيز بن عبدالمؤمن بن زيد بن رحمون بن زكريا بن محمد بن عبد المجيد بن على بن عبد الله بن عبد الله أيضا بن أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام على كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنهم جميعا ، بنت سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ.

آل طه يا آل خير نبى ... جدكم خيرة وأنتم خيار

أذهب الله عنكم الرجس أهل ... البيت قدما فانتم الأطهار

لم يسل جدكم على الدين اجرا ... غير ود القربى ونعم الإجار

وقد جاء هذا النسب الشريف لهذه الدوحة المباركة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء فى غير ما مصدر وأكثر من مرجع للأنساب والتاريخ، وصرح بهذه النسبة المحمديه العديد من أهل العلم بالأنساب وتفرعاتها لأبناء أبى السباع جد الشيخ الكامل.

وأصدر السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الله العلوى ظهيرا فى سنة 1174هـ يحفظ فيه لأحفاد الشيخ الكامل حقهم وحرمتهم انطلاقا من

مسئوليته كولى أمر ومحافظة على ما جاء فى الشرع الكريم من وجوب تميز الشرفاء فى المعاملة وبيانا لحقوقهم وواجباتهم وما خصوا به كحرمة الصدقة عليهم واستحقاقهم لسهم ذوى القربى فيقول بعد الحمد له والصلاة والختم:

كتابنا هذا أيد الله امره وخلد فى الصالحات طيه ونشره يستقر بين حملته الشرفاء أولاد الولى الصالح والبرهان الواضح سيدى محمد بن عيسى نفعنا الله به إننا أسد لنا عليهم أردية التوقير والاحترام والرعى الجميل المستدام والمحاشات عما تطالب به العوام فلا يسام جانبهم ولا يضام ولا يدخلهم أذى ولا اهتضام وأسقطنا عنهم كل وظيف قوى كان أو ضعيف وجعلنا زكاتهم وأعشارهم يدفعونها للضعفاء من أقاربهم وعليهم بتقوى الله فى ذلك ومراقبته فى السر والعلانية رعيا لنسبتهم الطاهرة واشتغالهم بما يعنيهم فالواقف على كتابنا الشريف من عمالنا وولاة أمرنا العمل بمقتضاه ولا يتعداه ومن رام حول حماهم أو قاربهم بشئ فإذا نعاقبه أشد العقوبة.

صدر بذلك أمرنا المعتز بالله والسلام فى فاتح رجب الفرد الحرام عام 1174[1].

(1) اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس عبد الرحمن بن زيدان جـ 4 ص 11.

الرحلة إلى فاس:

تعتبر فاس بجدارة هى عاصمة المغرب العلمية فقد دأب سلاطين بنى مرين على إنشاء المدارس بها، وابتنى السلطان يعقوب المرينى أول مدرسة بها فى 679هـ. ثم وسعوأ دائرة المدارس العلمية لتشمل مكناس وسلا ومراكش وإن حافظت فاس على موقعها فى الصدارة فبالأضافة إلى المدرسة المذكورة سابقا كانت بها أيضاً المدرسة المصباحية سنة 747هـ.

وكانت المقدمة العلمية بها لجامع القرويين أو جامعة القرويين بمعنى أصح التى خرجت جل علماء المغرب وهى التى أسبغت على فاس شهرتها العلميه تساندها فى ذلك العمل العظيم المدرسة العنانية التى شيدها السلطان أبو عنان المدينى المتوفى سنة 750هـ.

وكانت فاس هى المركز العلمى الأكبر فى تلك البقاع ومثلها جامع الأزهر فى مصر أضافة للمساجد المقدسة بمكة والمدنية والقدس وإن كانت هذه المنزلة الضخمة لفاس لا تمنع وجود مراكز علمية ونشاطات فكرية فى مناطق أخرى مثل تارودانت ومكناس ومراكش وسلا وتطوان.

وامتد أثر فاس إلى غرب إفريقيا والمشرق العربى فظلت باستمرار الرائدة المشار إليها وكانت تستقبل وفود الطلبة المتعطشين للعلم من شتى البقاع وتخرجهم علماء مجازين فى الفقه لمالكى وعلوم القرآن والحديث والعقائد والتصوف وأصول الفقه واللغة والأدب والتاريخ، إضافة للدراسات الإسلامية التخصصية كالرحلات والتراجم، وترسل فى الوقت نفسه أبناءها للنهل من المراكز العلمية بالمشرق كحجاج لبيت الله الحرام أو قصد الاطلاع على الحياة العلمية والأخذ عن أساتذة تلك الديار.

وكان من الطبيعى أن تشرئب أنظار السيد عيسى بن عامر لفاس لمكانتها العلمية الراقية لتكون مدرسة لابنه لما لاحظه عليه من نجابة وجودة فهم واستيعاب ففارق ديار أصهاره بنى مختار وارتحل بابنه إليها.

ولم تخب فراسته إذ حفظ ابنه القرآن الكريم فى مدة وجيزة وكان منقطعا بالكلية للدراسة والتحصيل فمهر فى العربية وآدابها والفقه والتفسير وتمكن من العلوم النقلية والعقلية وإن الدارس لما خلفه الشيخ رضى الله عنه من أحزاب وأدعيه وأشعار ليجد نفسه أمام عالم متمكن محيط بالعلوم على اتساعها ويجد أنها من أجمل ما كتب فى هذا المجال دالة بوضوح على غزارة ثقافة قائلها وطول باعه وجودة لفظه ومتانة وسمو معناه ناهيك عما حوته بالضرورة من عذوبة ألفاظ رجال التصوف ورقة عباراتهم وروعة ونفوذ كلامهم فى صدور السامعين وأفئدتهم.

ثم وبعد أن نهل الشيخ من المعارف العلمية المختلفة والثقافة الإسلامية المتنوعة وارتوى من علومها وتضلع من مجالاتها وأدرك منها المرتبة العليا خرج صحبة والده من فاس ليستقر لحقبة من الزمن فى قبيلة بنى سفيان قبيلة أستاذه الذى سيسلك الطريق على يديه.

ولا صحة لما قاله البعض من وجود الشيخ أحمد زروق رضى الله عنه بفاس أثناء وجود الشيخ الكامل بها فالشيخ أحمد زروق لم يكن هناك بل ولم يكن حتى بالمغرب كله إذ خرج فى سياحة إلى تلمسان سنة 870هـ ولم يكن الشيخ الكامل قد ولد انذاك بعد وفى سنة 873هـ خرج لأداء الفريضة وعاد إلى فاس سنة 879هـ بعد غياب سبع سنوات وخرج منها فى حدود سنة 883هـ ولم يرجع بعدها قط إذ استقر به المقام فى مدينة مصراته بليبيا ولم يغادرها إلا

مرتين الأولى إلى الجزائر سنة 891هـ والاخرى لأداء فريضة الحج مجددا سنة 894هـ وبقى بمصراته حتى توفى سنة 899هـ رحمه الله.

نعم تخرج الشيخ أحمد زروق من جامعة القرويين بفاس التى خرجت فطاحل علماء تلك الحقبة كابن خلدون وابن الخطيب وابن مرزوق والمقرى والعبدوسى وابن عباد الرندى وابن عذارى ومن قبلهم ابتدأ من القرن السابع الهجرى أبو أمية مفضل الدلائى وإبراهيم التسولى وابن البنا المراكشى وغيرهم الكثير.

ولو حدث هذا اللقاء الذى لا يستقيم مع علم واستقراء تواريخ اللقيا والميلاد ولوفيات لأشار إليه أحدهما خصوصا الشيخ زروق الذى أرخ لحياته فى أواخر عمره وكتب عمن لقيه من الصلحاء والعلماء.

وعلى كل فإن الشيخ الكامل رجع من فاس وقد تبحر فى العلوم المنقولة والمعقولة ويفيض بالعلم دراية ورواية.

وشرف العلوم على قدر شرف متعلقاتها فعلم المنقول من فقه وغيره وسيلة إلى معرفة العمل ومعرفة العمل تؤدى إلى العمل المؤدى إلى طاعة الله وقربه فلهذا كان العلم المتعلق بالله وأسمائه وصفاته أشرف العلوم وأهله اشرف العلماء.

قال الأستاذ القشيرى: المعرفة عند القوم: من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى فى معاملاته ثم تنقى عنه أخلاقه الردئية وآفاته ثم أطال بالباب وقومه وأدام بالقلب عكوفه فحظى من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله تعالى فى جميع أحواله وانقطع عن هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره.

فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات نقيا وأدام فى السر مع الله تعالى مناجاته وحق فى كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريفه أسراره فيما يجرى من تصاريف أقداره سمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة.

قال الأستاذ الجنيد: لو علمت أن تحت أديم السماء علما أشرف من علمنا هذا السعيت إليه وقصدته.

قال تعالى: «**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**[1]» وقال ﷺ: «**إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**[2]».

ومعرفة الحق سبحانه لا تنال من الكتب والكسب وإنما تنال بالوهب فكم من فقيه زنديق وكم من عالم بظواهر النصوص خارج عن سواء السبيل وكم من متكسب بالعلم ممتهن لنفسه بحمله.

ولذا فقد طلب الشيخ الكامل رضى الله عنه المعرفة اليقينية المسماة بعلم الحقيقة المستفادة من الاستقامة على الطريقة، وأخذ يجد فى البحث عمن يأخذ بيده فى طريق القوم إذ ظهر عليه مبكرا ومنذ سنى حياته الأولى ميل شديد لعلومهم وصحبتهم.

وبحكم وجود الشيخ فى قبيلة سفيان تلك الفترة من شبابه فلا شك أنه قد سمع عن الشيخ الحارثى الذى هو شيخ قبيلة بنى سفيان ولا شك أن

---

(1) سورة المجادله 11.

(2) رواه أبو داود والترمذى.

الأحاديث عن شيخ القبيلة الذى ترك الدنيا وراء ظهره وانقطع لمولاه كانت من الكثرة بمكان مما جعل قلبه يتعلق به ويكون صورة واضحة عنه.

وجوب اتخاذ الشيخ:

ولا يخض عليك أخى فى الله جمعنى الله ورياك بأهل وده أن أول ما يطالب به المريد بعد الانتباه من الغفلة والتوبة قصد شيخ ناصح عارف بالطريق ولا يجوز له مفارقة أستاذه قل تيقظ قلبه وقد أوجب السادة الصوفية هذا الأمر قال الشيخ الشعرانى: أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان شيخا يرشده إلى زوال الصفات التى تمنعه من دخول حضرة الله تعالى بقلبه. ثم ذكر رضى الله عنه الصفات النفسية الذميمة وقال: إن كل من لم يتخذ له شيخا يرشده إلى الخروج من هذه الصفات فهو عاصٍ لله تعالى ورسوله بل قال أيضاً: من لم يجد شيخا فى بلده يجب عليه السفر فى طلبه.

وصفة هذا الشيخ الذى نتحدث عنه هى العلم للهداية والبصيرة النافذة للتمييز والعمل الثابت على اتباع السنة لينهض بحال مريده والهمة ليقويه وأن يكون معظماً لحرمات المسلمين لا يدخل فى ما لا يعينه ولا يتبع الهوى فى كل شئ حسن الخلق لا يوالى بالكلية أهل الدنيا فيكون منهم ولا يعاديهم بالكلية فينشغل بما لا يعنى ولا يحب الرئاسة ولا يتسع لسانه بالدعوى والثناء على نفسه والقدح فى غيره من أهل الطريق.

فإن وقع المريد على الشيخ وجب عليه أن يترك عقله وعلمه وديانته ومروءته لعقل الشيخ وعلمه وديانته ومروءته فبصيرة الشيخ مقدمه وخطأه أولى من صواب المريد ولا يرد عليه ولا يخالفه ويتأدب معه بالآداب المنصوص عليها

عند القوم فمبنى طريق السادة الصوفية على السيرة النبوية واحتذاء سير الصحابة رضوان الله عليهم مع رسول الله ﷺ والصحبة هى أساس الخير كله.

ومما قاله ابننا الصالح محمد العوكلى فى هذا السياق: إن العارفين بالله كالشمس ينار القلب بأشعة مدد صحبتهم ويحدث له الأنس بالله، وصحبة غيرهم موجبة لإظلامه وانقطاع امداده. هـ

ولا يلتفت إلى ما يقوله بعض من لاهمة لهم ولادراية بطريق القوم من عدم وجود الشيخ الحائز لهذه الصفات فما منحهم من رؤيته والاجتماع به إلا ثلاث قواطع، أولها: البحث عنه بعين الكمال ونسبته للعصمة والتغافل عن بشريته مما حجب أهل الخصوصية عن عيوان أكثر من لا معرفة عندهم، وثانيها: أن يجعل الناظر من نفسه ميزانا فما وافق ما فى نفسه من علم وعقل وحال وطبع وإلا لا يراه شيئاً وإن رآه لا ينقاد له وإن انقاد فلا يمكنه الصبر عليه، وهو باطل بالضرورة فليس الناظر بالحكم العدل ولا الحائز لكل المعارف ومعرفة الرجال تكون بالحق لا العكس، والثالث: التطلع إلى الكرامات فإن لم ير الناظر شيئا من ذلك انحاش إلى الجهل واعتمد الوهم وانقطع عن أهل الخصوصية.

وكما أوضحت لك أخى السالك القواطع الثلاث التى حجبت أهل العناية من السادة المسلكين المربين فسأحبوك بوسيلة توصلك إليهم وتجمعك بذواتهم الشريفة وأرواحهم الطيبة.

فأولها: الصدق فى طلبهم بدوام اللجوء إلى الله وحسن النية وخدمة كل منتسب من غير اغترار ولا تقصير ولا إخلال بالآداب، وثانيها: لزوم ما يستطاع من أو امر الشرع ونواهيه، وثالثها: صحبة أهل الطريق وموالاتهم دون

كل فريق إذ كيف يفلح من لم يخالط مفلحا وكيف يخالطه من لم يعرفه وكيف يعرفه من لم يقصد طريقه، ورابعها: زيادة الأشياخ أحياء وميتين. والأمر بتوفيق الله سبحانه.

ومن لطائف ما يروى فى أساليب التربية ما تحدث به الشيخ عبد الله الهبطى قدس الله سره إذ قال : كان الشيخ القطب أبو عبد الله محمد الجزولى يربى أصحابه بقصيدة الشيخ أبى الحجاج الضرير فى أصول الدين وكان الشيخ أبو فارس عبد العزيز التباع يربى أصحابه بالمباحث الأصلية للشيخ العارف ابن إلبنا السرقسطى [1] وكان سيدى أبو محمد الغزوانى يربى أصحابه بقصيدة الشيخ الشريشى [2] وكنت أنا أقراها عليه وكان يصورها - أى يحفظها - فقرأت عليه يوماً قول الشريشى:

وللشيخ آيات إذا لم تكن له فماهو إلا فى ليالى الهوى يسرى

إذا لم يكن علم لديه بظاهر ولا باطن فاضرب به لجج البحر

فقلت له : ما معنى العلم الظاهر والعلم الباطن؟ فقال أما الظاهر فقد علمت ماهو أصوله وفروعه، وأما الباطن فيدرك بالمشاهدة، فقلت : ما معنى المشاهدة ؟ فضاقت عليه العبارة، فقلت فى نفسى : الآن نقف على حقيقته فنظر إلى وزفر مع نظرته فصعقت وخر على مغشيا فما أنتبهت حتى كوشفت بعجائب الملكوت.

1-2 أحمد بن محمد البنا السرقسطى يقع نظمه المسمى : المباحث الأصلية على جملة الطريقة الصوفية فى 467 بيتا من بحر الرجز، وتقع رائية أحمد بن محمد الشريشى فى 140 بيتا من بحر الطويل.

الشيـخ الحارثـى:

هو أحمد بن عمر الحارثى ويكنى بأبى العباس شيخ قبيلة بنى سفيان العربية وكان يسيرفيهم بسيرة حسنة تجمع الحنكة والمقدرة وحسن السياسة واللين مع الحزم ويشتهر فيهم بالكرم والمروءة على عادة قبائل العرب فى كل زمان ومكان.

وكان من عادة الشيخ الجزولى رضى الله عنه أن يبعث بكبير تلامذته حجة عصره وفريد دهره الشيخ محمد الصغير السهلى لنشر الدعوة فى المدن والقرى والأرياف والبوادى بما عرف عنه من غزارة علم وبركة مجالسة وسر ربانى ظاهر وخفى، وهى وسيلة كان يتبعها الإمام الجزولى انطلاقا من دوره الإصلاحى الدينى وتحركا إيجابيا منه فى سبيل النهوض بالمجتمع أخلاقيا وعلميا فقال له يوما: يا صغير ألا تمشون تصطادون.

فذهب ومعه رفقاء يجولون فى البلاد فأتى على مضارب الشيخ الحارثى وكان غائبا فسألتهم زوجته من أنتم؟ فعرفها بأنهم من أصحاب الجزولى، فقالت: مرحبا بأصحاب أبى، وكان أبوها من أصحاب الإمام الجزولى فأنزلتهم وأكرمتهم فلما جاء زوجها أخبرته بأمر أضيافهم ومن يكونون، فسلم عليهم، بالغ فى الترحاب بهم وإكرامهم، وأقبل عليهم غاية الإقبال وأمر بإعداد الطعام والزاد وقد دخلت محبتهم فى شغاف قلبه وتمكنت من فؤاده ودخل فى غنمه وصار يذبحها فقال الشيخ السهلى لأصحابه:

تفقدوا هذا الرجل لا يجهز على غنمه فذهبوا إليه فوجدوه قد ذبح منها شيئاً كثيراً فكفوه عن الذبح ثم أقاموا عنده مدة كان يزداد فيها كل يوم

محبة لما هم عليه واعجابا فدخل حزبهم وانخرط فى سلوكهم، قال بعضهم: لما صلى المغرب معنا كان من جملة عامة الناس فلما صلى الصبح كان من أولياء الله تعالى.

فلما أرادوا الانصراف جمع ماله من ماشية وغيرها حتى جمع رماد كانونه وذهب بذلك كله إلى الإمام الجزولى مطلقاً للدنيا وجاهها وسيادتها طلاقا بائنا لارجعة فيه، فلما قرب من منزل الإمام قالوا له: قف حتى نشاوره فيك.

واستقبل الإمام الجزولى السهلى ومن معه فأخبروه بما كان منى أمر الحارثى ورغبته فى دخول الطريق وطلبه منهم أن يتكلموا مع الإمام الجزولى فى أمره والتصرف فى ما معه من مال ناطق وصامت بما يرى.

وكم لساداتنا أهل الله من لطائف الأشارات وأسرار الواقعات فقد اجابهم الإمام بأن يخيروه بين قبوله أو قبول ماله، فكان جواب الحارثى أن قال وقد صحت نيته فى دخول الطريق وحصحص حق قصده فى التخلق بأخلاق أهل التحقيق وأرباب السر الدقيق: فليقبل مالى ولا يقبلنى.

وكان أن فرق الإمام ماله على المساكين والمعوزين ولم يترك له إلا حمارا يتعيش من الاحتطاب عليه، ولا شك أنه لا يخرج حب الدنيا وأسبابها من القلب إلا حب ما هو أكبر منها فإن الإنسان خلق بطبعه هلوعا إن مسه الخير منوعا وإن مسه الشر جزوعا ولا شك أيضاً أن المال ما لم يأت عن طريقه الشرعى المباح ويخرج حق الله منه وإلا فالعدم يفضله بكثير.

وأخذ الشيخ الحارثى الطريق على الشيخ الجزولى وبقى فى خدمته يربيه بالمقال والحال تارة وبالمجاهدات والقيام تارة أخرى، ولك أن تتخيل رجلا فى سن

متقدمة عاش شبابه ورجولته وطرفاً من كهولته سيدا مطاعا فى قومه لا يعصى له أمر ينعم بتقدير المحيطين به وتجبيلهم ويسوس قبيلة وافرة العدد قوية الشكيمة تنقاد عن طواعية لأمره ونهيه يرفل فى جميل الحلل ويملك فاخر المتاع ويترك هذا كله ابتغاء رضوان ربه بعد أن ايقن بأن ما عنده ينفذ وما عند الله باق، وإذ هو فقير بعد غنى زاهد بعد تنعم مقتصر على الضرورى من أسباب الحياة بعد ثمين الثياب والرياش.

والإمام الجزولى بعد هذا يلاحظه بعناية ويسلك به فى دروب الوصال بدراية ويسير به فى مدارج السالكين بوقاية صار فى زمن قليل على يديه وببركة أنفاسه من فحول الرجال الذين حازوا من المعرفة الغاية حتى أنه اشتهر فى عصره وما بعده باسم (الواصل الموصل).

وحتى أن الشيخ ابن عسكر عند ما أرخ له فى الدوحة لم يستطع أن يحصر من انتفع بالشيخ الحارثى وأخذ عنه فاضطر لو صف كثرتهم أن يقول: «هدى الله به أمة عظيمة».

وهو الوحيد الذى أذن له الإمام الجزولى فى التصدر للأرشاد من تلاميذه ونفع العباد وتوجيههم نحو المنعم الجواد سبحانه اثناء حياته. وأمره بسكنى مدينة مكناس لأمر أراده الله، فدخلها وما معه من حطام الدنيا إلا حماره يقوت بسبب عمله عليه عياله وبهذه الصفة دخلها وبقى على ذلك فترة طويلة مفضلا للخمول ومبتعدا عن مواقع الاجتماع متسربلا بستر الخفاء مشتغلا بنفسه يتكسب من الاحتطاب وصناعة الأطباق والقفف من السعف وكان دائم المراقبة والذكر حتى أنه كان لا يدخل الخيط أو يخرجه فى السعف فى كل مرة إلا بكلمة لا إله إلا الله.

ويبدو أن الأستاذ كان يرى فى تلميذه الكفاءة المطلقة للتصدر للمشيخة وتربية المريدين وتوجيه السالكين ولم يعجبه تفضيل تلميذه للعزلة فبعث له الشيخ السهلى مرة أخرى فى جملة من الأصحاب فعز عليه ألا يجد ما يكرم به إخوانه ويقرى به ضيوفه وهو رأس قبيلته العربية الذى عاش على الأخلاق الأصيلة والشيم الإسلامية النبيلة فباع حماره وأكرمهم بثمنه.

وكما كانت زيارة الشيخ السهلى الأولى سببا فى توجه الحارثى صوب جناب الحق وسلوك طريق الصدق فقد كانت الزيارة الثانية سبب انتفاع الناس به إذ بعثه لزيارته والاطمئنان عليه صحبة الأمر الجلى والإذن الصريح بالجلوس للتربية والدلالة على الله تعالى، وبقى مخلصاً لهذه المهمة الجليلة ساهراً على تنفيذها حاملا لتبعاتها لا يتوانى ولا يتأخر عن إصلاح المجتمع وإرشاد المسلمين آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر نبراسا للسالكين ومنارا للسائرين حتى توفاه الله فى سنة 905 بمكناس.

وصفه ابن عسكر فى الدوحة بقوله: الشيخ الكبير والولى الشهير أبو العباس أحمد الحارثى نزيل مكناسه كان رحمه الله من الأكابر الذين لهم التصريف الربانى صاحب الشيخ القطب أبا عبد الله سيدى محمد بن سليمان الجزولى وأخذ عنه فهدى الله به أمة عظيمة ومشايخ الصوفية يعظمونه غاية التعظيم ويثنون عليه الثناء الجميل ويحكون عنه عجائب الأسرار.

ثم ينقل عن الشيخ الفجيجى وهو أحد تلاميذ الشيخ الكامل وصفه للشيخ الحارثى بقوله: «إنه كان لا يفتر عن ذكر الله تعالى».

وكان لوجود الشيخ الكامل فى مكناس أن سعى لمقابلة الرجل الذى طالما سمع عنه أثناء وجوده فى قبيلة سفيان والذى كان أوحد عصره علما ومعرفة، والذى اجتمعت عليه مكناس لتأخذ عنه ظاهرا وباطنا.

فكان أن عقد العزم على صحبته وأخذ العهد عليه ودخل عليه ذات يوم فما تراء صاحب الخلافة للمكلف بتوصيلها حتى سرى بينهما من السر والمدد ما فاض على جوارحهما ، فصار الشيخ الكامل من أحب الناس إلى أستاذه الذى رأى فيه بفراسة المؤمن ما سيؤل اليه أمره ومكانته العالية ومرتبته السامية وخلافته الجزوليه ووراثته الشاذليه المحمدية، فرباه أكمل تربية ولاحظه بعين الرعاية وقلب العناية وسقاه الطريقه الجزولية ولقنه الأسرار الصمدانية وأقرأه كتب القوم ومناهج السلوك وبين له طريقتهم وشرعتهم وشعارهم وحليتهم، وأخذه بالمجاهدة وذكر الله تعالى والسخاء والقيام وملازمة الصلاة والصوم إلى أن فتح الله عليه بالولاية وارتسمت على ظاهره وباطنه اسرار الوراثة الجزولية وأنوار الخلافة الالهية وسمات العناية الربانية وغرق قلبه فى التوحيد ولاحت فيه لآلى حقائق أهل المزيد.

فمن سرى سره فى سر تلميذه ها ذاك هو فلا ترضى به بدلا

وكان الأستاذ مع هذا لا يفتر عن أخذ تلميذه بالسياحة وزيارة الأولياء وكان يصحبه لزيارة القطب عبد السلام بن مشيش.

ولأنه من علامات الطريق الطبيعية أن يسرى سر الأستاذ فى تلميذه فإننا نجد أن الشيخ الكامل ذأب على هذه الزيارة حتى بعد وفاة أستاذه وقد أشار رضى الله عنه إلى سريان هذا السر والوراثة فى نظم له قاله فيه:

لشيخنا الجزولى قد نسبنا من سره يارب لا تحرمنا

وأحمد بن عمر الحارثى لسر منه صار هو الوارث

فاختارنا لسره بأذن الاله وبان عنا سره بلا اشتباه

ذكر الشيخ الفجيجى أن الشيخ الكامل كان يأخذ أصحابه لزيارة القطب عبد السلام ابن مشيش فى جبل العلم، وحدث فى إحداها أن تقدم الشيخ عنهم وزار الضريح المبارك ثم أمر المريدين بزيارته وذهب إلى خيمته المعدة له والآخرون كذلك، فلما دخل وقت صلاة العصر، وصلى بهم جلس قريبا من الضريح مستقبلاً للقبلة على رأس الجبل وهم من حوله وصار يحدثهم عن قدرة الله تعالى وعظمته وجلاله وكرامة أوليائه إلى أن قال :

فمن كرامة الله تعالى لهم إذا قال أحدهم لهذا الجبل تحرك فيتحرك بقدرة الله وجلاله وعظمته قال الشيخ الفجيجى: فتحرك بنا الجبل من حينه فمشينا وصرنا نتشبث بالحجارة التى هناك، فقال: له الشيخ رضى الله عنه: اسكن أيها الجبل بقدرة الله تعالى إنما ضربت بك المثل، فسكن الجبل من حينه.[1]

وبعد أن قضى الشيخ الكامل ما كتب الله له مع أستاذه الذى كان يقدمه ويعظمه حانت لحظة الفراق وما أمرها وأزفت ساعه الوداع وما أصعبها فقد قرب أجل الأستاذ وحانت ساعة رحيله فانفرد بتلميذه الوارث وأوصاه أن يتوجه بعد وفاته إلى الشيخ عبد العزيز التباع قائلاً: يابنى قد فتح الله عليك بالولاية وبقى لك شئ من الفتح وقد قرب أجلى فعليك يابنى بالذهاب بعد وفاتى إلى صاحب الوقت بمدينة مراكش حرسها الله تعالى، وخذ عن أخى سيدى عبد العزيز التباع فهو صاحب الوقت فى هذا الزمان وخليفة شيخنا القطب الجزولى والوارث لمقامه وهو يكمل لك الفتح إن شاء الله تعالى.

---

(1) حديث مثل هذه الكرامة مع الشيخ الشاذلى فى جبل زغوان فانظرها بالتفصيل فى سيرته.

وما انقضت أيام حتى انتقل إلى جوار ربه بعد أن ربى سادات الرجال الذين سارت بفضلهم الركبان وتحدثت بجميل سيرتهم الأحباب والخلان بعد أن نهلوا من مورده النقى الصافى، فإن للطريق أحوالا وأسرارا لا تؤخذ من غير أهلها وحقائق ومعارف لا تدرك إلا بصحبتهم ومجالستهم وهيهات هيهات أن يجوزها معاند أو يتعرف إليها جاحد وإن رآها بعينه وسمعها بأذنه ولمسها بيده.

وجوهر هذه المعرفة وعمودها وجذرها وفرعها هو معرفة الله الخالق الحق القيوم الواحد القادر وصفاته الأزلية ونعوته السر مدية الأحدى الذات لا يشبهه شئ من المصنوعات، ليس بجسم ولا جوهر ولا صفاته أعراض ولا يتصور فى الأوهام ولا يتقدر فى العقول ولاله جهة ولا مكان ولا يحويه وقت ولا زمان ولا تصدق عليه الزيادة أو النقصان ولا يحل به حادث أو يتحد ولا تقطعه نهاية وحد ولا ينصره ناصر ولا يخرج عن قدرته قادر ولا يستفهم عنه بسؤال ولا يستفتح له وجود أو زوال له الأسماء الحسنى والصفات العلى سبحانه.

الشيخ الحرار:

وتعلق المريدون بعد وفاة الأستاذ الحارثى بأكبر تلامذته وأجل أصحابه الشيخ الكامل الذى كان عليه أن ينفذ وصية شيخه ويتوجه صوب الشيخ الحرار ويصحبه ويأخذ عليه العهد.

والشيخ الحرار هو عبد العزيز بن عبد الحق التباع وربما نطقت اتباع ببعض لهجات المغرب العربى وكنيته أبو فارس وسمى بالحرار لأنه كان يشتغل بالحرير، وقد صحب الإمام الجزولى وأخذ عنه وأقام عنده بزاويته بتافوغلت ولم يتم له الفتح أثناء حياة أستاذه فأوصى به قبل وفاته إلى أكبر تلامذته الشيخ محمد الصغير السهلى قائلا: يا صغير الله الله فى عبد العزيز فإنه كيمياء[1] وكان أن اشتهر الشيخ الحرار بأنه الكيمياء.

فأخذه الشيخ السهلى بعد وفاة الإمام الجزولى إلى بيته فى خندق الزيتون بقبيلة أولاد جامع قرب وادى اللبن من أحواز مدينة فاس.

وكان للشيخ السهلى أسلوب مميز فى تربية مريده وأخيه فى الطريق الذى أوصاه أستاذه به فكان يأخذه بالمجاهدة وكسر النفس ومخالفة المألوفات بفطمها عما تحب وحملها على خلاف هواها فلا أكل إلا عن فاقة ولا نوم إلا عن غلبة ولا كلام إلا لضرورة ولا فعل إلا بنية القربى لله تعالى.

قال الشيخ الدقاق رحمه الله: من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة، وقال الأستاذ القشيرى رحمه الله: من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريق شمة.

---

(1) مصطلح قديم يطلق على مادة تضاف إلى المعادن فتقلبها ذهبا.

فكان يأمره برعى ماشيته والقيام بشؤن بيته من سقى وحطب بعد أن كانت يداه لا تمسان إلا الحرير الناعم ولا ينزل إلا حيث يأمر وينهى مع أقرانه من تجار الحرير وأثرياء السوق وأدامه على هذا سنوات عديده من التعهد بالمراقبة والتوجيه والاشتداد عليه فى الخدمة.

حتى كان يوم عاصف المطر والريح والحرار يخدم شيخه كعادته ويرعى ماشيته فنظرت إليه زوجة الشيخ السهلى السيدة «تاتوا» على بعد وهو حامل شيئا على عنقه وشيئا بيده فرقت لحاله وشفعت بحنان الام وشفقتها عند زوجها فلما وصل قال له الشيخ: يا ولدى ادع لأمك تاتوا: فدعا لها، ثم قال له سر ينتفع بك الناس.

ففطن للإشارة وما تحويه من أمر ونهى وإمارة، وترك منزل أستاذه بخندق الزيتون بعد أن حرره من الإرادة وشدر حاله إلى مدينة مراكش ليأخذ مكانه بين أكابر العلماء وصفوة الأولياء، واجتمع عليه وانتفع به من الخلق ما لا يحصى كثرة وما لا يعد وفرة، ففازوا بصحبته بالمقامات والقبول والمعارف والوصول وصاروا من أئمه الهدى والدين وأعلام المسلمين وفقهم الله تعالى لاتباع الحق فى العلم والعمل وحفظهم من الزيغ والزلل وانتشروا فى بلاد المسلمين من بعده دعاة للحق حماة للعقيدة أعداء للباطل.

وتوفى رضى الله عنه يوم الثلاثاء 20/ صفر/ 914هـ بمراكش ودفن بها وقبره إلى الآن مزارة لأولى البصائر وعبرة للمتأمل والذاكر، روضة للمحبين وبهجة للزائرين لما يجدونه عنده من حبور وانشراح وبهجة ولما جرب من استجابة الدعاء عنده رحمه الله ونفعنا ببركته وأسراره وعلومه.

أرخ له صاحب الاستقصاء فقال: الشيخ الكبير أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع دفين حومة الفحول من مراكش من أصحاب الشيخ الجزولى رضى الله عنهما وصفه شيخه بالكيمياء، وكان النظرة فيه تغنى[1].

وكان أن توجه الشيخ الكامل حسب وصية أستاذه للشيخ الحرار وكان صاحب الوقت فى ذلك الزمان وكان لقاء روحانيا جميلا ظهرت فيه من أسرار الصالحين وأخلاقهم وكراماتهم آيات وصفات، فقد دخل عليه فى زاويته بمراكش وجلس حيث انتهى به المجلس إذ كان الشيخ التباع منشغلاً بحلقة علم منهمكا فى تعليم المحيطين به من تلامذته آداب وطريق القوم.

فلما فرغ ابتدره الشيخ الكامل بالقيام والسلام عليه إذ لا يصح أن يقوم الأستاذ لتلميذه أولا، وعلى المريد مراعاة الأدب حتى لو تساهل الأستاذ، وما أن وقعت عينا الشيخ الحرار على من رأى بتوسم بصيرته عليه أنوار الوراثة وسريانها فى اتباعه من بعده ومخائل الخلافة على جبينه المشرق حتى قام إجلالا له وتعظيما لقدره وعانقه قائلا: أهلا وسهلا بالابن الصالح والخليفة الناصح، ونظر إليه نظرة أهل المعرفة التى يدب بها سر النسبة فى القلب ونور الوصلة والقرب، حتى أطرق الشيخ الكامل برأسة إلى الأرض حياء منه.

ولله رجالٌ إذا نظرت إليهم بصدق واعتقاد انهالت عليك الأحوال بلا إمهال، وكان الأستاذ الحرار منهم والشيخ الكامل من صميمهم.

حدثنى الراجى ينور الرجاء، ابننا منصف العوكلى أنه ما إن دخل الطريق حتى رأى فى مبشرة فى سنة 1983م الشيخ الكامل رضى الله عنه ربعة لا

---

(1) الاستقصا لاخبار دولة الغرب الاقصى الناصرى. الدوله المرينية القسم الثانى جـ4 ص164.

بالطويل البائن ولا القصير باذن الجسم عريض الصدر شديد حمرة الوجه ذولحية نورانية بيضاء مرتديا لجبة يضرب لونها الأحمر إلى السواد ونظر إليه نظرة رسخت قدمه فى الطريق وأخذت بيده وقلبه إلى محبة أهل التحقيق.

لقد حملونى فى الهوى غير طاقتى ومن أجلهم قامت على قيامتى

ألا فارفقوا ياهاجرين بمهجتى فقد رق لى من بعدكم كل شامت

ولا تمنعوا أن تسمحوا لى بنظرة تخفف أحوالى وفرط صبابتى

سألت فؤادى الصبر عنكم فقال لى إليك فإن الصبر من غير عادتى

ثم إن الشيخ الحرار قال للشيخ الكامل: اسمع منى يت بنى إن أخى الشيخ سيدى أحمد الحارثى قد صفى درهمك ولم يطبعه لك وغير المطبوع فى السوق لا يجوز فها أنا قد طبعته لك بإذن الله.

وحدث ولا حرج عن أهل الله وخاصته فإن نطقوا فبالله وإن اشاروا فبالله وإن صمتوا فبالله، فما أن أتم الأستاذ عبارته حتى تم الفتح للشيخ الكامل وامتلأ مددا عظيماً، ثم جدد الأخذ عن الشيخ الحرار وصحبه نحو شهر مقيما عنده والأستاذ يتعهده بالرعاية والعناية ولا يكاد يفارقه ليلا ولا نهارا.

فلقنه الذكر وأعطاه مفاتيح الطريقة من أحزاب وأوراد ووظائف.

ولعل من سائل عن هذه الأحزاب والأوراد قائلاً: ألم يكن الشيخ الكامل يعرفها وقد قضى عند الأستاذ الحارث« مدة مديدة وطريقته جزولية وهى طريقة الشيخ الحرار كذلك، ويغفل هذا عن سر الإذن والإجازة وهو المقصود لامعرفة الاوراد وتلاوتها فهذا وإن كان محمودا مأجور صاحبه إن شاء الله إلا أنه لنور وأسرار الإسناد ما يعرفه ذو والبصائر المنيرة والقلوب المستنيرة.

فلقن الأستاذ تلميذه سر العهد وأمره بكتمانه والاحتفاظ عليه وقال له: هو عهد الله لا عهدى، ولا يعطى إلا من صدر إلى صدر، وأمره أيضا بالتصريف والجلوس لتربية المريدين وإرشادهم إلى سبيل الهدى.

فحمد الشيخ الكامل الله سبحانه وأثنى عليه بما هو أهله وقال لأستاذه: ياسيدى نريد من فضلكم أن تتمم لى الاذن فى قراءة كتاب شيخنا سيدى محمد بن سليمان الجزولى المسمى بدلائل الخيرات فقال له: نعم اسمع منى يا بنى إن الإذن فيه مقصور على صاحبه وهو كبير تلامذة شيخنا الجزولى أخى محمد الصغير السهلى لأن شيخنا رضى الله عنه قد خصه بذلك فاذهب إليه وخذ عنه الطريق كما أخذت عنى والتمس منه الإذن فى قراءة الكتاب لك ولأتباعك وأتباع أتباع اتباعك إلى ما شاء الله فإن شيخنا قد أمره بذلك وأوصاه، كما أمرنى أيضاً بأن نعلمك أن الخلافة الجزولية تصير إليك من بعدى وذلك بإذن من الله سبحانه وتعالى.

وفى المساء طلب الأستاذ من تلميذه الذهاب معه لزيارة الشيخ الجزولى فأتياه معا، وجلسا تجاه ضريحه المبارك نحو ساعة زمن، قال الشيخ الفجيجى: إن الشيخ محمد بن عيسى اجتمع فى هذه الزيارة بالشيخ الجزولى وأخذ عنه الطريق وأمره بتربية المريدين وإرشادهم على طريقته وبشره بكل خير.

ولا نريد أن نخرج عما شرطناه فى أول كتابنا من عدم خوضنا فى نقاش مع المكابرين الجاحدين لقساوة قلوبهم وغلظة أفئدتهم وخوضهم بجهل فى ما لا يعلمون فقد شرحنا بتوسع واسهاب كل هذه الأمور فى كتابنا الحجة وذكرنا أدلتها من الكتاب والسنة فمن أراد من ذلك شيئا فليرجع إليه فإننا لازلنا نكرر ونكرر أن هذا الكتاب للصفوة التى أكرمها الله بالعقيدة المستقيمة والأفئدة المطمئنة بالإيمان والقلوب اليقظة الزكية ولم نخص به غيرهم أو نحبُ به سواهم.

ويكفى للدلاته على اجتماع الصلحاء ببعضهم حال الحياة أو الموت ورؤية القريب للبعيد منهم والبعيد للقريب حياً كان أم ميتا أن نذكر أنه أمر معروف شائع لا يكاد أحد من أهل الطريق يجهله إن لم يكن شاهده، ولا حصر ولا عد لمن يشاهدون ويعلمون.

ومما يسمح بذكره فى هذا السياق أنه بينما كان ابننا المجتهد فى مرضاة ربه وقربه سالم أبو خشيم يؤدى أحد وراد الطريق مما يؤتى به بهيئة معلومة فى زمن بعينه إذ وقف عليه ثلاثة رجال بداره التى يذكر بها وبقوا معه ما شاء الله لهم.

قال الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رضى الله عنه: ذات صباح كنت جالسا فى المنزل فى غرفة المكتب كعادتى وكنت تلك اللحظة مطاطئ الرأس ثم رفعت رأسى ناظراً أمامى وإذ بى أجد أمامى إنسانا فأخذت فى تأمله دون أن اشعر بخوف أو فزع.

كان طويلا أقرب إلى النحافة منه إلى السمنة يميل لونه إلى السمرة وعلى رأسه شال ابيض أو ما يسميه الحجازيون الغطرة وكان فى وقفته منحنياً قليلا، وقد تأملت ملابسه أيضاً فى تفاصيلها وشكلها. لم يتحدث معى ولم أتحدث إليه.

وبعد فترة ونحن على هذا الوضع انظر إليه فى تحديق ويمد عينيه إلى فى نظرات ثابته أخذ يشف شيئاً فشيئاً وألاحظ أنا فى وضوح التدرج فى هذه الشفافية، وانتهت الشفافية بزواله تماما دون أن يتحرك من موضعه، ذلك ما شاهدته بنفسى وماذا يكون خرق العادات غير هذا؟

إن الذين ينكرون خرق العادات وينكرون الكرامات لأولياء الله إنما ينكرون شيئا أثبتته تجارب الإنسانيه منذ أن وجدت الإنسانية واثبته القرآن الكريم واثبته جمهور الأمه[1].

وفى ما اوردنا الكفاية فاللبيب إن كان لبيبا تكفيه الإشارة والعاقل أن كان عاقلا تكفيه رشفة ماء ليعرف طيب المذاق وصفاء المشروب.

ونرجع لما نحن بعدده فإن الشيخ الكامل أستأذن أستاذه فى الرجوع إلى بلده مكناس فإذن له وأمره بملاقاة كبير تلامذة الإمام الجزولى والأخذ عنه ولا بأس من التزود بنصيحة من الأستاذ التباع قبل أن نختم حديثنا عنه إذ يقول :

لله فى الخلق ما أختارت مشيئته ... ما الخير إلا الذى يختاره اللـه

إذا قضى الله فاستسلم لقدرتـه ... ما لمرء حيلة فيما قضى اللـه

تجرى الأمور لأسباب لها علـل ... تجرى الأمور على ما قدر الله

إن الأمور وإن ضاقت لها فـرج ... كم من أمور شداد فرج اللـه

ياصاحب الهم إن الهـم منفـرج ... ابشر بخير فـإن الفـارج الله

تا لله مالك غير اللـه من أحـد ... ولا يصيبك إلا ما قضى الله

اليأس يقطع أحيانـا بصاحبـه ... لا تيأسن فـإن الصانـع اللـه

الله لى عـدة فـى كـل نازلـة ... أقول فى كل شئ حسبى الله

---

(1) المدرسه الشاذليه عبد الحليم محمود ص 166- 167.

الشيخ السهلى:

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم العمرى (بسكون الميم) من أولاد عمرو من قبائل عرب السوس، عرف بالسهيلى أو السهلى نسبة إلى أخواله السهول ويسميه أستاذه بالصغير بصيغة التصغير وبه عرف.

وهو أكبر تلامذة الإمام الجزولى وصف بطود الولاية الشامخ وجبلها الراسخ كان رضى الله عنه يسقى المريد بهمته وينفعه بنظرته يدل على الله بالإشارة وينير البصائر بالعبارة وصفه العلامة المهدى الفاسى فقال: كان رحمه الله من أكابر الأولياء المحققين وأحد الأفراد من الواصلين وذوى الهمم العلية من المقربين وكان عند شيخه يصطاط بهمته ونظرته وكان يغنى بنظرته فانتفع به كثيرون وتخرج على يديه رجال . ا. هـ.

وبالقرب من مدينة فاس بخندق الزيتون قدم الشيخ الكامل على الشيخ السهلى الذى فرح به فرحا عظيما وضمه إلى صدره الشريف وأطلقه قائلا: مرحبا بالابن المبارك والخليفة الثانى.

ولعل القارئ الفطن لازال يذكر ما قاله الشيخ الحرار للشيخ الكامل حال لقاءه: مرحبا بالابن الصالح والخليفة الناصح وهو عين معنى العبارة التى كررها الشيخ السهلى ولا نريد الخوض فى تفسير هذه الكرامة وما عناه الأول بالصلاح والنصح والثانى بالبركة والبر للفظى البنوة والخلافة واتفاق اثنين مختلفى المكان والزمان فى التحدث لرجل بعينه ونترك هذا للقارئ الكريم يجول فيه بقلبه حسبما يسر الله تعالى له.

وجلس الأستاذ مع التلميذ ليسأله عن معلومة يبدو جلياً من سؤاله إنه لايجهلها وإنما لحاجة فى نفسه فقال: أعد على مقالة أخى الشيخ عبد العزيز

التباع عند ملاقاتك إياه واجتماعك به فاجابه قائلاً: نعم قال لى: إن أخى سيدى أحمد بن عمر الحارثى قد صفى درهمك ولم يطبعه لك وغير المطبوع فى السوق لا يجوز فها أنا قد طبعته لك.

فأخذ الشيخ السهلى حال عظيم وورد عليه وارد كبير ودار دورة حالية وقال له: هلا قال لك ها أنت وربك. فانتقل حال الشيخ إلى تلميذه الذى امتد مادة قوية وسرى فيه سر تلك العبارة ونورها.

وبهذا تعرف أخى فى الطريق ما يعنيه كون الشيخ السهلى أكبر تلامذة الإمام الجزولى فإن الأمر أوله علم واطلاع وأوسطه عمل وانتفاع وآخره عن السوى انقطاع وبالحق اجتماع، فالشيخ الحارثى هيأ الشيخ الكامل وعلمه وأراه الرسوم والطريق وهو المقصود بتصفية درهم الفؤاد والشيخ التباع وضعه على قدم التحقيق وهو المقصود بطبع درهم اللب والشيخ السهلى تمم الأمر وأكمل الله على يديه المهمة الجليلة بأن اخرج الشيخ الكامل عن توهم سوى الله وأن إلى ربك المنتهى.

ثم إن الشيخ الكامل جدد أخذ العهد على الشيخ السهلى كما أمره بذلك شيخه التباع ويعنى أخذ العهد سريان المدد وانقشاع الحجب وانتقال منهج الشيخ وسره إلى مريده ومن هنا قالوا: المريد سر شيخه فترى أن سر هؤلاء المشائخ الأجلة المذكورين ومنهجهم انتقل إلى الشيخ الكامل وأنهم قد لقنوه مراحل الطريقة الجزولية الثلاث والمسماة بالتخلى والتحلى والتجلى وتفهم جلال هذه المهمة إن علمت أن أحداً من هؤلاء الكمل كما مر بك لم يستطع بمفرده القيام بها وأنها كانت فى واحد وتفرقت فى ثلاث ثم عادت لتجتمع فى واحد إذ يجل جناب الحق عن أن يكون شرعة لكل وارد وأن يصله إلا الواحد بعد الواحد.

وطلب الشيخ الكامل من الشيخ السهلى كتاب دلائل الخيرات والإذن فى قراءته له ولأتباعه فأجابه قائلا: نعم وبهذا أمرت، ثم أتى له بنسخة من الكتاب المذكور كتبها بيده وهى أصح النسخ والمشار إليها عادة فى كتب شرح دلائل الخيرات وغيرها بالنسخة السهلية وقد صححها الإمام الجزولى وكتب على ظهرها وحواشيها ضحى يوم الجمعة 16- ربيع الأول- 862هـ، وذيلها بهذه الابيات بخط يده:

عود لسانك كثرة الصلاة على ... محمد خير مابه قد اشتغل

فهو المصيد به يا أيها الرجل ... فاصطد به الخير لا تصطد به الحيل

ودم عليها لكى تنجى من وجل ... فى القبر والحشر لا تبغى به بدلا

من فى صحيفته من الصلاة على ... محمد قدر سطر يعدل الجبل

وكتب على ظهر آخر صفحة من الكتاب:

كتبت كتابى قبل نطقى بخاطرى ... وقلت لقلبى أنت بالشوق أعلم

فسلم عليهم ياكتابى وقل لهم ... مقامكم عندى عزيز مكرم

وقال الشيخ السهلى بعد تسليم الكتاب المبارك إلى الشيخ الكامل: اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك ورسلك وأنبياءك وأولياءك أنى قد بلغت الأمانة لصاحبها، فتناوله الشيخ الكامل وقبله وشكر الله تعالى ثم شكر الشيخ السهلى ودعا كل منهما للاخر ثم استأذنه فى الذهاب إلى مكناس فأذن له.

وقد توفى الشيخ السهلى رحمه الله سنة 918 هـ عن سن عالية جدا ويعتقد أنه فى سن أستاذه الإمام الجزولى.

الإمام الجزولى

قد اتضح لك أن هؤلاء المشائخ الثلاثة أخذ عنهم الشيخ الكامل أخذوا عن القطب الولى الكامل والغوث الحافل صاحب الأنوار المحمدية والاسرار الربانية محمد الجزولى.

وهو شخصية علمية صوفية جديرة بالدراسة والبحث لدوره الريادى فى النهضة الإسلامية فى القرن التاسع والذى يليه ورث القطبانية وغلبه الغنى بالله وظهور الكرامات وانطلاق اللسان بالدعوى وامتد اثره الاصلاحى فى المجتمعات الإسلامية حتى يومنا، حاز شرف العلم والولاية وزانهما بأصله الشريف فهو الحسيب النسيب.

ويكنى بأبى عبد الله ويشتهر باسم الجزولى وجزوله منطقة كانت تقطنها قبائل جزولة بالسوس الأقصى بالأطلس الصغير نزل بها أسلاف الإمام، وسماه سيدنا محمد ﷺ بزين الصالحين فقد ذكر العلامة الفاسى رضى الله عنه: إن الشيخ الجزولى رضى الله عنه لما وقف فى زيارته تجاه الروضة المشرفة قال السلام عليك يازين المرسلين فأجابه النبى ﷺ بقوله الشريف: وعليك السلام يازين الصالحين بصوت عال سمعه من حضره من المسلمين.

وسنرى أن الشيخ رضى الله عنه ذكر هذا النعت للنبى ﷺ فى أحزابه ومؤلفاته.

ولم يكف أعداء الإسلام من المستشرقين وأربابهم فى الغرب والجمعيات المشبوهة التى ينتمون إليها وذيولهم الممتدة كالأخطبوط فى معاهدنا العلمية والثقافية من تلاميذهم واتباع تافه رأيهم وسقيم اطلاعهم ما فعلوه بنا من قاصمات الظهر حتى تدخلوا فى أدق شئوننا وأخص خصوصياتنا فنجد كاتبا كالفرد بل يتعرض لجهاد الجزولية ضد النصارى ونجاحها فى الكفاح بالمال والرجال والسلاح يعود ليشكك بخبث فى نسب الإمام الجزولى مدعيا أنه من البربر[1] ولاصلة له بالنسب الشريف فى محاولة دنيئة للتشكيك فى مسلمات لا تقبل الجدال وليتسلك منها هو أو غيره للتشكيك فى ما بعدها بحجة احتمال خطأ الثانية كما حدث فى الأولى.

والغريب اننا نجد من يسير على رأيه ليس من المستشرقين فقط بل حتى من أذنا بهم الذين رضعوا منهم سمومهم وشربوا باطلهم وبهتانهم، بل ويرفعونهم إلى مصاف المعصومين فيروجوا للبسهم وغشهم على حساب الحقائق والثوابت التى لا تقبل حتى التفكير فى الكلام فيها.

وإننى لا أدرى كيف يقع هؤلاء فى هذه الهاوية ويصدقونهم ويأخذون عنهم مع علمهم وعلم كل أحد ولو كان أميا لا يعرف كتابة اسمه بأنهم لا يأتون بما يقولون إلا من مصادرنا المكتوبة بحروفنا والمسطرة بلغتنا بل وكيف يجيزون لهم التدخل بيننا وبين أسلافنا وبين أبنائنا وأجدادهم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

أقول : إننا لسنا من السذاجة بحين نثبت نسبا خاطئا أو نمحو أصلا ثابتا فهذا علاوة على ما فيه من خيانة لروح العلم الذى أمرنا بصونه وتبليغه فإن فيه مخالفة لصريح الكتاب حيث قال:

---

(1) الفرق الإسلامية الفردبل ص 422.

«**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**[1]»، ولصحيح مارواه مسلم عن رسول الله ﷺ بقوله: «**من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا**».

فلزم تحقيق الأنساب ومعرفة تواريخ الولادة والوفاة والرحلات وما إليها قبل التعرض لها كى لا يختلط الحابل بالنابل ويحصل بسبب ذلك الفساد.

وربما خلط المستشرق المذكور فهناك أكثر من جزولى فى التاريخ كعالم النحو عيسى بن عبد العزيز الجزولى والمدفون أيضا بمراكش، والفقيه عبد الرحمن بن عفان الجزولى المتوفى سنة 741هـ، والعلامة المالكى الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى ناهيك بمن وافقه كنية واسماً ولقباً وقاربه فى تاريخ الوفاة كابى عبد الله محمد بن سليمان الجزولى المتوفى فى 863هـ.

وجزوله قبيلة بربرية بالسوس أقامت فى منطقة فسميت باسمها فحدثت النسبة إلى المنطقة وهو أمر شائع فنجدالمراكشى نسبة إلى مراكش والحلبى نسبة إلى حلب والسكندرى والقناوى والدسوقى، وحتى مكناس التى بها ضريح الشيخ الكامل والتى ربما نسب إليها فيقال ابن عيسى المكناسى اسم لفخذ من قبيلة زناته البربرية يسمى مكناسة منهم فخذ بمنطقة تازا شرق مدينة فاس، وفخذتان بمكناس حاليا وتميزان عن مكناسة تازا بالأضافة فيقال مكناسة الزيتون.

وتلقى الإمام الجزولى العلم ببلده ثم ذهب إلى فاس عاصمة العلم الأولى فى المغرب ودرس بها مختلف العلوم من تفسير وحديث وفقه وأصول وحفظ بها فرعى ابن الحاجب والمدونة وبها ألف كتابه المبارك دلائل الخيرات مستعينا بخزانة جامع القرويين أكبر مكتبة موجودة آنذاك.

---

(1) الاحزاب 5.

وخرج فى رحلة إلى المشرق طاف بها بكبريات حواضر الإسلام والتقى فيها بالكثير من العلماء بالقاهرة ومكة والمدينة عند تأديته لفريضة الحج، وزيارته للقدس أعادها الله واقامته بها مدداً مختلفة.

وأقام ثلاث سنين فى الحرم النبوى المشرف معتكفا على قراءة كتابه دلائل الخيرات وكان ورده فى خلوته كل يوم ختمتين فى دلائل الخيرات ومائة ألف بسم الله الرحمن الرحيم، ويختم كل ليلة ختمة وربعا من القرآن الكريم.

ورجع إلى الساحل بالمغرب فشاء الله تعالى أن يجمعه بالشيخ الكبير أوحد وقته وفريد عصره محمد امغار الصغير[1] - وكلمة امغار بربرية تعنى رئيس أو زعيم- وهو رجل من أهل رباط تيط فى عين القطر قريه بساحل، ازمور قرب الجديدة.

وتم هذا اللقاء المبارك بدكاله فصحبه مدة طويلة وتلقى على يديه الطريقة الشاذلية العلية وأفلح بمجالسته وفاز بملازمته ودخل بأمره الخلوة بثغر أسفى وقضى بها نحو أربعة عشر عاما ثم خرج منها بأمره كما دخلها وقد ازداد جلالا إلى جلاله وكما لا إلى كما له فاستنارت ببركته الأقطار وأشرقت بصباح وجهه الأنوار وفاحت بروائح طيبه الأسرار وتاب على يديه خلف كثيرون وتلقى منه الذكر والأوراد ما لا يحصيهم إلارب العباد وانتشر ذكره فى الآفاق ورويت عنه الشمائل الجسيمة والمناقب الفخيمة التى يحار فيها ثاقب الذهن وزكى الالباب.

وكان شديد التمسك بالكتاب والسنة واقفا عند حدود الله ذاكر المولاه مكثرا من الأوراد.

(1) انظر ما ذكره التادلى فى التشوف والتجيبى ومحمد بن عياض وغيرهم فى مناقب آل امغار الأشراف الحسينيين.

ويبدو أن والى أسفى على عادة أهل الدنيا إذ لا عدو لهم إلا الصالحون خافه على جاهه ومكانته ومن قبله أخرج ذو النون المصرى وأبو يزيد البسطامى وسمنون وأبو سعيد الخراز وسهل التسترى ومحمد البلخى والحكيم الترمذى والبوشنجى وأبو عثمان المغربى وأبو بكر النابلسى وغيرهم بتهمة قديمة وثقها الله تعالى فى كتابه بما حكاه عن الطواغيت: «**فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**»[1].

فأهل الدنس والرجس والطاهرون لا يلتقون ولا يجتمعون.

فانتقل رضى الله عنه إلى أفوغال بمنطقة مطرازة وأقام بها على حالته لا غيرته المحن ولامرارة البعد والاغتراب، فمن كان شغله لله وبالله استوى عنده التبر والتراب والراحة والنصب يربى المريدين ويرشدهم إلى سبيل الهدى والدين ويحضهم على التمسك بحبل الله المتين، فانتشر به التوحيد ولهجت بذكر الله تعالى والصلاة على رسوله الألسن فى سائر البلاد، وحتى اليوم لا يخلو قطر من قراء لكتاب دلائل الخيرات إذ ترجم إلى العديد من اللغات رغبة من العباد فى التقرب إلى بارئهم بالصلاة على حبيبه كما أمر.

وكثر أتباعه فى كل صوب فأحيا الله تعالى به البلاد وقلوب العباد بعد دروس الآثار وخبو الأنوار.

وكما ذكرنا فقد كان للإمام الجزولى أسلوبه المميز فى الدعوة إذ كان يبعث كبار أصحابه فى البلاد كالشيخ السهلى والشيخ عبد الكريم المنذارى كل منهم فى ملأ من أصحابه يدعون الخلق إلى الله تعالى ويجلبونهم إلى طريقه سبحانه.

---

(1) النمل 56.

ولهذا الأسلوب سبب جميل تحدث عنه الإمام فقال: قال لى سيدنا أبو العباس الخضر عليه السلام: يانعم الحبيب أمرتك أن تصرف أصحابك فى البلدان ليجلبوا لك أهل السعاده. ومن المشهور عن الإمام رضى الله عنه وأتباعه كثرة لقيا الخضر عليه السلام[1]، وسار على النهج نفسه الشيخ الكامل حتى إنه كان يجمع به من يرى فيه المقدره على ذلك من أتباعه، وحدث أن الشيخ محمد بن عمر المختارى تلميذ الشيخ الكامل طلب من شيخه أن يجمعه بالسيد الخضر عليه السلام فأجابه بحنو وشفقة قائلا: ياولدى أخاف عليك أن لا تستطيع رؤيته، فقال له: سألتك بالله اجمعنى به ولو كان فى ذلك اتلاف روحى فاجابه الشيخ قائلا: نعم يا ولدى فانت أهل لذلك اجلس هاهنا حتى آتيك.

وقام ودخل إلى خلوته وغاب ساعة ثم خرج ومعه رجل أبيض اللون مشرب بحمرة طويل القامة وعليه ثياب بيض.

قال الشيخ محمد المختارى: فلما وقع بصرى عليه ارتعدت من عظيم هيبته وكثرة أنواره، وقد ثقل جسمى وانخرس لسانى عن النطق فجلس بازاء الشيخ رضى الله عنهما وتحدثا بكلام خفيف ثم التفت سيدنا الخضر نحوى وقال للشيخ: يا سيدى محمد استوصيك خيرا بابن عمر فإنه سيصير له شان عظيم.

ثم لما أراد الانصراف قرأ هو والشيخ فاتحة الكتابة ثلاث مرات وسورة لإيلاف قريش ثم صليا على النبى ﷺ وخرج وقام معه الشيخ وشيعه إلى باب الزاوية وأنا باق على حالتى، فلما رجع الشيخ وضع يده المباركة على رأسى فذهب عنى ما كنت أجده من الثقل فى أعضائى وانطلق لسانى ورجعت لما كنت والحمد لله.

---

(1) انظر مطالع المسرات العلامه الفاسى ص 354.

فأخذت يد الشيخ وقبلتها، فقال لى: يا ولدى ها أنا قد جمعتك بالسيد الخضر عليه السلام وأجمعك إن شاء الله بسيد الوجود ﷺ.

وعلى كل فقد تزاحم الناس على الطريق وأخذوا عن الشيخ الجزولى حتى إنه اجتمع بين يديه من طالبى قرب الله ومبتغى ثوابه ورضاه 12665 مريدا نال كل منهم على يديه من الخير على قدر ما كتب الله له وهو يربى الجميع على اختلاف مشاربهم وأهوائهم ويحدثنا الإمام عن محادثة الطيفة مع سيدنا الخضر عليه السلام يشجعه فيها على الإكثار من قبول المريدين وحض الناس على التوبة إذ قال له: يانعم الحبيب إن استطعت أن تقص[1] سبعين ألف مرة فافعل كل مرة يزيد ذلك نورا وبرهانا وبيانا ببركات الحبيب محمد ﷺ، فطوبى لمن جعلت يدك على رأسه.

وقد مات رضى الله عنه مسموما وهو ساجد سنة 870 هـ- 1465م بأفوغال بقبيلة الشياظمه ناحية الصويرة وبها دفن أولا، وأرخ الشيخ أحمد زروق[2] لوفاته فقال: مات فى صلاة الصبح إما فى السجدة الثانية من الركعة الأولى أو فى السجدة الأولى من الركعة الثانية فى 16/ ربيع الأول/ 870 هـ.

ثم نقل إلى مراكش بعد سبع وسبعين سنة من موته حين خاف السلطان وقوع سوس فى يد النصارى فوجدوه يوم إخراجه كهيئته حال حياته لم تعد عليه الأرض ولم يغير طول الزمان من أحواله شيئا وأثر الحلق من شعر رأسه ولحيته ظاهر كحاله يوم موته إذ كان قريب عهد بالحلق، ووضع بعض الحاضرين أصبعه على وجهه حاصراً بها الدم عما تحتها فلما رفع أصبعه رجع الدم كما يقع ذلك فى الحى.

---

(1) القص اصطلاح يقصد به التوبة وأخذ العهد والدخول فى الطريق.

(2) الكناش أحمد زروق ص 26.

ولاغرو فمحب الله حى ليس له من الموت سوى ترك دار الهوان إلى دار الكرامة والجنان فما بالك بمن بشر فى حياته، قال الشيخ محمد الأندلسى دفين مراكش: كان سيدنا محمد بن سليمان الجزولى الشاذلى على محبة عظيمة لرسول الله ﷺ، فقد قيل له: فضلتك على أهل عصرك بكثرة صلاتك على حبيبى محمد.

وتبركا به وضعه المسلمون على سرير بين صف المسلمين فى معارك السوس وصف النصارى فهزم جيش الكافرين وباتوا وأموالهم وأسلحتهم غنيمة لجيوش الإسلام المنصورة، وحفظ الله تعالى كامل السوس ببركته من الضياع ثم نقل إلى مراكش ودفن بمنطقة بها تسمى رياض العروس.

وقد ألفت عنه العديد من المؤلفات وكتب عنه فى عشرات المراجع التاريخية والصوفية وذكر الوافر من مناقبه وكراماته، وله رضى الله عنه العديد من الأحزاب وسنذكرها لاحقا إن شاء الله تعالى.

وبالإضافة إلى كتاب دلائل الخيرات الغنى عن التعريف له كتاب اسمه: النصح التام لمن قال ربى الله ثم استقام. تكلم فيه مع أصحاب الحرف المتداولة وحذر كلا مما يقطعه عن الله تعالى.

أما فى مجال التصوف فأصح الأسانيد الشاذلية الموجودة الآن على الإطلاق هى التى تتصل بالإمام الشاذلى عن طريق الجزولى.

وقد أخذ الجزولى عن أبى عبد الله محمد امغار الصغير عن أبى عثمان سعيد الهرتنانى عن أبى زيد عبد الرحمن الرجراجى عن أبى الفضل الهندى عن عنوس البدوى راعى الإبل عن أبى العباس القرافى عن أبى عبد الله المغربى عن الشاذلى رضى الله عنهم ونفعنا بعلومهم وأسرارهم.

أما ما روى عن القطب الغزوانى [1] رضى الله عنه من قوله: إنه أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع الذى أخذ عن الجزولى الذى أخذ عن أبى محمد عبد العزيز العجمى بالجامع الأزهر فى رحلته إلى المشرق الذى أخذ عن الشاذلى فإنه لا يصح.

وغالبا ما تكون هذه الرواية مما لا ينقصه الدقة فى النقل أو يعتريه الخطأ عند النسخ فأخذ الجزولى عن العجمى صحيح ومشهور أما أخذ العجمى عن الشاذلى فمعلول وبه انقطاع جلى إذ بين وفاة الشاذلى فى 656هـ وولادة الجزولى نحو مائة وخمسين سنة تقريبا مما لا يمكن أن يتم الأخذ فيه إلا بثلاث وسائط فما فوق.

وربما كان مقصد القطب الغزوانى أن طريقته تنتهى إلى الإمام الشاذلى لاذكر السند والله أعلم والصحيح هو السند الأول وهو ما أملاه الشيخ الكامل على أتباعه والموجود بأسانيدنا فى الطريقة العيساوية إلى النبى ﷺ.

وتتفرع من الجزولية:

1- **الطريقة العيساويه:** أخذها الشيخ الكامل عن الشيخ الحارثى عن الجزولى.

2- **الطريقة الحمدوشية:** أخذها على بن حمدوش العلمى العروسى

(1) هو الشيخ أبو محمد عبد الله بن عجال الغزوانى أحد سادات الجزولية يعجز اللسان عن الإيفاء بحقه، من قبيلة عرب غزوان ووهم البعض فجعله علويا، تعلم بفاس وصحب التباع ولاحدّ لمناقبه وكان من عادته إذا رأى من تحرك فى حلق الذكر أو قصر فى الخدمة ضربه بعصا لا تفارقه توفى فى 935 هـ.

المجذوب عن محمد الحفيان عن والده محمد أبى عبيد الشرفى عن والده أبى القاسم الجابرى وعبد الله بن ساسى [1] كلاهما عن الشيخ التباع عن الجزولى.

3- **الطريقة الوزانية:** أخذها مولاى عبد الله الشريف العلمى الوزانى عن على بن أحمد الصرصرى عن عيسى بن الحسن المصباحى عن محمد بن على الزمرانى المعروف بالطالب عن القطب الغزوانى عن التباع عن الجزولى.

4- **الطريقة الريسونية:** أخذها عبد الرحمن بن عيسى بن ريسون وشقيقه على عن القطب الغزوانى عن التباع عن الجزولى.

5- **الطريقة البقالية:** أخذها محمد بن علال الحاج البقالى عن أبى الشتاء عن القطب الغزوانى عن التباع عن الجزولى.

هذا عن الطرق التى لازالت معروفه بأسمائها أماما حمل اسمها أسماء المشائخ الكرام ممن جاء بعد وتفرعات الطرق فتعد بالمئات.

وقد كان للشيخ التباع اليد الطولى فى إعطاء الطريق ونشر المنهج الجزولى ثم ورثه الشيخ الكامل يلاحظ هذا بسهولة دارس الأسانيد الصوفية وتراجم السادة أهل التصوف رضى الله عنهم.

وينسب أيضاً للجزولية الكثير من العلماء والأولياء كالقطب الغزوانى 935هـ والشيخ قاسم الخصاصى 1083هـ، والشيخ عبد الله القليز 1093هـ، والشيخ محمد الوالى، والشيخ أحمد بن عطية السلوى، والشيخ عبد المالك الغمرى، والشيخ أبو سعيد احنصال 1114هـ، والشيخ محمد الدريج 1136هـ، والشيخ أحمد التساوتى 1127هـ، والشيخ حمزة اعياش 1129هـ، والشيخ

(1) وببعض الأسانيد أن الشيخ عبد الله بن ساسى أخذ عن القطب الغزوانى عن التباع عن الجزولى وهو إسناد يقبل الصحة ويؤيده التاريخ وإن كان المذكور أعلاه أصح بكثير.

محمد الفاسى 1134هـ، والشيخ معن 1134هـ، والشيخ محمد السوسى 1148هـ، والشيخ محمد الصنهاجى 1145، والشيخ عبد الكريم الكرزازى 1155هـ، والشيخ صالح الشرقى 1139هـ والشيخ أحمد السوسى 1151هـ، والشيخ المعطى الشرقى 1185هـ، وغيرهم من سادات الرجال أولى الفضل والكمال.

وقد عانى الإمام الجزولى كثيرا من أعداء الدين وأنصار الباطل فأخرجوه من بلده وضيقوا عليه وحين رآوه صامدا كالجبل الأشم لا يزداد إلا سموا ولا يزدادون إلا انحطاطا روجوا لا شاعة مفادها أنه المهدى المنتظر فدعا عليهم فآذنهم الله تعالى بالحرب كما توعد من عادى أوليائه فما كان منهم إلا أن كادواله فى الظلام بأساليب السوقة والسفلة المعهودة ودسوا له السم ففاز هو بالشهادة وبقاء أثره الطيب وعلمه المنتفع به يزيد فى ميزان حسناته إلى يوم البعث وألقى ذكرهم وأثرهم فى سلال نفايات التاريخ فهل تحس منهم من أحد أو تسمع له ذكرا.

يحدثنا الشيخ التباع عن ما قاله أستاذه ليلة وفاته وهو الذى ما فارقه قط فيقول: خرج الجزولى ذات ليلة وهى التى قتل فى صبيحتها فقالوا له: يا سيدى الناس يزعمونك الفاطمى المنتظر فقال: ما يبحثون إلا عمن يقطع رقابهم الله يسلط عليهم من يقطع رقابهم وكرر ذلك مرارا فكانوا يرون أثر دعوته ظهر فى عمر والسياف[1].

وتوفى رحمه الله عن زوجتين وابنتين ولم يعقب أولادا ذكورا جعل الله الفردوس قراره ومثواه وحشره فى زمرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

---

(1) الاستقصا لاخبار دولة المغرب الاقصى الناصرى الدولة المرينية القسم الثانى جـ 4 ص122، والسياف هو عمر والمغيطى الشياظى السفاك المشهور فى تاريخ المغرب.

من كلام الإمام الجزولى:

أعلم أخى السالك نور الله قلبك وقلبى أن أهل الله سبحانه هم أهل العلم به وهم الحاملون على وجه التحقيق لحقائق التوحيد المضنون بها على غير أهلها ومن ذاق طعم الأنس بربه نسى فى جنبه تقصيره الضرورى والتجأ إلى فضله سبحانه وإحسانه الحقيقى، وهؤلاء الخاصة هم الذائدون عن حمى أخلاق الإيمان بالقول والفعل إلى أن يبقى الله سبحانه كما لم يزل وهم كما لم يكونوا سرمدا، ذلك أن الحس والمحسوس حجاب عن الملك القدوس.

فإذا ظهر سلطان الحب أحيا القلب وأحرق الهوى وتحتم لهذا على هذه الصفوة من الأصفياء أن يعلموا الخلق بعلمه سبحانه لا لشئ سواه. ولذا تجد كلامهم كما وصفه الأستاذ ابن عطاء الله قوت لعائلة السامعين، وتجد عباراتهم ثابتة الرواية عن ربهم صحيحة الإسناد عن محبوبهم فلا يحدثون بغيره ولايدلون على سواه.

فلكلامهم حلاوة وطلاوة ولألفاظهم معانٍ قاصيات ودوانٍ فمن استمع إليهم وذاق من لذيذ كلامهم ساقه إلى لزوم قرع باب الملك القدوس وحظى بالوصول إلى الجناب المقدس المحروس وارتوى من مشاهدة الجمال براح الكؤوس، وانساق إلى الأنس بمجاذبة الأرواح مع المحبوب فى مجالس القرب إذ من لم يأنس بمحادثته عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره.

وكلام الإمام الجزولى إن جلت فيه بقلبك وتركت عنك أوهام عقلك القاصر وذقت حلاوة أثره فى فؤاد السامع من أهل الطريق الذين يعرفون فحواه وينصبونه علامات فى طريق سلوكهم عرفت سمو درجة قائله ومكانته، أما إن كنت من أرقاء الهوى ممن لا يفرقون بين الليل والنهار والنور والظلمة راقدى

المساء مضيعى اليوم المغبرون بتراب الشكوك وأوساخ الأوحال فأنصحك بعدم قراءته بل وبعدم قراءة كل الكتاب فهو ليس لك ولا يخصك.

فإننى لم أكتبه إلا لأهل المعرفة والجمال والهيبة والجلال وذوى التحقيق والمعنى الدقيق من أهل الصدق أو التصديق.

فقال رضى الله عنه موضحا لحقيقة مهمة يجب أن لا يجهلها المريد فى بدايته: (ليس كل داع وجب اتباعه).

فلزم أن يُتبع فقط أهل الإرادة من المؤهلين للتقدم الأمر الذى يوجب معرفة صفتهم وحليتهم فيقول: «الشيخ الواصل الذى يأخذ العلم من الله بلا واسطة، والمقطوع هو الذى سلك طريق المجاهدة ولم يصل إلى طريق المشاهدة فرجع إلى الخلق يدعوهم إلى الله فدعاؤه على الحقيقة إنما هو للمجاهدة فقط لأنه لم يصل إلى المشاهدة.

والواصل هو الذى وصل إلى مقام المشاهدة وغاب فى أنوار الكمال ولم يشغله شئ عن الملك الحق وهو الذى إن رجع إلى الخلق رجع بأنوار وعلوم وأحكام من تبعه تعلم وتنور وفهم ما لم يفهمه غيره من أتباع المقطوعين).

وبما أن السالك قد تاب إلى الله تعالى وترك ما كان فيه من إفراط وتفريط ولزم شيخاً عارفا واصلا فلزم أن يتحدث الإمام عن مقامات الذكر وهو عمدة الطريق وعمودها فيقول: (لكل ذكر فكر ولكل فكر نور ولكل نور سر ولكل سر عبادة ولكل عبادة حضور ولكل حضور شهود ولكل شهود هيبة ولكل هيبة تعظيم ولكل تعظيم تنزيه ولكل تنزيه تحميد ولكل تحميد تقريب ولكل تقريب حديث ولكل حديث فهم ولكل فهم لذة ولكل لذة شوق ومن لم يسلك هذه المقامات فعليه بمجالسة أهلها).

أما إن أصاب الذاكر وسواس شغله عن سيره فإن الأستاذ يشخصه ويحدد علاجه قائلا: (الوسواس يأتى من مخالطة أهل السوء).

وبعد أن عرف المريد المرض وتناول الدواء وانقطع عن صحبة من لا خير فيهم يعود به الأستاذ إلى كيفية الذكر ومدارجه ومعانيه فيقول: (عليك بذكر لا إله إلا الله فإذا قلت لا إله كنت فانيا عن جميع الوجود فإذا قلت إلا الله رفعت الهمة الأولى إلى الرب، وإذا قلت إلا الله غابت صفتك بصفاته وتجلت ذاتك بذاته فكنت ربانيا عما سواه، فإذا قلت لا إله كنت متحيرا بوجودك لا تدرى أين تمشى ولا أين تمضى فإذا كنت على هذه الصفة أثبت الصفة القديمة لله فإذا أثبت له الصفة القديمة فتقول إلا الله.

فإذا قلت لا إله نظرت إلى الوجود بعين الفناء وإذا قلت إلا الله نظرت إلى الله بعين البقاء فيكون ذكرك مستويا مع قلبك، الجسم للفناء والقلب للبقاء والقلب للفناء والسر للبقاء والسر للفناء والرب للبقاء وكان الله محيطا بجميع الأشياء استنارت قلوب العارفين بنوره وأنفسهم بقربه أيها المريد، فعليك بقربه يامسكين تكن حيا أبدا).

ويتحدث عن الصحبة وأثرها وفائدتها وكيف أنها لا تكون إلا بأهل الله وحزبه وبالمشائخ العارفين الواصلين، والابتعاد عن الغافلين والشاكين والجاحدين وقساة القلوب لما للصحبة من أثر يسرى وحال يعدى فيقول:

(مخالطة العموم تذهب بنور القلب وهيبة الوجه ومن مات على مخالطة العموم جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر المخسوف لانورله فليجتهد العاقل فى مخالطة الخصوص، وفى مخالطة الخصوص ثلاث خصال:

(اكتساب العلم وصفاء القلب وسلامة الصدر).

ويحدد سبيل الفلاح والنجاح فيقول ما قاله السادة الصوفية قبله: (ما أفلح من أفلح إلا بمخالطة من أفلح).

ويحدد رضى الله عنه العلم المستفاد من صحبة الخواص وثمرتها الطبيعية فيقول: (أول العلم النافع العلم بالله وبصفاته ثم العلم بأحكام الله وبأمره ثم العلم بآفات الأرواح ثم العلم بآفات الأسرار ثم العلم بآفات الحضرة ثم العلم بآداب المجالسة ثم العلم بآداب المراقبة ثم العلم بآداب المشاهدة ثم العلم بآداب المحادثة ثم العلم بآداب المكالمة ثم العلم بآداب الاستماع ثم العلم بآداب الإلهام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم).

ثم يوضح رضى الله عنه الأدب الموصل إلى هذه الدرجة من العلم المستفاد بالصحبة الصالحة فينصح المريد بأن يكون: (كلامه حكمة، وصمته تفكرا ونظره اعتبارا وفرحه بالله وبأنبيائه وأوليائه وحزنه على نفسه وما يصدر منها).

ثم لا ينسى كإمام كبير من أئمة التصوف العظام أن يضع نصب عينى المريد حقيقة هامة جدا هى فى الواقع إحدى الأسس الرئيسة فى السير على المنهج الصوفى فالله تعالى لا يلزمه فعل شئ فإن أعطى فبجوده وكرمه وإن منع فبعد له وحكمته لا معقب لحكمه يفعل ما يشاء بمن يشاء كيف يشاء لايسئل عما يفعل وهم يسئلون:

الخير فى الرضا وعلى المريد الصادق أن يقدم عمله فى ثوب من الانكسار والذل والعبودية الخالصة ويرجو الله ربه أن يتقبله بمحض كرمه فالجميع عبيد لله الواحد القهار محتاج إلى رحمته وعفوه وإن علت درجته وسمت مرتبته فيقول:

إذا شـهدت يوم العـقاب جوارحى فكيف خلاصى من ظهور قبائحى
إذا قـالت العـينان تذكـر ساعة نظـرت بنا للمنـكرات القبـائح
وقالـت لسـانى كم لفظت بباطل وكـنت إلى العـصيان أول رائـح
وقالـت يداى كـم تناولـت مأثما فوأسفى إن كنـت غير مسامح
وقـالت لى الرجـلان سرت لمحرم وعشـت ولم تسمع مقالة ناصح
فـإنى إلى نـار تلـظى وقـودها أسـاق ذلـيلا خاسـرا غير رابح
فإن من ذو الاحسان بالعفو والرضا نجـوت والإكـنت رهين قبائحى

ويحـدد رضى الله عنه بدقـة مـسار المريد الصادق مـزيلا للبس كـبيـر يعترض المبتدئ وهو إشراك الغير مع الرب فى بيته الذى هو القلب ولو كان هذا الغير ممدوحا كاكتساب طاعة أو إقامة نافلة.

فهذه الطاعات إن اكتسبت بالله فنعما هى وإلا فإنها حجاب كثيف من الران على القلب فيقول: (لا تشتـغلوا بالنفوس ولا بالقلوب، ولكن اشتـغلوا بتعظيم علام الغيوب).

ويتكلم رضى الله عنه كلمة التـوحيـد بجميـل عبـارة السادة الصـوفـية ونبيل إشارتهم فيقول: (أيا من تحلى بكثرة الحلل وكثرة الحكم فعليك بذكر لا إله إلا الله أيها المريد احذف الالف واللام تجد لذة عبـادتك وتشاهد ربك، احذف الالف واللام فإذا حذفته كنت من أهل اليقين ومن أهل الشهود فإذا قلت لا إله كنت فانيا عن جميع الشهود فإذا قلت إلا الله كنت باقيا ببقاء ربك).

ويشرح العـارف بالله الشـيخ عـبـد الرحمن الفـاسى رضى الله عنه هذا الكلام المسطور كالجوهر المنثور فيقول: فى هذا الكلام الترقيـة من حالة الأبرار إلى حالة المقربين فإن الأبرار مطلبهم ما عند الله، ومطلب المقربين الله لا غيره.

أشار بحذف الالف واللام للفناء لأنه السبيل للمشاهدة وذلك حاصل من نفى الشعور بغير الله وعند ذلك يشاهد الله كما فى إشارة إن لم تكن تراه، لكون الالف واللام متجه حذفه فى اسم الجلالة، وأما الهللة فالمتجه التعبير بحذف لام الألف، والإشارة بالحذف إلى كون الذاكر هو المذكور بورود مادة الحق على القلب فينمحى العبد وكسبه ويكون الله ذاكرا لنفسه وتلك موهبة محضة قد انطوى فيها وانحذف وجود العبد وكسبه.

لكن إن بقى مع ذلك شعور بالوارد كان العبد من أهل اليقين والمشاهدة ولم يكن من أهل الاستغراق حتى يفنى عن الشعور بالكلية فحينئذ يكون إما من أهل الجمع المطلق والاتحاد [1] المحقق أو من أهل البقاء إذا مد بسره فيكون ذاكرا ربه بربه من غير شعور بوجوده ولا بكسبه وإنما يجرى ذلك عليه. ا. هـ

وحيث أن الاتباع فى عرف الطريق هو بالاستقامة على أوامر الشرع ونواهيه فإن ثمرته هى الفوز برضا الرحمن والسكنى فى الجنان لا سيما وأن للسادة المشائخ الكرام عناية أزلية ورعاية ربانية فيقول رضى الله عنه: (عنايتى فى الأزل مصبوغة بالذهب والفضة يا من أراد الذهب والفضة فعليك باتباعنا، ومن تبعنا يسكن فى أعلى عليين فى دار الدنيا والآخرة).

---

(1) المقصود بالاتحاد هو الغيبة عن السوى لا اتحاد الذات بالذات إذ انه يوجب المجانسة وجنس المخلوق غير جنس الخالق وهو باطل قطعاً.

الشيخ الكامل فى مكناس

مكناس بدايات القرن العاشر الهجرى والشيخ الكامل قد تمهر فى علوم الظاهر فى فاس وتصدر التدريس فى الجامع الأعظم بمكناس الذى كان يغص بكبار العلماء ونوابغ الفقهاء وتفرد فى علوم التصوق ونهل من موارد أهل المعارف الذوقية والمشارف العلوية من أكابر السادة الصوفية فى عصره وهم الشيخ الحارثى والحرار والسهلى، وحاز الخلافة الشاذلية والوراثة الجزولية.

ويضع أساسات الطريقة العيساوية أقدم فروع الشاذلية فما بدل اسمها أو غير نسبتها أكابر مشائخها الذين ورثوا عن شيخهم الكامل أسراره وأنواره بالرغم من تقدمهم فى الطريق وعزهم الممدود وفضلهم المشهود بل لازالوا بتلك الأمانة الكريمة يورثها خلفهم لسلفهم لا تغيير ولا تبديل لكمال منهجها وتمام أسلوبها وجلاء مكارمها ودنو ثمراتها وتواتر كراماتها فهى على ما كانت عليه أيام شيخها رضى الله عنه.

وإذ علمت أن لكل طريقة اصطلاح وقتى يوضع لملائمة الزمان والمكان والإخوان وأن هذا هو السبب فى جعل الطرق تتفرع لتفرعات كريمة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها وتأخذ بأيدى السالكين حسب ما هم عليه فى زمانهم ومكانهم علمت أنه بهذه الطريقة من الكمال والتمام الشئ العزيز الكثير إذ وافقت الأزمنة والأمكنة والأفئدة منذ زمانها وحتى يومنا هذا.

وتنورت كل مكناس بوجوده فيها وتكاثرت عليه وفود الراغبين والطالبين وعلاصيته وانتشر ذكره ونفع الله به العباد والبلاد وظهرت بركته للعيان

وتحدثت بفضائله الركبان وجلس للتربية وإفادة المسترشدين، وكان أول من جدد عليه العهد أتباع شيخه الحارثى رضى الله عنه.

به افتخرت مكناس لما بدابها — وحق لها الفخر المشير مؤبدا

هنيئاً لأهل الغرب إذ كان فيهم — به أمنوا من كل سوء مع الردى

ففى كل وقت سره متجدد — وجوده بحر بالعطا متعودا

ولم أر قطبا حاضرا كل لحظة — لأتباعه غير ابن عيسى على المدى

يصف الشيخ الغزال مكناس وقد تشرفت بقدوم الشيخ الكامل إليها فيقول: استنارت به البلاد وحصل به نفع كثير للعباد وصار وجهة للطالبين وحجة للمسترشدين وصار الناس يتزاحمون عليه بقصد التبرك والأخذ عنه وقد شاع صيته وذكره فى سائر أقطار المغرب وكثرت أتباعه وانتشرت طريقته وصارت الوفود ترد عليه بالألف المئين حواضر وبوادى يأخذون الطريق منه[1]

وينقل من كتاب للشيخ الفجيجى[2] كيف أن الشيخ الكامل كان يستقبل كل من يرد عليه ويحادثه حسب مقامه وعقله فهناك كلام للخواص ممن

(1) النور الشامل أحمد المهدى الغزال ص 14.

(2) هو الشيخ يوسف بن أبى مهدى عيسى الفجيجى: كان كثير الكرامات وله فى علم الأحوال والمعاملات وأسرار الذكر الخاص الشأن الذى لا يدرك وكان الغالب عليه الخمول جاور بالديار المقدسة بعد وفاة شيخه حاجا ومعتمرا 16 سنة ورجع إلى المغرب ثم عاد سنة 957هـ إلى الديار المقدسة وقدنيف على الثمانين سنة وكان ذلك آخر العهد به. وصف أستاذه الشيخ الكامل بقوله كان إكسير الحكمة ومغناطيس الأرواح من صحبه ساعة أنهضه حاله ودله على الله مقاله، وهو شيخ العلامة محمد بن عسكر الشفشاونى صاحب دوحة الناشر وكان قد أخذ عليه الطريقة العيساوية فى 955، ولهذا صدر به كتاب الدوحة.

نالوا حظا من المعرفة وقبسا من أنوار الولاية، وهناك كلام لمن قصرت مواهبهم وعلومهم وكل ميسر لما خلق له فيقول:

كان رضى الله عنه يتكلم مع خواص أصحابه من مادة عين الرحمة، ويبشرهم بفضل الله تعالى دنيا وأخرى يتكلم مع كل واحد منهم على قدر ذوقه ويصف له من المعارف على وسع طوقه وكان له التصريف النافذ فى القلوب والقوالب ويمد كلا منهم من مدد الله ومدد الله غالب[1].

ويقسم الشيخ الفجيجى مريدى الشيخ الكامل إلى أربعة أصناف فيقول: كان رضى الله عنه كثير الأتباع:

1- فمنهم من سبقت له سابقة عناية فأدرك بصحبته الولاية فهم أهل الإرادة والتحكيم.

2- ومنهم من فاز بالخير والنجاح والفلاح وتهيأ إلى الصلاح.

3- ومنهم من حصل لهم التبرك والهداية والتوفيق والرشد والدراية.

4- ومنهم من حصل له الانتساب إلى الجناب والتشبه بذوى الألباب[2].

ثم يذكر خاصية من خصائص الشيخ لكل وارث محمدى منها نصيب هى لب الدعوة وصفة لبصيرة المشار إليها بقوله تعالى: «قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وما أنا من المشركين»[3] وهى محادثة كل سامع على قدر عقله فيصف الشيخ بقوله: إنه يتكلم على اللاتف بحال

---

(1) - (2) النور الشامل أحمد المهدى الغزال ص 14.

(3) يوسف 108.

المستمعين ويعطى كل ذى حق حقه ويمد كل منهم تارة بلحظة وتارة بلفظه ويسمع كل من الآخذين عنه كلاما يفيده فى طريقه ويمده فى تحقيقه[1].

أما أسلوب الشيخ الكامل فى الحديث وطريقتة فى إيصال معانيه لجماعة السامعين فيوضحها الشيخ الفجيجى بقوله: أعطاه الله سبحانه وتعالى الترجمة وحسن التعبير مع ضرب الأمثال وإفراغ الحقائق فى قوالب العبادات والعادات ويؤيدها بشواهد الشرع.

ثم يرينا أثر هذا الأسلوب الجميل فى الدعوة إلى الله تعالى وما يحدث من أثر فى قلب المستمع ووجدانه وما ينتج عنه فيقول: قد كسا الله كلامه نورا فكان يتأثر بكلامه الحاضرون وتشرق بواطنهم وتنهض بحاله ومقاله هممهم ويفهمون عنه من معنى ما هم فيه بل كل يرى أن العبارة توجهت إليه فلا تصعب عبارته على المبتدئ ولا يستوفى إشارته المنتهى وكانت عنده الكيمياء الجزولية الخالصة المرضية التى تقلب الأعيان وتحيل نحاس النفوس إبريزا فى أقرب زمان فتقلب ظلامها نورا وأحزانها سرورا[2].

ولكل سائر فى طريق القوم مجاهدات وأحوال فإن ثبت الحال سمى مقاما وهو ما عليه باطن السالك قال العلامة عبد الرحمن الفاسى فى الابتهاج متحدثا عن حال الشيخ الكامل: كان مقامه فى مشاهدة الواسطة مشهد الروح واقفا فى مقام هيبة الجلال مفارقا سره عالم الخلق مستوطنا عالم الأمر تابعا لمشهوده وهو روحه ﷺ فليس له مع غير الله قرار ولا عما سوى الله إخبار.

ومعنى هذا أن الشيخ الكامل كان فى موقع المشاهدة التامة لروح النبى ﷺ إذ تتدرج المشاهدة من الصفات إلى المثال إلى الروح وقد أشار رضى الله

(1)- (2) انظر النور الشامل أحمد المهدى الغزال ص 15.

عنه إلى هذا فى حزب الإبريز بقوله راجيا من ربه أن يديم جمعه برسوله ﷺ ويزيد فى محبته: ولا تحل بينى وبينه طرفة عين وغيبنى فى محبته واجعلنى مأمونا فى كنف حرزه كما وعدنى وعدا سمعته منه وعاهدنى عهدا نتج منه عهد الصادقين وصافحنى براحته الشريفة فتشبكت الأصابع حتى أدركت الغرض وقال لى ما أخفيته وأنت أعلم به منى.

وهذا هو المراد بمقام مشاهدة الواسطة إذ الواسطة هى الرسول ﷺ وفق ما تعارف عليه السادة الشاذلية وقد صافحه الشيخ حتى تخللته أسرار الذات المحمدية وأنوارها ، وينتج هذا المقام الامتثال التام للسنة النبوية المشرفة والتشبث بأوامرها ونواهيها ومن هنا نعرف لماذا يقال: إن جميع الأولياء شربوا من بحر النبى ﷺ والشيخ ابن عيسى غرق فيه.

وقوله واقفا فى هيبة الجلال يراد به مقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وغلب على أهل هذا المقام الجلال ليقينهم المطلق بأن الله معهم ناظر إليهم يراهم ويطلع على ظواهرهم وسرائرهم.

ومفارقة عالم الخلق واستيطان عالم الأمر هو الفناء وهو استيلاء من الحق سبحانه على العبد فيغلب كون الحق سبحانه على كون العبد وينقسم إلى فناء ظاهر وهو أن يتجلى الحق بطريق الأفعال ويسلب عن العبد الإرادة والاختيار فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا إلا بالله.

وفناء باطن وهو أن يكاشف أحيانا بالصفات وأخرى بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولى على باطنه أمر الحق وتنعدم منه وساوس النفس وأحاديثها.

فهو رضى الله عنه متتبع لمشهوده وهو حضرة المصطفى ﷺ ليس له مع غير الله قرار ولا عما سوى الله إخبار لما يحدث لأهل البقاء بعد الفناء والفرق

بعد الجمع من إرجاع كل فعل أو قول لله منتظر لفعل الحق فيه لا يركن لسواه ولا يرى غيره ولا يحدث إلا عنه لا تحجبه المواطن عن الباطن خرج عن كل شئ وبقى بالله، وهو مقام عزيز لايناله إلا الصفوة ولا يرد عليه إلا الواحد بعد الواحد كل فترة.

ومما قاله خادم الفقراء ابننا عمر الأزرق فى قوله تعالى: قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون. هو إشارة للفناء وصدر الأمر بقل للفرد لا بقولوا للجماعة بالإضافة لشرف الفناء ورفعته ثم ذرهم أيها الفانى فإنك لله لا للعب فى الدنيا أو الخوض فى عرض ملذاتها، فجمع فى قل الله وفرق بعد جمعه فى ذرهم فى خوضهم يلعبون.

صفته رضى الله عنه.

كان رضى الله عنه معتدل الجسم لا بالطويل البائن ولا القصير إلى الامتلاء أقرب أبيض اللون مشرب بحمرة أحمر الشعر أعطره دقيق الحاجبين طويلهما قصير الساعدين عريض الأقدام قذفت مهابته فى القلوب لا يكاد يراه الرأى حتى يهابه ذا هيئة ووقار يتكلم بفصاحة وطلاقة وكان من طفولته المبكرة المباركة متحليا بالجلال والجمال والكمال لم يظهر عليه إلا كل خير وصلاح فى الحال والمقال.

وكان من صفته رضى الله عنه التحلى بالكمال والترفع عن الدنايا والصغائر لا يرضى بغير الرفيع من الأخلاق والشيم كريم النفس كثير الأدب جميل المعاشرة متصفا بالشفقة واللين جميل المحادثة ذو اخلاق ومحاسن ربانية وشمائل محمدية.

الشيخ الكامل المربى

وكان رضى الله عنه يجلس بالمسجد الأعظم بمكناس لنشر العلم والتدريس والوعظ فى حلقة متسعة عامة ولازال محل جلوسه المبارك معروفا برخامة ملصقة على إحدى عرصاته، هذا بالإضافة إلى تربية المريدين بزاويته بمكناس وتوجيههم والسلوك بهم إلى جناب الحق سبحانه وتنشئتهم على تقوى الله فى السر والعلانية حتى أن العلامة الفاسى فى ممتع الأسماع وصفه بقوله: كان رضى الله عنه من فحول المشائخ الداعين إلى حضرة الحق.

والتقوى علو فى الهمة وحفظ للحرمة ومن علت همته ارتفعت مرتبته، ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته واتباع السنة فى الأقوال والأفعال بالتحفظ وحسن الخلق والإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار بالصبر والتوكل وحسن الخدمة الموجب للكرامة والرضا عن الله فى القليل والكثير بالقناعة والتفويض ومن عظمت النعمة فى عينه شكرها ومن شكرها استوجب المزيد من النعم.

فكم هدى الله تعالى على يديه من رجال وكم ربى من واصلين وكم خرجت مجالسه العلمية بالمسجد الأعظم والصوفية بزاويته من أئمة هدى مهتدين، ورثوا ميراث الصالحين وشع سر التوحيد عبرهم إلى قلوب السالكين إلى يومنا وإلى يوم الدين بإذن الله تعالى.

سرت من ديار الغوث نفحة بده ... فاشذى شذاها القلب من حر بعده

وقد عم فى الأقطار أنوار هديه ... وفاق سعود الزهر طالع سعده

عسى عطفة من ابن عيسى فطالما ... أنادى وأرجو الود من فيض وده

إذا كان مكناس ديارا لشيخنا ... فبالشرق كم يشفى العليل بوعده

وكان رضى الله عنه ميسور الحال ذو عرض وفير ومال كثير ينفقه فى الدعوة إلى الله تعالى وإرشاد المسلمين وهديهم، فكان يدفع المال للعمال والفقراء والمعوزين إذا تعارض التزامهم بالحضور إلى مجالس العلم والذكر وقراءة حزب سبحان الدايم مع أعمالهم وأسباب عيشهم وكان له خدم بالبيت وماشية ورعاة يشتغلون عنده ويركب فرسا ريفية تسمى الحجلاء وله ثيران معدة للحرث ويساعد بها من احتاج من المسلمين لاسيما وأن للحرث فى المغرب العربى مواسم بعلية إن اخطأها الزارع قاسى الشدائد فى توفير لقمة العيش له ولمن يعول خصوصا فى ذلك الزمان حيث لاسفن تجلب ولا ناقلات تجوب البحار.

ذكر الشيخ الغزال[1] : أن رجلا من أهل مكناس من أتباع الشيخ أتاه وقال له: إن لديه ثورين يشتغل عليهما أجير له فى حراثة أرضه وقد مات أحدهما وبقى من البذار قدر النصف ولا استطاعة له على شراء ثور آخر، فقال له الشيخ: اذهب إلى راعى بقرنا وخذ منه ثورا يرضيك واربطه مع الثور الآخر وتم البذر الذى أردته وأبقه عندك عوضا عن الثور الذى مات.

ويبدو أن المريد قد أحرج وأنه لم يقصد الطلب من الشيخ فأقسم بأدب أنه قصد إخباره فقط بذلك لا أخذ ثور منه فقال الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وأمره أن يأمر أجيره بالذهاب إلى عمله فى الغد صحبة الثور الحى وآلة الحرث فسيجد هناك ثورا يحروث عليه مع ثوره ويتركه فى مكانه إذا ما تم عمله.

---

(1) لا يلتفت إلى توهم الكثيرين أن الشيخ أحمد المهدى الغزال صاحب المختصر المعروف بالنور الشامل أو كتاب المناقب هو ممن أخذ عن الشيخ الكامل ومن أصحابه فالصحيح أنه دخل الطريق سنة 1162هـ أى بعد وفاة الشيخ الكامل بـ 229 سنة وأخذ عن الشيخ عبد السلام براده.

فذهب الأجير فوجد ثورا عظيما حسب ما قال الشيخ فحرث عليه حتى أتم عمله بعد أيام ثم تركه فى محله وحانت منه نظرة إليه حال انصرافه فإذا هو بإزاء أسد عظيم فارتعب منه رعبا شديدا حتى اصطكت أطرافه من الخوف فذهب الأسد من حينه وله زفير وشهيق واتضح له أن الثور الذى كان يحرث عليه طوال الأيام الماضية هو أسد عظيم.

فأعلم الاجير سيده الذى أعلم الشيخ فتبسم وقال: الحمد لله على بره وإكرامه، وأمره بكتمان الأمر.

وشبيه من هذه الكرامة ماروواه الشيخ الفجيجى عن رجل من أتباع الشيخ يقطن غابة بجوار مكناس وله بقرة يأتدم بلبنها ففقدها ذات يوم فى واد بجواره فظن أن الاسد أكلها فجاء يشكو إلى الشيخ ما آل اليه حاله فلما سمعه احمر وجهه الشريف وقال: إن الله سبحانه وتعالى لا يسلط الأسد على من هو بجوارنا فاذهب إلى الوادى فإنك تجد بقرتك هناك إن شاء الله تعالى والاسد يرعاها لك.

قال الشيخ الفجيجى: ثم إن الرجل جاء بعد صلاة العصر ودخل على الشيخ ونحن جلوس بين يديه وقال: إنه ذهب إلى الوادى فوجد بقرته ترعى هناك والأسد واقف بإزائها فلما رآه ذهب عنها، فتعجبنا من قدرة الله تعالى وبركته.

وكانت زاويته رضى الله عنه ملجأ للرعية من جور الحكام والوزراء فكانوايهابونه ولا يجرؤن على أذى من استجاربه وحدث مرة أن هرب خادم وزير السلطان المرينى خوفا من بطشه لغضبه عليه إلى زاوية الشيخ فأرسل الوزير

يطلب منه إرسال الخادم ويتعهد بالأمان التام، فخير الشيخ الخادم بين الذهاب والبقاء فقال له الخادم: يا سيدى إن ذهبت إليه أخاف أن يقتلنى فقال له الشيخ: إن قتلك قتله الله.

فذهب الخادم إلى مخدومه فقتله بعد ليلتين وأخفى أثره فجاءت أمه إلى الشيخ والهة وقالت له: يا سيدى إن ولدى قتله الوزير فقال لها: قد سبق ذلك فى سابق علم الله وإن الوزير سيلحقه الآن، فمرض الوزير تلك الليلة من أكلة ظهرت فى جسمه قضى بسببها حتفه.

فزادت مهابته فى قلوب الولاة الزمان واحترامه حتى إن الذى يفعا أعظم الجنايات ويذهب إلى الزاوية لا يتعرض له أحد، وعندما اشتد تضييق الوالى على قبيلة السوا لم وفرض عليهم دفع مالا يستطيعون من المال وما لا قدرة لهم به، رجوا الشيخ أن يشفع لهم ليكتفى بنصف المال فأرسل له الشيخ، فأبى قائلا: إنه لا يقبل شفاعة أحد فيهم.

فتغير الشيخ رضى الله عنه وقال للسوا لم: اذهبوا إلى أماكنكم فلا قدرة له عليكم وإنما القدرة لله الواحد القهار، فما خرجوا من عنده حتى أصيب الوالى بورم فى بطنه امتد اثره إلى عموم جسمه وأعجز الاطباء علاجه حتى نصحه بعض أصحابه قائلا: إن ما أصابك ليس بمرض وإنما هو من تغير خاطر الشيخ محمد بن عيسى عليك، فقال له: هذا هو الصواب فا حملونى إليه استعطفه وأطيب خاطره لعل الله يرزقنى بالشفاء.

فحملوه فى محفة وساروا به وما إن وصل إلى الشيخ حتى ابتدره قائلا: الآن جئت ياقليل الأدب ألم تعلم أن الله تعالى يغضب لغضب أوليائه، وترفق

أصحابه بالشيخ حتى لأن له قلبه وأمر له بسويق ممزوج بسمن وعسل، ووضع يده المباركة فيه وقال له: كل هذا تبرأ إن شاء الله تعالى، فشفاه الله تعالى من ساعته وقال للشيخ معتذرا: ياسيدى إنى قد رفعت عن قبيلة السوالم المال الذى وضعته عليهم ولا أقربهم بسوء مادمت على قيد الحياة.

وفى السياق نفسه ما تحدث به الشيخ عبد السلام براده[1] عن رجل من أهل فاس من أتباع الشيخ الكامل جار عليه بنو عمه فى أرض يتصرفون فيها بالحراثة والإكراء شركة بينهم من ميراث جدهم وترافعوا لدى قاضى فاس الذى تسرع باصدار حكم جائر بدون تثبت أو تأمل تحيز فيه لبنى عم الرجل فراجعه فى ذلك فلم يرجع فهدده بالشكوى إلى الشيخ الكامل فى مكناس، فتهكم عليه قائلا: اشكونى له وقل له يعزلنى.

فخرج الرجل باكيا وقصد الشيخ وأخبره بما حدث فأجابه قائلا: عزله بيد الله والله قادر عليه، فعزله السلطان ذلك اليوم عزلا شنيعا بتهمة التزوير وأخذ الرشاوى ونكل به أشد التنكيل.

وكان يحب الجلوس بأصحابه بين المغرب والعشاء بالزاوية والحديث معهم، قال الشيخ أبو الرواين تلميذ الشيخ الكامل: إذا جاء فصل الشتاء ونزل المطر وأردنا الانصراف من عنده بعد الصلاة فى الوقت المعتاد، أقلع المطر لامحالة حتى يصل كل منا إلى محله ثم يعود المطر إلى حاله.

---

(1) هو الحاج عبد السلام أحمد براده الفاسى لم يدرك الشيخ الكامل، وكان كبير مقدمى الطريقة العيساوية بفاس، وهو شيخ أحمد المهدى الغزال الذى وصفه بقوله: الفقيه النبيه الفاضل الكامل العامل لخير الدين المحب الصدوق.

ولم يقتصر جهده رضى الله عنه على نشر العلم وتربية المريدين وبث الأخلاق الحسنة والشمائل الإسلامية الكريمة، بل كان يضع الدعوة الإسلامية نصب عينيه ولا يدع فرصة يستطيع فيها الدعوة إلى التوحيد إلا وبادر إليها، وحدث أن زاره تجار من مدينة فاس ومعهم يهودى خلفوه يحرس بضاعتهم، وسألوا الشيخ الدعاء فدعا لهم بالخير والبركة وسألهم قائلا: أين الرجل الذى أتى معكم؟ فقالوا له: يا سيدى ليس معنا أحد سوى ذمى يهودى تركناه عند رحالنا.

فقال ائتونى به الساعة فأتوا به فنظر الشيخ إليه فسقط مغشيا عليه طريحا بين يديه فوضع يده على صدره فأفاق من غشيته ونطق بكلمتى الشهادة وحسن أسلامه.

وكان من عادته فى شهر ربيع الأول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف وأن ترد عليه الوفود من سائر أقطار المغرب قصد زيارته والتبرك برؤيته على عادتهم وهى عادة باقية مستمرة حتى اليوم.

وكان أن أبلغ الشيخ أبو الرواين وكان هو الموكل بخدمة الفقراء والاهتمام بأمور الزاوية والزوار والطعام واحتفال المولد النبوى الشريف الشيخ الكامل بأن عندهم كل ما يكفى الضيوف والزوار إلا العسل الذى يلزم إعداد عصيدة صبيحة المولد فإنه لا يكفى فأمره الشيخ بأن يذهب مع وكلاء الطعام فى نفس الليلة عند ثلث الليل الأخير إلى وادى أبى فكران ويجلبوا من مائه ويصبوا منه على العصيد فسيجدونه عسلا طيبا بقدرة الله تعالى ويطعموا منه الوفود، ففعلوا وطعموا وفضل الله لا حد له.

الشيخ أبو الرواين المحجوب.

هو محمد بن حسن العبدى السهلى المعروف بأبى الرواين[1] وقيل اسمه أحمد من أكبر أصحاب الشيخ الكامل كثير التعلق به صحبه وأخذ عنه وفاز على يديه بالخير العميم والفضل الجسيم، وكان من أهل خاصته لا يفارقه فى حضر ولا سفر مجد فى خدمته ليله ونهاره حتى توفى لا يكاد يتخلف عن حلقات درس الشيخ العامه بالمسجد ولا حلقات الذكر والأوراد والحضرة بالاسم المفرد بالزاوية، وفتح الله عليه بالولاية الكبرى حتى كان يسمى أعجوبة الدهر وتربى على يديه كبار السادة وفضلاء الأولياء كالشيخ أبى عبد الله محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس والشيخ عبد الرحمن المجذوب وغيرهما الكثير.

كان ملامتيا ذوأسرار ربانية ومواهب روحانية وأحوال خارقة للعادة جليل القدر شهير الذكر جمالى الحال يغلب عليه البسط، واسع النظر عالى الهمة حسن السمت رفيع اللباس.

قال عنه صاحب الدوحة: كان يصبح غنيا ويمسى فقيرا لا يلوى عن شئ يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين والأحوال تعتريه على الدوام. ا. هـ.

وكان سبب دخوله الطريق وصحبته للشيخ الكامل رضى الله عنه أنه اجتمع بكثير من الصلحاء بنية الأخذ عنهم وكان يحمل معه فأسا صغيرا فإذا

---

(1) يحدث أحيانا خلط بين الشيخ أبى الرواين صاحب الفاس وبين أحد احفاد الشيخ الكامل ويحمل نفس الكنية ويسكن مكناس ومن أكابر الصالحين وأحد سادات مشائخ الطريقة العيساويه وقر عليه بعض أسانيدها واسمه أبو الرواين بن محمد أبو مدين بن عبد السلام بن على بن عيسى المهدى بن الشيخ الكامل توفى فى 1169هـ وهو شيخ العلامة الزبادى صاحب كتاب سلوك الطريق فوجب التنبيه.

ما اجتمع بأحدهم يطلب منه قبوله مريدا فى الله فإن قبله يقول له: اقبلنى أنا وفاسى هذا فيقول له: قد قبلتكما، فيبقى معه ثلاثة أيام ثم يحمل فاسه إلى الحداد ويوقد عليه النار حتى يحمر فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، انقطع الرجاء من الشيخ ويذهب إلى غيره.

وكان هذا دأبه حتى ساقته المقادير إلى الشيخ الكامل فقال له: يا سيدى اقبلنى أنا وهذا الفأس، فقال له: ناولنى هذا الفأس فناوله إياه فأخذه ولمسه بيده المباركة ورده إليه قائلا: قد قبلتكما جميعا.

وبعد مضى الثلاثة أيام المعهودة ذهب إلى الحداد الذى أفرغ جميع ما عنده من الفحم رجاء أن يتغير الفأس أو يسخن وهو باق على حاله لم تؤثر فيه النار بشئ، والشيخ أبو الرواين ينظر إليه فرحا، ثم أخذ فاسه وسدد للحداد أجرته وثمن الفحم وأعطاه شيئا كثيرا من الدراهم وقال له: هذه بشارتك على الفأس وأنا ابشرك بدخول الجنة إن شاء الله تعالى.

وقدم الشيخ أبو الرواين على الشيخ الكامل وجلس أمامه فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم سجد لله شكرا فسأله الشيخ وهو مبتسم قائلا: ما السبب فى سجودك هذا ؟ فقال له: شكرا لله رب العالمين لصحبتك حيث من الله على بها حتى أدخلنى حصن الأمان.

وحدث الشيخ أبو الرواين أصحاب الشيخ بقصته مع الشيوخ والحدادين وقال لهم: إن الشيخ الذى ليس له قدرة على النار بأن لا تصيب الفأس فليس له قدرة على صاحبه بأن لا تمسه النار إلى يوم القيامة.

فقال له الشيخ: أعلم يابنى أن الله قد أعطانى أن لا يحترق بالنار مامسته يدى بمحض فضل منه سبحانه وتعالى.

وقد ولد الشيخ أبو الرواين سنة 903هـ تقريبا فمن المؤكد أن اتصاله بالشيخ الكامل كان فى سنى شبابه اليافع، ولم يزد عمره فى وفاة شيخه سنة 933هـ عن ثلاثين سنة بعد أن قضى معه ما قضى، ونستطيع أن نكون من هذا صورة عن المجتمع آنذاك والتنشئة الإسلامية السديدة فى الأسر ومعاهد العلم حيث تشترك فى خلق شباب ينهجون الصلاح منذ بواكير نشأتهم وتدفع بفتى كأبى الرواين إلى طرق أبواب الصالحين حتى ظفر بالشيخ المربى الذى هذب طباعه وسلك به إلى معارج القدس ومراتع الأنس بل وحتى سمى بأعجوبة الدهر.

ونرسم منها صورة للقدوة الحسنة التى يجب أن يحتذيها شباب الأمة اليوم لينجحوا ويفلحوا. ومن عجائب ما يروى عن أسلوب تربية الشيخ الكامل لتلميذه أبى الرواين ما ذكره الشيخ الفجيجى حيث قال: حضرت عند الشيخ يوما وقد جاءه الشيخ أبو الرواين وقال له على سبيل الامتحان: يا سيدى إنى جعلت زمام نفسى بيدك وقد شغفت بحب النساء فإن لم تكن لك عناية ربانية فإننى أعصى الله تعالى الليلة فقال له الشيخ: إذهب وافعل ما شئت فإن الله قادر على أن لا تفعل ولن تستطيع ولو أردت بعناية الله سبحانه وتعالى.

قال: فلما كان الغد جاء الشيخ أبو الرواين وهو فى غاية الضعف ووجهه مصفر فقلنا له: ما لك هكذا؟

فقال: شاهدت العجب البارحة، ذهبت إلى امرأة وتكلمت معها أن تبيت عندى وهممت بها فاذا أنا كالمفلوج لا أستطيع تحريك عضو من أعضائى حتى إذا طلع الفجر سمعت الشيخ يقول: أتتوب إلى الله ياأبا الرواين؟ فقلت بصوت خفى: أنا تائب إلى الله عز وجل فقال: قم وتوضأ لصلاة الصبح فنهضت فاذا أنا قائم كأنما نشطت من عقال.

فلما دخلت على الشيخ قال: ياأبا الرواين ما فعلت؟ فقلت: يا سيدى من يكون فى رعاية مثلك لا يخشى على نفسه غواية، فقال: الحمد لله على تأييده ورحمته. ا. هـ

وكان من الطبيعى بعد أن رأى الشيخ أبو الرواين من أستاذه الكرامات المتتالية وبعد أن امتحن أهليته للتصدر والتقدم والإمامة أن يصبح من أشد الملازمين المصاحبين له وأن يتمكن من مقام الخوف حتى يقوم من فراشه فى الليل ليقرع باب أستاذه ويسأله قائلا: نحن كما كنا أو مازلنا أين كنا فيجيبه قائلا: نعم إن شاء الله تعالى.

وكان الشيخ مع هذا يتعهد أمراض قلبه بالأدوية المناسبة الشافية ويرعى توجيهه وتوجهه وقد استأذنه مرة فى زيارة الشيخ محمد الصغير السهلى وكان مقصدا للصالحين ومزارا لأهل الفضل فأذن له.

فلما اجتمع به رأى منه ما بهر عقله وخلب لبه، وكان الشيخ السهلى قد رأى منه ذلك فقال له تأديبا وارشاد للنهج الصحيح فى طريق القوم حيث شبه المريد بالرضيع الذى لا يألف إلا أمه ولا يشرب إلا حليبها حتى يفطم، إذا رجعت إلى سيدى محمد بن عيسى فأقرئه منى السلام وقل له يدعولى.

فأصابت كلمات الشيخ السهلى محل الداء فى قلب أبى الرواين فداوته، ولما عاد إلى أستاذه وبلغه الرسالة قال له: جزى الله عنا سيدى الصغير خيرا، ثم أردف فى أشارة جلية إلى إطلاعه على ما كان من أمر تلميذه مع الشيخ السهلى وتأنيبا له وتعظيما لهفوته من باب التربية: أما أنت فقد كنت مشيت عنى.

وذكر صاحب الدوحة عن الشيخ أبى الروائن أمورا من خوارق العادات وعظائم الكرامات فمنها أنه كان إذا التقى أحدا من الأمراء قال له: اشتر منى ولا يتك بكذا فإن فعل قاله له: أنت آمن وإن لم يفعل قال له: أنت معزول فيكون كذلك بقدرة الله تعالى.

ولما تغلب السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ على مكناس ألح بالمطالبة لأخذ فاس فجاءه الشيخ أبو الروائن وقال له: اشتر منى فاسا بخمسمائة دينار، فقال له السلطان: ما أنزل الله بهذا من سلطان، هذا شئ لم تأت به الشريعة، فقال: والله لا دخلتها هذه السنة، فبقى عليه اشهراً والأمر يزداد تعصبا فقال له ابنه الأمير عبد القادر: افعل ما قاله لك الشيخ أبو الروائن فإنه رجل مبارك من أولياء الله ومازال به حتى أذن له أن يكلمه فقال له الشيخ أبو الروائن: ادفع المال.

فدفع له فقال: عند تمام السنة يقضى الله الحاجة وأمرى بأمر الله سبحانه وفرق المال من حينه فما أبقى منه حبة واحدة، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور فى ظهور إلى أن تمت السنة فدخل فاسا كما قال.

وقد شرطنا فى كتابنا هذا أن لا نتكلم فى الأدلة العلمية والبراهين الجلية التى تؤكد ما لا يحتاج إلى تأكيد من أن كل مايأتيه أهل الله هو من صميم الكتاب والسنة ولا تثريب على جنابهم الكريم أن لا يعلم هذا مدع عرف من العلم قدر ما يعرف البقر من لغات البشر فصال فيهم وجال قدحا وتشنيعا ، فقد شرحنا هذا بكل توسع ممكن فى كتابنا الحجة، كذلك فاننا لم نضع هذا الكتاب إلا لمن يعتقد فى القوم وصميم محافظتهم على كل كبيرة وصغيرة وردت فى الشرع الكريم.

وربما ظن بعض هؤلاء السذج لقصورهم وتخلفهم ماظنه السلطان المذكور آنفا وردد مثله أن هذا شئ لم تأت به الشريعة، وحاشا الشريعة الغراء أن يتكلم عنها هذا السلطان وأمثاله من المتخلفين.

فعن أنس أن الربيع بنت النضر عمته لطمت إنسانا فطلبوا العفو فأبوا فطلبوا الأرش فأبوا فقال رسول الله ﷺ: كتاب الله القصاص، فقال أنس بن النضر أيكسر سن الربيع؟ لا والذى بعثك بالحق لا يكسر سنها، فرضوا بالأرش فقال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره منهم أنس بن النضر [1].

وروى صاحب الدوحة أيضا أن الشيخ أبا الرواين أتى قصر مكناس وصاحبه القائد عبد الواحد بن محمد العروسى فى عصبة من أقاربه وأولاده فصعد الشيخ أبو الرواين صومعة المسجد ونادى بأعلى صوته: أن اشتروا منى القصر أو تخرجوا منه فى هذه السنة، فاستهزأ القائد عبد الواحد ومن معه بكلامه قائلا: ما بقى إلا كلام الحمقى نلتفت إليه.

وفى الغد خرج الشيخ أبو الرواين من البلد وهو يقول: القائد عبد الواحد وولده تاركون البلد، فكان ذلك بقدرة الله تعالى.

وذكر أيضا أن الشيخ أبا الرواين تحدث بمقتل ابن حرزوز وابنه وصح بقدرة الله ما قاله بعد ثلاثة أشهر إذ قتلهما السلطان محمد الشيخ وعلقهما على باب دارهما بسبب وشاية فى ذى القعدة 960هـ.

وجاءه مرة أهل مكناس ليستسقى لهم إثر جدب أصابهم فقال لهم: أمهلونى حتى نرجع إليكم فذهب إلى داره وتصدق بكل ما فيها وما غادر بها

---

(1) رواه البخارى، والأرش: الدية.

شيئا وخرج إلى الناس وقال: قوموا بنا الآن يصح الطلب ويصدق الدعاء فما رجعوا حتى سقوا وانهالت عليهم السماء كأفواه القرب.

وكان رضى الله عنه شديد التعظيم على عادة السادة الصوفية لاسم الله تعالى لا يرد من أقسم عليه به، روى صاحب تاريخ مكناس أنه تصادف أن رآه بعض أهل مكناس فى ثياب رفيعة نقية- وكان من عادته لبس الثياب الحسنة- من الدنس وعليه كساء مصبوغ الأطراف، فأقسم عليه أن يتمرغ فى مستفتع طينى موحل من أثر المطر هزؤا وسخرية به ولمعرفته بأنه لا يرد من أقسم عليه بالله.

فتمرغ فيه ثم نهض بعد أن اتسخت ثيابه وتغيرت هيئته وقال للرجل: اليوم أنا وغدا أنت، وفى الغد قتل هناك.

وتوفى الشيخ أبو الروابن رحمه الله سنة 963هـ عن نحو ستين سنة ودفن قريبا من أستاذه الشيخ الكامل رضى الله عنهما ونفعنا بأسرارهما وعلومهما.

الشيخ الكامل والإصلاح الداخلى

ولنعد إلى ما كنا بصدده من الحديث عن الشيخ الكامل والجلوس فى جملة أصحابه بين يديه الكريمتين ومرافقته فى حله وترحاله فى مكناس، ورسم صورة لدوره الإصلاحى الريادى فى كامل التراب المغربى.

فقد كان رضى الله عنه قويا لا تأخذه فى الله لومة لائم يضع وحدة المسلمين واجتماع شملهم فى المرتبة الأولى من اهتماماته ولا يتوانى عن السعى فى إطفاء الفتن وكسر عصا الشقاق بين المسلمين يقاوم البدع والانحرافات جهده.

وحدث أن دخل أعجميا بلاد المغرب واستقر بتوات واستطاع أن يجمع بمهارة جماً غفيراً من بسطاء الناس والسوقة حوله، وزرع بين الأهالى الفتنة والخلاف بل وغير من اسماء من يحملون ممن اتبعه أسماء إسلامية كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى.

وعجزت سلطات دولة بنى وطاس عن مقاومة هذا الشقى وخافت وقوع فتنة كبيرة فى البلاد يشمل أثرها كافة النواحى بها، فما كان منها إلا أن اتصلت بالشيخ لما عرف عنه من الوقوف فى وجه المفسدين والمضلين ومحاربة لذوى المآرب المشبوهة والأهواء الفاسدة.

فغضب الشيخ غضبا شديدا لهذا الفساد وكتب إليه يخيره بين أن يتوب إلى الله ويرجع عن غيه أو أن الله تعالى يرسل له دويبة من حشرات الأرض تقتله.

واستهزأ التعيس بكلام الشيخ وقال للقاضى حامل الرساله: قل له يرسل ما يريد. فما جاء الليل واستقر فى فراشه لينام حتى دبت عليه عقرب قتلته وأراح الله تعالى منه البلاد والعباد.

ولهذا لم يكن عجيبا مارواه الشيخ عبد السلام براده رحمه الله عن كثرة ثناء السلطان [1] الوطاسى فى فاس على الشيخ الكامل الأمر الذى دفع أحد كبار موظفيه من أسلاف قساة القلوب المكذبين لكرامة أهل الله وفضلهم لأن

(1) الغالب إنه السلطان محمد بن محمد بن أبى زكريا الوطاسى المعروف بابى عبد الله البرتقالى ثانى ملوك الدولة الوطاسية بفاس توفى سنة 932 هـ وبويع سنة 910 وعقب وفاة والده الملقب بالشيخ أول ملوكهم الذى استولى على فاس سنة 875 هـ وتوفى سنة 910 هـ وقد خلفوا أبناء عمومتهم من بنى مرين ويسمون أحياناً بالدولة المرينية الثانية إذ أنهم فرع من بنى مرين من زناته إلا أنهم ليسوا من بنى عبد الحق كالسابقين وقد عاصرهما الشيخ الكامل وادرك أول سنة من حكم أحمد الوطاسى المتوفى سنة 956 هـ.

يقول لأحد تلاميذ الشيخ ممن يسكنون فاس ويأتون شهريا لرؤية الشيخ والمبيت بالزاوية والاجتماع بإخوانهم الفقراء فى مكناس ثم يرجعون: إذا أردت الذهاب إلى شيخك فأعلمنى بذلك.

فأجابه قائلا: إن صفت نيتك فلا بأس بذلك، واتفقا على اللقاء فى فجر الغد للذهاب معاو جاء ذلك الكاتب على فرس من عتاق الخيل وذهبا إلى مكناس، ودخل المريد على شيخه وسلم عليه وجلس معه وبرفقته ذلك المنكر الجاحد، فأخذ الشيخ يتكلم بحديث يكاد يكون موجها لذلك الكاتب بعينه عن سوء الظن بالمسلمين وعدم اعتقاد الخير فيهم حتى ندم على المجئ.

وعندما أراد الرجوع فى الغد كلم الشيخ الكامل أبا الرواين قائلا: اخرج إلى الفرس الذى جاء عليها هذا الكاتب المنكر لكرامات الأولياء وقل له: لا تترك صاحبك يركب عليك.

ففعل وتمنعت الفرس وانتصبت حتى صارت كأنها كلب عقور وأيس صاحبها منها فكلم صاحبه الذى شفع له عند شيخه حتى رضى عنه وسامحه وأمره بالتوبة فعاد إلى فاس فرحا مسرورا وقد شفاه الله من أمراض قلبه وآفات سريرته وفاز بدعاء الشيخ له.

وكان رضى الله عنه يعانى مما عاناه السادة الصوفية طوال التاريخ وحتى يومنا هذا من الأدعياء أهل الغرور والجهل الذين ابتلى بهم الوسط الصوفى الطاهر النقى مندسون لاصلة لهم بالطريق ولا يعرفون الحق ولا التحقيق وحسبهم ما هم عليه من ذميم الحال وساقط الأحوال، وإن كان لا يضير كل مجال دخول المدعين بينهم فكذلك لايضر السادة الصوفية هذا الأمر، وإن كان هؤلاء المندسون أشد أثرا وأقوى ضررا من عشرات الهجمات النصرانية الضارية والأفكار الهدامة الظالمة.

فإنها تندس بين أهل هذا المجال الراقى فتوهم الصديق بأن ما هى عليه هو الحق ويرى المكابر الجاحد ما يقيم به حجته الواهية وكلمته الباهتة، وقد كان للشيخ الكامل مع أحد هؤلاء لقاء أمام من حضر بهت فيه المدعى وفقد حجته، وأخرسه الله عن الكلام وآراه الشيخ بمكاشفة ربانية ماهاله وأفقده صوابه وخرج من عنده مذموما مدحورا.

وليعود بعد أيام ويطلب من الشيخ موسى بن عمران المختارى أن يشفع له عند الشيخ، فقبل الشيخ شفاعته، وقبله مريدا وأقامه عنده ثلاثة أشهر بالزاوية ففاز على يديه بالرشد والفلاح وتهيأ للصلاح بحق لابما كان عليه من باطل الأحوال والمقال والنفاق والشقاق، وأذن له فى الرجوع إلى بلاده لينشر الطريق ويرشد المسلمين إلى الخير والصلاح والرشاد والفلاح.

وكان رحمه الله رحمة لجميع المسلمين يرشدهم ويعظهم بجميل كلامه وغزير علمه أحياء والدعاء والاستغفار لهم أمواتا ومنه أن قاضيا من مكناس معروف بالاستقامة توفى عقب مرض عضال أصابه فلما أقبر صار يصيح فى كل ليلة صياحا مفرطا يسمعه القريب والبعيد.

فضج أهل مكناس إلى الشيخ الذى قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد صاحب الجاه العظيم أن تخفف عنه العذاب النازل به، وأمر بعض أتباعه بقراءة سورة الملك عليه فانقطع الصياح وراه رجل من أقاربه موسوما بالخير فى منامة فى هيئة حسنة فسأله عن حاله فقال: قد غفر الله لى بسبب دعاء الشيخ.

وكان رضى الله عنه شفوقا رؤوفا بذوى العاهات والزمنى، جعل الله تعالى على يديه الشفاء لهم والبركة فى دعائه حتى إنه كان إذا وضع راحته

على مريض يجد الفرج من ساعته بفضل الله سبحانه، وقد أتى برجل به فتق عظيم اشتد عليه حتى يئس من الحياة محمولاً فرق له ووضع راحته المباركة على بطنه ودعا له بالشفاء، ونظر إليه بقوة وأدخل يده تحت رأسه قائلا: قم بحول الله وقوته، فإذا بالرجل قد استوى جالسا كأن لم يكن به ضر مسه.

ومسح بيده الشريفة أيضا على ظهر تلميذه أبى عبد الله محمد الشبانى وهو يقول: يا أبا عبد الله قد ذهب ألمك بإذن الله تعالى، فشفاه الله من علة البواسير بعد أن أعياه علاجها ومنعته من مناجاة ربه والامتثال له والقيام بين يديه.

ودعا لرجل شريف من أهل مكناس أصابه أذى فى عينيه ذهب ببصره فشفاه الله، وكم عاصرنا نحن من كرامات له رضى الله عنه وكم رأينا من مريض فى قلبه أو بدنه شفاه الله تعالى ببركته.

حدثنى الحاج عبد الحميد الدعداع[1] وهو أحد أتباع الشيخ الكامل: أنه كان يشتغل دلالا فى السوق بدرنه إبان الاستعمار الإيطالى وكف بصره واشتد به الحال لفقره وسوء الظروف فى كل البلاد ذلك الوقت، فرأى الشيخ الكامل فى المنام فى الزاويه يشير له نحو مكان ذهب إليه فشفاه الله.

ولو أردت استقصاء كل ما أعرف فى هذا لا حتجت مؤلفا آخر. وفى ما ذكرنا ما يحقق المقصد.

---

(1) هو الحاج عبد الحميد محمود غريبيل الملقب بالدعداع ولد سنة 1902م وتوفى ضحى يوم الخميس 7 رمضان، 1986/5/15م كان آية فى محبته وحسن اعتقاده فى الشيخ الكامل، وكان جمالى الحال وربما ردد بعض الأشعار العامية على لسان أهل الطريق حدثنى أنه طالما رجا الله أن يسهل له حفظ القرآن الكريم، فلقى رجلاً يبيع مصحفا فى السوق حاول إرغامه على شرائه فاكتفى هو بشراء جزء منه فكان أن حفظ ذلك الجزء فكان يقول: ياليتنى أخذت كل المصحف من ذلك الرجل.

من كلامه رضى الله عنه:

اعلم- أخا الطريق أغرقنى الله وإياك فى بحر محبته- أن القوم رضى الله عنهم وردوا بحرا ملئ بجواهر الحكم وأسرار المعارف ليس له ساحل، وسقوا بكوؤس المحبة وعبقت أرواحهم شذى رائحتها فأنكر عليهم المحروم المذموم، وشاركهم فيها أهل المعرفة والعلوم، وصدق بها كل مرحوم، وصدرت منهم ألفاظ فى حال سكرهم وغيبتهم عما سواه به لابسواه.

فنطق الحلاج سكرانا بمباح لا تكليف عليه ولا جناح، وتكلم البسطامى بسبحانى حكاية عن مولاه، وصال الجيلانى تنفيذا لأمر صدر ممن تعلى فى علاه تنويها بفضله ومستواه.

فكلامهم بيان لعلوهم أو تعريف للجاهل بكبير قدرهم أو إرشاد إلى التعلق بهم والتوسل برفيع جاههم أو ليكون حديثهم سببا لمصالح العباد ونفعهم بما أعلمهم الله تعالى بإلهام أو كشف أو سماع خطاب، أو لتعريف الله تعالى لهم فتصرفوا وحكموا بإذنه ومشيئته.

فتجد قاسى القلب لعدم فهم سامى معانيهم ودقيق ألفاظهم يزداد قلبه قساوة إلى قساوته ولو أنه سأل أهل الذكر لكان أجدى وأهدى، كمن قال مرحبا بعبيدى فاستعظم منه، وسئل غيره ممن هم فى مستواه عن قصده فقال: صدق أنتم عبيد الهوى والهوى عبده.

فحديث سادات الصوفية وخلاصة الأمة المحمدية فيه فرائد مهمة وفوائد جمة وإن شئت سميته جواهر زواهر من بحار زواخر، أخذوه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمشاهدات العرفانية، فكل ما يقولونه صحيح لاستنادهم

للعلم أو للكشف الصريح، ولذا كانوا بعد المرسلين أعرف خلق الله بالله على ما يمكن أن يعرف به الخلق الحق وبكمالاته التى لات يتصف بها سواه.

اجتمع على الحسن والإحسان والجمال والإيمان والمعرفة والإيقان وهم فى ما أتوا به من المعقول والمنقول والأحاديث التى تبهر العقول إنما تكلموا بحسب ما عرفهم ربهم وإلا فلا يعرف الحق إلا الحق. ولا يستعظم مؤمن ما يمر به عنهم من معان عظيمة فإنه لو أحبهم واختلط بهم وجالسهم وحادثهم لعرف أنه ما علم منهم وعنهم إلا مقدار رشفة الماء من المحيط وليس ذلك بكثير على أفراد العالم وفخر آدم وبنى آدم.

فأدركوا جوامع العلوم والفهوم المبنية على مكاشفات ومشاهدات حظوا بها بعد أن فطموا النفس عن المنهيات وخلصت أرواحهم من شوائب الكدورات فأدركوا ببصائرهم ما لا تدركه الأبصار.

ولم يخلف الشيخ الكامل كتبا واقتدى بشيخه الشاذلى الذى كان يقول: كتبى أصحابى، وإنما نقل تلاميذه من غرر كلامه ودرر نطقه مواعظ ونصائح نقشت فى صدور أتباعه وزان هذا بما خص به الله تعالى أمثاله من مكاشفات وإلهامات.

فتحدث عن مواقف له ومخاطبات فقال: صعدت روحى وأنا فى الحضرة إلى حضرة القدس فقيل لى: أنت سرى وموضع على ومن أحبك أحبنى ومن أهانك أهاننى ومن دخل حضرتك أمنته من الفزع الأكبر وأدخلته الجنة بكرامتى، قلت: يارب أين مكانى فى الفردوس؟ قال لى: فى الصفا، قلت: وما الصفا؟ قال لى: الصفا يصفو منه وجه المحبين.

وقال: من عرق فى حضرتى وهو يذكر الله تعالى بقلب صافٍ خالصا لوجه الله تعالى لا تأكله النار بإذن الله تعالى. قلت: هى حضرة القرب فى مواقع الأنس مما يعرفه الذين صفوا من الدنس والرجس.

وقال ﷺ «**إن لله عبادا اختصهم بحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله**[1]»، وقد كان الشيخ الكامل أحد هؤلاء إذ قال: بالله الذى لا إله إلا هو نحضر لولدى عند الوفاة ونلقنه كلمة الشهادة ونطرد عنه الشيطان ونحضر للمريدين عند نزول القبر ونلقنهم سؤال الملكين، ونطرد عنهم الشيطان.

وقال متحدثا عن مدارج السلوك وغايات همم العارفين: نهضت ووصلت وصولا لم يصله أحد قط.

قلت: هو عموم لا يفيد التخصيص والمراد لم يصله أحد ممن هم فى مستواه.

ويتحدث موضحا للسلوك وتصرف مشائخ التربية فى ظواهر مريديهم وبواطنهم بما من الله تعالى عليهم ومراقبة أحوالهم وما يزيد فيهم وما ينقص ولزم بالتالى على المريد وضع خيال شيخه نصب عينيه لتتخلل روحانيته بروحا نيته وسره، فإذا أسقط المريد بشرية الشيخ الروحانية وبقى بروحانيته البشريه انتفع بهمته وحالته ومقالته وإلا بقى متخبطا فى أو حال الحجب وحواجز الكثائف وحرم اللطائف.

فقال: إذا اجتمع سبعة من أصحابى وأتباعى بنية صالحة فأنا أكون

---

(1) رواه الطبرانى وحسنه السيوطى.

ثامنهم فإذا تضرعوا إلى الله تعالى فى أمر من الأمور فإن حوائجهم تقضى لا محالة ولو وقع الفوت فيها فإنها ترجع بإذن الله تعالى.

وتعظيما لحق النسبة وشرف الحرمة يتفضل رضى الله عنه على أتباعه بقوله: من سأل أصحابى فى شئ فأنا أولى به منهم وأنا نرعى أصحابى كالراعى لغنمه حتى يرفع علم جدى رسول الله ﷺ، وأنا ومن معى من الأتباع مسرعون عن يمينه إلى الجنة.

ثم يطمئن المريد الصادق اللائذ بجناب الله تعالى الخائف من الانحراف والميل وانقطاع الإمداد بعد الكرامة والاسعاد بقوله: يدى على أتباعى حيا وميتا كالسماء على الأرض.

ثم يبين منزلته بين ديوان أهل الله ومجمع الصلحاء ولا بأس بأن يزودنا بقدر ولو قليل من المعلومات عن بعض ما خص الله به الغوث فيقول: تالله لقد أعطانى ربى الربع من الدنيا من إنسها وجنها وبرها وبحرها وأشجارها وثمارها ومن جميع حيواناتها وقد أعطانى ربى الخاتم نختم به كل قطب وولى وعالم وكل ذلك من فضل ربى سبحانه وتعالى. وقال أيضاً: إن الله تعالى قد أطاع لى كل جن وإنس ووحش وذوات السم.

وحيث إن صحبة المشائخ الكمل واتباعهم يعنى اتباع الأمر واجتناب النهى حسب ما قررته الشريعة وبينته معالم السنة المطهرة الموجب لرضوان الله تعالى بفضله وإلا كانت نفاقا وسذاجة وزخرف قول لا ينطلى إلا على البسطاء فقد قال: لا يدخل النار من قال أنا صاحب لابن عيسى ولو كان ذلك مزحا.

وقد بشر رسول الله ﷺ أمته ببشرى تجاوزت زمن الصحابة رضوان الله عليهم وبقيت فى أمته إلى يوم البعث إذ قال: «**لا تمس النار مسلما رآنى**

أو رأى من رآنى[1]» وقد أكرم الله تعالى الشيخ الكامل برؤية طلعة رسول الله النورانية البهية وشمس حسنه العليه وصافح كفه الشريفة وحادثه وعاهده فوجب أن تتسلسل البشرى إلى من أكرمه الله تعالى بالاجتماع به ورؤيته بحسن الاعتقاد والأدب مما يوجب مطالع الخيرات وروائح المسرات.

وقد سئل أحد العارفين: أنه إن كانت رؤية بعض الناظرين كأبى لهب وأمية بن خلف لرسول الله ﷺ لم تمنعهم من وجوب العذاب والخلود فى النيران فكيف برؤية من هم دونه؟ فقال: أولئك راوه محمد بن عبد الله اليتيم ولم يروا محمداً رسول الله ﷺ.

وكذلك تكون رؤية الولى بتجلى الله عليه وقربه من ربه هى المعنية ومن هنا قال رضى الله عنه: من جلس معى فى دار الدنيا ونظرنى ولوفى منامه ضمنت له على الله الجنة.

ثم يبشر رضى الله عنه أبناءه ممن سار على نهج الصالحين وسلك دربهم واقتفى سيرتهم بالفوز والنجاة بقوله: بالله الذى لا إله إلا هو ولدى لا يموت إلا تائبا.

أما أولئك المخادعون الذين يتصلون بالطريقة اسما وينقطعون معنى المفسدون المخربون فليعلموا أن الله لا يخفى عليه من أمرهم شئ، وأن هذا المجال لا يلجه إلا كل تقى نقى فما أبعده عنهم وما أبعدهم عنه.

ولأهل الله فى كل الأزمنة مكاشفات أكرمهم الله بها فما بالك بأتباع الملة المحمدية والوراثة النبوية عن أنس رضى الله عنه قال: أقيمت الصلاة فأقبل

---

(1) رواه الترمذى وصححه وحكم بصحته السيوطى.

علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «**أقيموا صفوفكم وتراصوا فإنى أراكم من وراء ظهرى**[1]».

وقد أوضح ﷺ أن للمؤمن رؤية واطلاعاً على البواطن بنور الله وحذر من جحودها ونكراتها فقال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل[2]»، وقال الشيخ الكامل موضحا لهذه الفراسة: لا يكون المسلك مسلكا إلا أن تكون قلوب أصحابه كأنها فى كفه وكذلك أحوالهم فى جميع تصرفاتهم ويعلم ما يزيد فيها وما ينقص.

---

(1) رواه البخارى.

(2) رواه البخاري فى التاريخ والترمذى والطبرانى فى الكبير وابن عدى فى الكامل.

الشيخ الكامل والشعر الصوفى

ينسب للشيخ الكامل رضى الله عنه ستة قصائد منها أربعة باللهجة العامية الدارجة ولا صلة فى الحقيقة لها به على الإطلاق والراجح أنها من نظم بعض أتباعه فى تونس، ورائية عروضية بالفصحى واعتقد والله أعلم أنها ليست هى الأخرى من نظمه، إذ ليس هو الذى يمكن أن يتكلم بمثلها، فعلاوة على مابها من إخلال عروضى وإسفاف فى المعنى واللفظ فإنك تجد بها أبيات لا يتوقع صدورها من مثله، وقد نسبها له صاحب السفينة[1] وعدد أبياتها أربعة عشر بيتا بروايته وسبعة عشر بيتا بمرويات لنا عن غيره.

أما القصيدة التى ليس هناك أدنى شك فى نسبتها إليه فهى تائيته، وقد خلط الشيخ أحمد بابا التنبكتى المتوفى فى1032هـ فى كتابه نيل الابتهاج ص 80 ونسبها بصيغة التمريض للشيخ أحمد رزوق بقوله : وجدت منسوباً إليه من نظمه. فكان أول من قال بهذا وكثر فيما بعد من سار على أثره.

والصحيح أنها للشيخ الكامل يتوارثها أتباع الطريقة العيساوية بالتواتر، تعلمها كل طبقة للتى تليها وثابتة فى المصادر الموثوقة التى تكلمت عن الطريقة العيساوية كفتاح المغانم[2] والروائح والمجموع الصغير وقد تفضل

---

(1) انظر كتاب السفينة ص 204.قصيدة رجال تاهوا فى الحب سكارى

(2) كتاب مفتاح المغانم هو الوحيد المطبوع من مؤلفات الشيخ أحمد محمد المسعودى الصيد وهى: 1- مرقاة الصديق فى حكم نقض العهد والأنتقال من طريق إلى طريق.2- شرح على منظومة العكارى فى الفقه. 3- صفاء الفكر فى أداب الذكر نظما وشرحا.4- رفع اللوم والمقت عن مشائخ الوقت. 5- شرح على مولد ابن حجر.6- رسائل فى فضل ليلة القدر وليلة الأسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان وقد ولد الشيخ أحمد المسعودى فى 13/شعبان/1252هـ باطرابلس وبها تلقى العلم ورحل إلى الأزهر الشريف وإلى تونس وصحب والده وهو أحد مشائخ الطريقة العيساوية مؤلف كتاب نبراس الإيناس، وعنه تلقى الطريقة العيساوية واشتغل بالإرشاد وصار شيخاً فى الطريقة وتعرض للنفى والاضطهاد بسبب مقاومته للفساد فى العهد العثمانى وتوفى فى9/ذى القعدة/1314هـ وهو والد الشيخ المجاهد سعيد بن أحمد المسعودى الذى دوخ المستعمر الإيطالى

بشرحها - مثابا أن شاء الله - الشيخ الفاضل محمد بن أحمد بن مصطفى ابليبلو .

فى كتاب قيم اسماه : الدرة النفسية فى شرح تائية الشيخ بن عيسى.

وقد ذيلها الشيخ الكامل باسمه فلا أدرى كيف نسبها الشيخ التنبكتى رحمه الله للشيخ أحمد رزوق بعد هذا.

وله منظومتان تسمى إحداهما بالدرة النفيسة والأخرى بمنظومة أسماء الله الحسنى ومن المعلوم أن النظم غير الشعر الذى هو شعور وإحساس منقول بلغة سليمة وقافية موحدة، أما النظم ففيه من الشعر الوزن والبحر ومن النثر سلا ستة ورقته وإعطاء الموضوع حقه من الإبانة لعدم الحاجة للتقيد بالقافية والروى فى كل القصيدة.

التائيــــة

بدأت باسم الله جل جلاله	طلبت من الوهاب حسن الأعانة
فسبحان من يهدى العباد بفضله	ويفتح أبواب القلوب بمنة
وينعم بالأفضال والجود دائما	ويرمى بموج من علوم الحقيقة
وليس يقيس البحر من كان جاهلا	ولكن بفضل الله تسلك سفينتى
سفينتك ياهذا إن كنت عاقلا	فتجرى بتحقيق ونور المحبة
مقاذيفها دفع المصائب والبلا	ورئيسها يقود نحو السلامة
وإنى هجرت الخلق طرا بأسرهم	لعلى أرى محبوب قلبى بمقلتى
وخلفت أصحابى وأهلى وجيرتى	ويتمت نجلى واعتزلت عشيرتى
ووجهت وجهى للذى فطر السما	وأعرضت عن أفلاكها المستنيرة
وعلقت قلبى بالمعالى تهمما	وكاشفت بالتحقيق من غير مرية
وسرحت طرفى فى المعانى تنزها	وخضت بحار الكشف فى كل رتبة

وقلدت سيف العزفى مجمع الوغى وصرت إمام الوقت فى كل رفعة

وملكت أرض الغرب طرا بأسرها وكل بلاد الشرق فى طى قبضتى

فملكنيها بعض من كان مالكا وخلفنى فيها بأحسن سيرة

فأرفع قد راثم أخفض منصبا بأرفع مقدار وأخفض رتبة

وأعزل قوما ثم أولى سواهم وأعلى مقام البعض فوق المنصة

وأبسط أرواحا وأحفظ أنفسا وأحيى قلوبا بعد موت القطيعة

وأقهر جبارا وأدحض ظالما وأنصر مظلوما بسلطان سطوتى

وأجبر مكسورا وأشهر خاملا وأرفع موضوعا بأرفع همة

وألهمت أسرارا وأعطيت حكمة وحزت مقامات العلى المستنيرة

إذا كنت فى هم وضيق وعاهة وقلب كسير ثم سقم وفاقة

توجه لغرب ثم أسرع بخطوة وقل يابن عيسى شيخى آت بسرعة

فكر كربة تجلى إذا ذكر اسمنا وكم كربة تجلى بإفراد صحبتى

مريدى فلا تخف ولا تخشى ظالما فإنك ملحوظ بعين العناية

وإنى للمريد لاشك حاضر أشاهده فى كل حين ولحظة

وألحظه مادام يرمى مودتى يلازم حزبى ثم وردى وحضرتى

أنا لمريدى جامع لشتاته إذا مسه جور الزمان بنكبة

وقفت بباب الله وحدى موحدا ونوديت يابن عيسى ادخل لحضرتى

وقال لى أنت القطب فى الأرض كلها وكل عبيد الله صاروا رعيتى

تصرفت بإذن من له الأمر كله وقربنى المولى وفزت بنظرة

وجالت خيولى فى الأرضين كلها　　فأهل السما والأرض تعرف سطوتى

وإنى ولى الله غوث عباده　　وسيف القضاء للظالم المتعنت

ياسامعا قولى هذا فحاذرا　　وسلم لأهل الله فى كل حالة

وما قلت هذا القول فخرا وإنما　　أذنت به لتعلموا بحقيقتى

ويعرف كل عاقل سر ربنا　　ويترك فضول قول أهل القطيعة

فسميت بالهادى ابن عيسى محققا　　من الله إكراما إلى ومنة

وكل مريد جاء يقصد حزبنا　　بصدق وحق ثم خالص نية

أقرب هذا ثم أسقيه خمرة　　وألبسه من فيح سرى هيبة

وأدخله فى حزب أهل مودتى　　يشاهد أسرارا بعين البصيرة

يهيم بحب الله مادام روحه　　بقيد الحياة لانخرام المنية

وإنى للمريد لاشك حاضر　　يلاحظ معنانا بنطق الشهادة

وعند السؤال ثم حشر وهو له　　فننجيه من كل شر وبلوة

فسرى بسر الله نولى به　　ونورى بنور الله نعمت عطيتى

فسبعين ألف سر خضتها كلها　　وفى حضرة القدس اجتماع الأحبة

فأمرى بامر الله فيما أقوله　　وألحظ بإذن الله كل أحبتى

وشغلى بذكر الله فى كل لحظة　　وألهج باسم الله نومى ويقظتى

وإنى بحب الله لازلت هائما　　فمن شاهد المعنى يموت بسرعة

كذاك بحب خير خلق عبيده　　محمد المختار خير البرية

عليه صلاة الله ثم سلامه　　وأصحابة والأل فى كل لحظة

منظومة الدرة النفيسة

بسم الإله أبدأ كلامى	ثم صلاتنا على التهامى
محمد خير الورى المفضل	وآله وصحبه الأماثل
نحمد ربنا بحمد الرشدا	نشكره بشكر منا سرمدا
ونطلب من فضله الإعانه	فى كل ماقصدنا فى دعانا
ياربنا بجاه ما أنزلته	على الذى من نورك خلقته
بجاه سر ذاته العليه	وآله وصحبه الزكيه
بالأنبياء وجميع الرسل	والأولياء كذلك أهل الفضل
يا ربنا بجاه كل قطب	وما حوت عليه جميع الكتب
بالعلماء الراسخين فى العلوم	وكل محبوب بحبك يهوم
بالزهداء والفقهاء والصالحين	والشهداء وجميع التابعين
بكل ما خلقت فى العوالم	لحكمة تعلمها يا عالم
بالكرسى والعرش وحامليه	وبالمعمور ثم داخليه
وبالأملاك ثم بالروح الأمين	بكل ملك من الكروبيين
بالذات والأسماء والصفات	وقدم مع قدرة حياة
رب بجاه سرك المصون	ثم بسر نورك المكنون
وفق جميعنا لما ترضاه	واغفر لكل منا ما خطاه
واشرح صدورنا لكل بر	واملأ قلوبنا بكل سر
واغفر ذنوبنا واصفح عنا	وسترك الجميل فاسبل عنا

يارب واحــفظنا من الشــيطان   وفــتنة المحــيــاء والطغــيــان
وكن لنا عــوناً على الطاعــات   واحــــفظنا ربنا من الآفـــات
واخــتم العــمــر بحــسن الخــاتمة   واسكن الجــمــيع جنة عــاليــة.
من فــتنة القــبــر سؤال الملكين   احــفظ جــمــيعنا بخــيــر الثــقلين
وثــقــل الميـــــزان لأكـــــون   مــن أمــــة بــالحق يعـــدلـون
مــرورنا على الصــراط عــاجل   فـــلا نرى من العـــذاب هايل
من حوض خير الخلق نسقى ياكريم   وأدخل جــمــيــعنا لجنة النعــيم
رب بجــاه خــيــر الخلق أحــمــدا   اسلك جــمــيــعنا طريق الســعــدا
وانفح جـــمـــيــعنا بنفــحــات   منك يارب هن طيـــبـــات
والطف بنا واعف علينا ياكــريم   سامح جــمــيــعنا فــإنك الرحــيم
وبالحـــلال عن حــرام فــأغننا   ويســـــر الرزق لنا واكـــفنا
فـــإنك الجـــواد ذو الإحـــســـان   والبـــــر والطول والامـــــتنان
فـــامنن علينا بحـــلال الرزق   واسلك بنا ســبــيل أهل الصــدق
عــبــيــدك مــدوا أكــفــهم إليك   العــفــو والغــفـران طالبين منك
فـــلا تردنا يا رب خـــايبين   وامنن علينا يا أمـــان الخـــائفين
اسق جــمــيــعنا من خــمــر الأوابين   طهــر قلوبنا من وســواس اللعين
وعـــمـــر القلوب بالتــوحــيــد   لربهــا ذى القــدرة المجــيــد
يـــارب يـــارب بـــكـــل مـــن تحـب   قـــوى يقـــيننا بحب المنتــسب
لشــيــخنا الجــزولى قــد نسـبنا   من ســـره يا رب لا تحـــرمنا
وأحـــمـــد بن عـــمـــر الحـــارثى   لســـــر منه صــــار هو الوارث
فـــاخـــتـــارنا لســره بإذن الإله   وبان عنا ســـره بلا اشـــتـــبـــاه

من خمرة الغرام قد شربنا وعند سكرنا بها فهمنا
فكل من دخل فى حزب لنا نال من الكريم فتح سرنا
وصار فى سرور وأفراح منعماً بسر شرب الراح
تولى بحب رب العالمين ودخل فى زمرة الموحدين
فكل من دخل حزب الصالحين فذاك يا فقير حصن الأمنين
أوصيك أيها المريد الصادق بالبر والحنانة والتصادق
واحبب إخوانك فلا تغادر لحبهم فعجلن وبادر
لتدخل فى زمرة أهل المحبين فى ظل عرش ربنا فكن فطين
بسنة الرسول والكتاب فإن تمسكت فلا عتاب
فهذه طريقة الرشاد مريدها يحمى من البعاد
فلازم حزبنا وردنا تنل مقامة كرامة بها تحل
كذلك ماقلناه فى هذا النظام فكل قارى له نال المرام
خصوصاً فى المساء والصباح لنيل سر فاتح وضاح
لرفع هم وبلاء وسقم لكل من قراه وبه استتم
وكل ما ترم تجده فيه فلازم ذكره وكن نبيه
وكل ما تجده فى هذا النظام بتيسير من ذى الجلال والإكرام
فنطلب الله الكريم البارى غفرانه لك عبد قارى
يدخل هذا القارى فى حزب لنا ويسقى قلبه من فيح سرنا
بجاه خير الخلق سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام
وآله وصحبه الكرام وتابعيه جمعاً بالتمام
والحمد لله على التمام فى بدئنا به وفى الختام

منظومة أسماء الله الحسنى

بحمد رب ذى الجلال أبتدى — نظم أسمائه لعل نهتدى
ثم الصلاة والسلام أبداً — على نبى جاءنا وأرشدا
وأستعين الله حيا لا ينام — فى نظم أسمائه بدءاً واختتام
أقول يا الله يارحمان — يا من إليه يلتجى الإنسان
ويا رحيم للعبيد مطلقا — لمن عصا منهم ومن اتقى
يا مالك ويا قدوس ياسلام — أرنى ما يسر رفعاً ومقام
يا مؤمن مهيمن ويا عزيز — أصلح سريرتى بذا النظم الوجيز
وياجبار اجبرنى فيما مضى — وافتح بصيرتى وجد لى بالرضا
يامتكبر خالق ياباری — أرجو ثواباً ماحی الأوزار
ويا مصور غفار ياقهار — أقهر عدونا بما تراه ضار
ويا وهاب يا رزاق يا فتاح — افتح عن عبد طالب منك النجاح
ويا عليم قابض وباسط — قنا من كل آيس وقانط
يا خافض يا رافع ويا معز — أنت المعين على نظم ذى الرجز
ويا مذل يا سميع يا بصير — يا حكم عدل لطيف يا خبير
ويا حليم يا عظيم يا غفور — اغفر لعبد ما جناه يا شكور
ويا على با كبير يا حفيظ — منك طلبت رزقاً واسعاً مفيض
ويا مقيت يا حسيب يا جليل — أنت لكل عبد رازق كفيل
ويا كريم يا رقيب يا مجيب — بك نجاة العبد من كل مصيب

يــا واســع حــكــيــم يــا ودود أنت لكل طالب مــقــصــود

ويا مــجــيــد باعث ويا شــهــيــد أجب دعــائى في كل مــا أريد

حق وكــيـل ياقــوى يا مــتين فى نظم أسمــائك بك أســتــعين

ويا ولى يا حــمــيــد مــحــصى ارحم فــقــيــراً فى حلول الرمس

يامبدئ مــعــيد مــحيى يا مميت رجوت عــفــوك عــمـا عنه نهيت

حى قــيــوم واجــد يا مــاجــد أنت لكـل طالب وقــاصــد

يا واحــد يا صــمــد ياقــادر اغــفــر خطيــئتى وكن لى ســاتر

فــإنى مــحــتــاج للعــبــد ملتجى وليس إنى لســواك مــرتجى

مــقــتــدر مــقــدم مــؤخــر إنى ذليـل وجل مــعــتــذر

يــا أول يا آخــــر يــا ظاهر يا بــاطن إنى مــسئ حــائر

لأجل مـا ارتكبتـه فـيـمـا مضى أكــرم لقــائى وحــرر من لظى

يـا والى المتــعــالى البــر امنحنى من نعــمــاك مــا يســر

ويا تــواب تب عـلى واقــبلنى برحــمــة واســعــة واســترنى

منتــقم عــفــو يا رءوف ارأف بعــبــد لاجئ ملهــوف

يا مــالك الملك ياذا الجــلال ثــم الإكــرام تــابع وتــالى

يا مــقــسط يا جــامع ويا غنى أرجــو العطا من مكتسب ومغتنى

يا مــغنى يامــانع وضــار نافع فــارحم عــبــيداً خــائفــاً وخــاضع

يــا نــور يــا هــادى ويــا بــديــع فــاحــفظ العــبــد مما يريع

ياباقى يا وارث رشــيــد يا صبـور أســعـد مـقــامنا غـداً يوم النشور

ختمت أسماء الإله الحسنى بسرها أرتقى مقاماً أسنى

رب بجاه المصطفى خير الأنام أجب سؤال من دعاك بالتمام

وصل يا رب عليه سرمدا وآله وصحبه أولى الهدى

نظمها عبد ذنوب محتقر لعفو ربه الكريم مفتقر

اسمه فى الندا محمد بدا أعنى ابن عيسى من لنظمها اهتدى

سند الطريقة العيساوية

إن التصوف لا يؤخذ من الكتب أو يكتسب من القراءة والإطلاع وإلا لاكتفى الإمام الغزالى بعلومه وسلطان العلماء العز بن عبد السلام بنبوغه ولكنهما عرفا نقص ماهما فيه فانخرطا فى الطريق وحازا مقامات الهدى والتحقيق.

ولهذا فللأسانيد مكانتها، إذ هى سبيل السلوك ونقل المعالم العرفانية الزكية ومبنى الطريقة الشاذلية على الصحبة والاقتداء مما يوجب السند، ولا يلتفت إلى خوض بعض من علماء الظاهر فى الأسانيد الصوفية سلبا وإيجابا إذا لا يكسبه ضعفا ولاقوة ولا يقدحه بعلة فهم لا يعتنون بمعرفة رجال الطريق ولا بالتعريف بهم لعدم ترتب حكم شرعى على ذلك كما يترتب عليه فى نقل الحديث.

وإنما يعتنى بذلك أهله المنتسبون العارفون بحقائق هذه الأمور

وقد أخذ الشيخ الكامل كما مربك عن استاذه الحارثى عن الجزولى عن أبى عبد الله الشريف امغار عن أبى عثمان سعيد الهرتنانى عن القطب أبى زيد عبد الرحمن الرجراجى عن أبى الفضل الهندى عن عنوس البدوى راعى الإبل عن أبى العباس القرافى عن أبى عبد الله المغربى عن أبى الحسن الشاذلى.

قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه عن السند الشاذلى : طريقتنا هذه مأخوذه من قطب إلى قطب إلى رسول الله ﷺ.

وقد أخذ الإمام الشاذلى عن عبد السلام بن مشيش عن عبد الرحمن المدنى العطار الزيات عن تقى الدين الفقير عن القطب فخر الدين عن القطب

أبى الحسن نور الدين عن القطب محمد تاج الدين عن القطب شمس الدين بأرض الترك عن القطب زين الدين القزوينى عن القطب أبى اسحاق البصرى عن القطب أبى القاسم أحمد المروانى عن القطب أبى محمد سعيد عن القطب سعد عن القطب أبى محمدفتح السعود عن القطب سعيد الغزوانى عن القطب أبى محمد جابر عن أول الأقطاب وأجل الأصحاب سيدنا الحسن بن على بن أبى طالب عن والده كرم الله وجهه عن النبى ﷺ.

ولنا على هذا السند ملاحظات نرى ذكرها لتساعد على معرفة من يحتاج للتعريف من رجاله.

1- إن عبد الرحمن الرجراجى هو نفسه المعروف فى المغرب بأبى زيد وإلياس دفين وادى شفشاوة قرب مراكش وهو من أكابر الصالحين جاور بمكة المكرمة عشرين سنة ثم رجع إلى المغرب وانتهى مقامه إلى القطبانية .

2- القرافى : هو أحد أكابر الصالحين والأولياء العاملين كان يسكن قرافة مصر واليهانسب ويخلط الكثيرون بينه وبين الفقيه الأصولى أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجى القرافى الذي أنتهت إليه رياسة الفقه على مذهب مالك ينسب إلى قبيلة صنهاجة المغربية وإلى القرافة المحلة المجاورة لضريح الإمام الشافعى بالقاهرة وهو مصرى المولد والمنشأ والوفاة وإن كان التاريخ يوافقه إذ توفى سنة 684 هـ وتوفى الشاذلى سنة 656هـ.

إذ هو من علماء الظاهر لا الباطن وله كتاب الذخيرة، وأنوار البروق فى أنواء الفروق، والأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، وغيرها ولكنه لايعرف

بهذا الشأن فيؤخذ عنه طريق الصديقية وإنما يعرف له العلم الظاهر وإن كانت له ديانة وصلاح.

وقد قال الشيخ الفجيجى إن القرافى أخذ عن أبى العباس المرسى، وهذا يؤيد رأى من يقول إن أبا عبد الله المغربى شيخ القرافى هو أبو العباس المرسى ذكر بكنية ونسب للمغرب حيث أن مرسية التى منها الإمام المرسى فى الأندلس وتسمى بالمغرب فى عرف المشارقة و لكننا لا نرى هذا الرأى فأبو العباس المرسى أشهر من أن تحرف كنيته أو يجهل اسمه وإن كان هذا لايمنع أخذ القرافى عن المرسى مباشرة بعد أو قبل أخذه عن الشيخ أبى عبد الله المغربى.

3- إن عبد الله المغربى هو أحد ثلاثة : إما أبو عبد الله سلطان المغربى التونسى أخو الشيخ ماضى أبو العزايم، أو أبو عبد الله البجائى الخياط أو أبو عبد الله القرطبى الذى أرسله الشيخ الشاذلى من الإسكندرية إلى تونس ليربى أبا عبد الله بن سلطان حيث تركه صغيرا وكان يمده غيبا.

4- إن الشيخ عبد السلام بن مشيش جذب وعمره سبع سنين فدخل عليه شيخه عبد الرحمن المدنى وعليه سيما أهل الله وقال له : أنا شيخك وأخبره عن أموره وأحواله ومقاماته مقاما مقاما وقال له : أنا واسطتك فى كل حال وكل مقام، وقد سئل ابن مشيش بعد ذلك هل كنت تأتيه أو يأتيك؟ فقال : كل ذلك قد كان، فقيل له : طيا أو نشرا؟ فقال : طيا.

5- إن تقى الدين الفقير تنطق بالتصغير وقد سمى نفسه بذلك تواضعا وذلا لله تعالى.

وقد نظم الشيخ على الشريف[1] رحمه الله هذه السلسلة المباركة والشجرة الطيبة فى قصيدة متوسلا بهم إلى الله تعالى مستمطرا للرحمات بذكرهم فقال :

دعوتْكَ يا مولاى فاقبل شَكيَّتِى
فَلَيسَ سِواكَ كَاشِفًا لِبَليتِى
تعَاظَم كَربِى ثمَّ سُدَّت مَثَارِبِى
وَأهمَلَنِى مَن كَانَ مِن أهلِ نَجدتَى
وَضَاقَتْ بىَ الأكوانُ مِن كَل جَانبِ
أغثنى بلُطف مِنكَ ياتِى بسُرعَة
بسلسَلة الأقطَابِ أدعوكَ رَبنا
لِتَحصيلِ مَر غُوبِى وَمَحوِ خَطِيئَتِى
بِجَاه ابنِ عيسى مَن حَوىَ الفخر وَالعلاَ
وأظهر سِراً سَارِيَا فِى البَرِيئَةِ
فَكَم كربَةٍ تُجلى بِمَكنُونِ عِزَه
إذا مَا سَطى جور الزَّمَانِ بِنَكبة
وَأستَاذه الأجَل قَد شَاعَ نوره
هو الحارِثِى الأسنى عَظِيم المهَابة

---

(1) هو شيخ الطريقة العيساوية بتونس وله العديد من القصائد الجيدة ومن بينها واحدة يقول مطلعها : إذا شئت أن تبغى المقاصد والمنى، فى فضل الطريقة العيساوية من أجود ماقيل فى موضوعها، توفى رحمه الله فى رجب 1265هـ ودفن بزاوية سيدى الحارى العيساوية بالقلالين بتونس

واستاذه الشيخُ الجزُولى محمَّدٌ

له صَولةٌ تعلو على كلِّ صولة

واستاذُه امغار عارِفُ وَقتِه

رئيسٌ أمين فى علُوم الحقيقة

وأستاذُه عثمان ذى الفضل والتُّقَى

أمامُ عُلُوم القَومِ وأهلِ الشريعة

واستاذُه الرجراجى صَاحبُ عِفة

أقام ببيَت الله عِشرين حجةِ

واستاذه الهندى لله قائما

وكم جادَ بالأحسانِ مِن غير منة

واستاذه عنّوس قد فَاز فى الورَى

جَزيل العطَايَا هَوٌ قَصدى وبغيتِى

واستاذه الأضحَى القَرافى أمَامُنا

له رُتبَة تَسمُو على كُلَ رُتبَةِ

واستاذُهُ الأتقِى الذى بإن فضلهُ

هُوَ المغربِىُ يُرجَى لِدَفعِ الملمةِ

واستاذُه قطب الورى شَاذليهمُ

عَلىٌ علا فى المجد أوجِ السعَادَةِ

واستاذَه عبدَ السلام ومن له

مَقام عَظِيمَ شامِخٌ فى الوِلاَيَةِ

واستــاذُه شـيخ العِناية ذى النهى

هـو المـدنـى يُغـنِى المـريـدَ بـنَظـرة

وأسـتــاذُه الأرضَى الفـقِيـر كـامل

أمــامُ الهــدِى فى كل نَهجٍ وَشرِعَة

واستـاذُه شـيخ الشـيـوخ ومن غـدا

ينادَى بفـخـر الدِينِ كَهفِ السلاَمَة

واستـاذه الاسمى ابى الحسن الذى

يُكَنّى بنور الدّين قطب الهــداَية

واستــاذه كنزُ الضّعـيفِ مـحـمـد

ويُدعَى بتــاجِ الـدِينِ بَينَ الاحِبــةِ

واســتـــاذه الارقَى الذى جَلّ قــدرهُ

يُسـمّى بشـمس الدِين عند البـداَيَة

وأستـاذه القزوينى فى العلم كـامل

وَحَازَ مــقــامــا رَاقـيًا بالكرامــةِ

وأســتـــاذه البــصـــرى قطب مكرم

له شُهـــرة تغنى على كلّ شُهـــرةَ

واستـاذه الأعلى الجُنيـدُ[1] أمامـهم

وممُلى علوم القـــوم فـــوق المنصّةِ

---

(1) الصحيح أنه الشيخ أبو القاسم أحمد المروانى ويبدو أن الشيخ على الشريف رحمه الله يرى أنه هو الأستاذ أبو القاسم الجنيد لا تفاقهما فى الكنية والفترة الزمنية وهو خطأ بين.

واستــاذه الأحمى سعــيد مــوفق

برشـــد من الرحـــمن كَنز العطيَّة

واســـتـــاذه ســـعـــدَ علمتُ بأنَّه

مــحب ومــحــبــوب بِه بُرء علَّتِي

واستــاذه فـتَحُ السـعـود حـقيـقـة

بـه الـكَربُ يُجـلَى فـى رخَاء وشِدَّةِ

وأستــاذه الغـزوانى للذكـر واعـيـا

بأكـــمل أوصـــافِ وأجـــمَل سيَرةِ

وأســـتـــاذُه الازكى المقــرب جــابر

به الغيث يسقى واستجابة دعوتى

وأستــاذه سبط النبى الحسن الذِى

بـــه الـلـه أطـفـى كـلَّ نَارِ وفِتــنَةِ

فـــــسلم فى الملك الذى هو زَائلً

فــعــوض ملكا باقــيًا للقــيَامَة

ووالده زوج البـــــتُولِ الذى وقـى

بمهـجـتــه نفس الرَّســولِ الكريَمــةِ

ســـمـــاء علوم الدين نور وجــودها

هو العـــالم الاسنَى وبـابَ المدِينَةِ

سَرىَ فيـه سِر من شذا سِرّ صهـره

فـــابدى علومَ القَوم ثمَّ الطـريقَةِ

بحـــيـــدرة كناه اكـرم شـــافع

مـــحـــمـــد ازكى المرسلين الائمَّة

يا باعث الأرزاق يا سـامعِ الدعـا

ويا كـاشف الكربات فى كل حَالةِ

تجـاوز بإحـســانٍ وفـضلٍ ومنةٍ

وحـــسنِ أمـــتنان يا إله البـرية

فقد جاء هذا الجمعُ يستوهُب العطَا

أجـبـهم فـأنت المرتَجَى للإجـابـةِ

وَعَامِل جَميعَ الحَاضـرين بنفـحَةٍ

ولُطـفً خَفـى مـنـكَ يَا ذا الـعـطيَّة

ووَاليـهِمُ يَا وَاسعَ الجُود فى الحـيـا.

وفى يَومِ طىّ الصحف بين الخليـقَة

وشـفعِ الهى من تَقَـدَّم ذكـرهُمُ

على مقتضى الترتيب فى كل فرقة

وَشَفع أمـــامَ المرسَلِينَ مـــحـــمَّداً

نَبىّ الهُدى فى الكل يَوم القِيـــامَة

وَمَتـــع إلــــهــى مَن يــوْم جَنَابَنَا

بـــحُورٍ وولـــدانٍ وَدَارِ الـــكَرامَةِ

وعُمَّ جَمِيعَ الخَلقِ بالعــفــو والرضى

وعــاملهُم بالفَضلِ فى كلِ لَحظةِ

فــفــضلك ممدود وجــودك واسعَ

وعزكَ مــشــهــودً لدى كل نَظرَةِ

وصل إلـهى ثـم سلـم علـى الذى

أضــاءت به الأكــوان فى كلِ بلدة

نبــيك ازكى المرسلين مــحــمــد

مـــؤسس دين الحق عينِ الشَّريعَةِ

كــذا الآل وأصــحــاب مع كل تابع

ومن تـبـع الاتبـــاع وأهل الـولاية

وفاتـــه

إن حياة المصلحين وأعمار المجددين لا تقاس بما عاشوا من سنين ولكن بما خلفوا من أثار ونتائج أعمال، ولنا أسوة حسنة وعبرة طيبة فى معلم البشرية الأعظم الذى لازال حيا فى قلوب أحبائه من المسلمين يتأسون بسنته ويسيرون على خطاه ويرددون ذكره وذكراه ويتواترون تعظيمه وإجلاله بالرغم من مرور أربعة عشر قرنا على انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

وقد عاش الشيخ الكامل واحداً وستين سنة قضاها بين العبادة والدعوة إلى الله تعالى ثم جاور ربه بعد أن ترك آثارا عطرة لا زالت تفوح من منهجه الصوفى الكريم عبقة شذية، ولا زال سره يظهر فى أتباعه السائرين على المحجة البيضاء والسنة الغراء.

قال الشيخ الغزال رحمه الله : إن شيخنا واستاذنا وسندنا سيدى محمد بن عيسى رضى الله عنه منذ انتقل إلى دار الكرامة لم تخل الأرض من طائفة من أصحابه يجتمعون على قراءة أحزابه وأورده وأذكاره، وتكون فرطا لمن سبق فى علم الله أن يكون من أحبابه، ما ماتت طائفة إلا وخلفتها أخرى كانت نشأت عنها وتعلمت منها . أ.هـ.

ولازالت مدرسته تخرج العلماء فى شتى العلوم والأولياء والصلحاء والذاكرين والعابدين والساجدين وقد أعطى الكشف الصريح والعلم الصحيح إن أولياء الأمم الماضية ولا يتهم تنقطع بموتهم وموت أنبيائهم وأما أولياء هذه الأمة المحمدية فلا تنقطع ولايتهم إلى يوم القيامة لوجود بقاء شريعتهم.

وقد توفى رحمة الله فى سنة 933هـ - 1530م ودفن بروضة زاوتيه من جعهة الغرب بالقرب من ضريح شيخه الحارثى بمكناس بمكانه المعروف الآن خارج باب البرادعين

بالله ياقبر خبر عن محاسنه ذاك الكريم على الجاه والقدر

ياقبر ما أنت بستان ولا فلك فكيف يجتمع فيك البدر والزهر

وكان آخر من أخذ عنه الطريق الشيخ الولى الصالح أبو محمد عبد الرحمن المجذوب، وكان قد أخذ عن الشيخ أبى الحسن على الصنهاجى والشيخ أبى حفص عمر الخطاب ثم حدث أن مر يوما بباب دار الشيخ أبى الرواين وعليه برنس جديد.

فطلب منه الشيخ أبو الرواين على سبيل الأمتحان أن يكنس ماتحت دابة له، ودخل داره ليحضر له ما يحمل فيه القاذورات، فطرح الشيخ المجذوب برنسه وأخذ يحمل فيه القاذورات فتعجب منه الشيخ أبو الرواين وقال : ما رأيت مثل هذا قط.

وقد أخبر الشيخ المجذوب أن ذلك البرنس الذى حمل فيه القذارة لم تزل رائحة المسك تفوح منه، وكان عند أهله فى الصندوق - خزانة الثياب - يتبركون به.

إذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى فلا تسعد النفس المطيعة للهوى

وخالف بها عن مقتضى شهواتها وإياك لا تحفل لمن ضل أوغوى

ويبدو أنه قد نمت بينهما محبة فى الله بعد ذلك فصحب الشيخ المجذوب الشيخ أبا الرواين أولا ثم جمعه بالشيخ الكامل فأخذ عنه قبل وفاته بقليل.

وبعد وفاته انبث تلاميذه فى أقطار الإسلام ينشرون العلم ويهذبون الأخلاق ويأخذون بأيدى السائرين إلى رب العالمين.

وتصدر للمشيخه بعده بالإذن الصريح من والده الفرع الكريم الحسيب النسيب الولى الصالح الورع الفاضل سيدى عيسى المهدى، وكان قد صحب أباه وأخذ عنه العهد واقتدى به إذ العبرة بسلوك الطريق وسلامة القصد لا بأصل الأب أو الجد.

وكان قد زان أصله الكريم وسلفه العظيم بكريم الأعمال وجميل الشمائل والفعال مما أهله للتقدم والإمامة فكان بحق خير خلف لخير سلف مؤهل بفعاله لمقامات الكمل من الرجال متوج بالأصل الزكى والجذر البهى.

وصفه الشيخ الغزالى بقوله : فتح الله عليه بالولاية وحصل له منها الحظ الوافر والتحق بجزب سلفه المبارك فما ونى فى ذلك ولا قصر بمجلس رضى الله عنه لإرشاد المريدين وإفادة السالكين فهو البحر الذى لا يجارى فى المعارف والأسرار، والآية الكبرى فى حل الشبهات من خوارق الأنوار

يتكلم فى الحقائق والأذواق كأنها من عوائده، وكلامه مع كل أحد على حسب موارده، معظماً لأهل الخصوصية من أصحاب أبيه يلاينهم وينزلهم منازلهم ولايتعداهم فى أمر من الأمور وهم ناظرون إليه وعاكفون عليه منزلا عندهم منزلة شيخهم.

منهج الطريقة العيساوية

إن المنهج الصوفى عموما هو المنهج الروحى ومحل سيرة القلب وهو مجاهدة لكبح النفس عن الشهوات وتجميلها بمليح الصفات قال تعالى : «**يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا**»[1] والفرقان نور يقذف فى قلب العبد يفرق به بين الحق والباطل.

ويمر السالك على النهج الصوفى بمراحل لابد له منها وهى.

أولا : مرحلة التخلى :

وذلك بنزع القواطع من الصفات المذمومة والطبائع المنبوذه وهى الحقد والحسد والرياء والسمعة والعجب والخيلاء والكبر والغش والغل وخوف الفقر وسخط المقدور وطلب الرئاسة وحب المدح والجاه فى الدنيا والغضب والحمية لغير الله والأنفة والعداوة والطمع والبخل والشح والرغبة والرهبة من غير الله والبطر والفخر وكثرة الكلام واختبار الأحوال والأنس بالخلق وقلة الحياء وقلة الرحمة والغيبة والنميمة والكذب والنفاق.

ثانيا : مرحلة التحلى :

وتكون بالصمت والمراقبة والتقوى والمحاسبة والتواضع والخشوع وترك المنهيات وعمارة الأوقات والقناعة والفتوة والسخاء والصدق والإخلاص والأدب والاستقامة والعبادة والافتقار لله والتوحيد والتفويض والتسليم وحسن النية وحسن الظن وسلامة الصدر وحسن الصحبة والشفقة على المسلمين والدعاء لهم والنصيحة.

---

(١) الانفال 29.

فوجب على الشيخ أن يمر بمريده على المرحلتين ويدرج به فى معارجهما أولا ، وواجب على المريد الانقياد لشيخه وإعانته على هذه المهمة الجليلة، ومن هنا أمر المريد بأن يكون كالميت بين يدى الغاسل، وثانيا بالدعاء فى الغيب لمريده، وبالقدوة الحسنة والأسوة الطيبة ثالثا.

فهو إما متحدث معه فى أسرار القرآن الكريم ودرر تفسيره وخيرات آياته وإما شارح للسنة موضحا لما استغلق منها مبينا للناسخ من المنسوح وإما متكلم فى قصص الصالحين وآدابهم وراوياتهم وهو فى كل هذا يتخول أصحابه بالموعظة فلا يكثر حتى يسأموا ولا يتركهم حتى ينسوا، مع مراعاته لأساليب الإلقاء والتحدث بحيث يجعل لحديثه رونقا وبهاء محببا يجعل السامع يقبل عليه ويستلذه ويستزيده مخللا لأحاديثه العبر والدروس المستفادة ، مركزا على ما يحب أن يعمل مجتهدا فيه ناثرا فى كلامه لطائف الأسرار والفوائد مما يسر الأفئدة ويروح الهمم.

يتكلم بالحقائق من فيض إلهام ربه بدقائق ورقائق الطريق وما يتطلبه من آداب وأخلاق إذ الخلق يأتى بالنور والإلهام بالعبادة ، وكل هذا يكون بعد أن يوثق الشيخ قلب مريده برباط وثيق من المحبة والمودة فهى أساس التلقى.

ونحن هنا نتكلم عن التصوف الصحيح الذى نص عليه السادة الصوفية وعنوه لاعن أهل البدع ورواة الخرافات والأساطير والشعوذة الذين استتروا به يتخذونه شعاراً ودثارا لنهب الأموال وإهدار الآداب الذين جعلوا التصوف مواكب فو لو كلورية وولائم موسمية يتكلفها لهم من يطيق ومن لا طاقة له.

التصوف يا أيها السوس الذى دخل فى الوسط الصوفى الطاهر لينخره حال وليس مهنة إيثار وليس اكتسابا، سر بين العبد وربه لا إعلانات ودعايات

كبائعى أكياس القمامة، تمسك بما جاء عن النبى ﷺ وأصحابه والمشايخ الكرام لا إكثار من الولائم والطعام، سمو عن الدنيا ومافيها لا رغبة فيما فى أيدى ساكنيها، مع الله ذل ومع عدوه عز لا اتخام بطون ورقص وهز سخاء وعطاء لا أخذ وطمع وكبرياء، ترفع عن الصغائر لا ارتكاب للكبائر.

ابتعدوا يا هؤلاء غير مأسوف عليكم عن التصوف ودعوه للمنكسرين المتواضعين الطيبين السائرين على هدى كتاب الله وسنة سيد المرسلين.

وأنت يا أيها الصائد الماهر يامن أراك فى كل مكان تتكسب بشبكة ثياب التصوف وشعار أهل الطريق يعلم الله وحده كم أمقتك وأمقت ما أنت فيه.

ألم يودع الله تعالى فى قلبك رحمة لتعلم أن هذا الذى اصطدت منه بحجة مكانتك الساقطة ربما كان هو وعياله أكثر حاجة منك، ألا تعلم أخزاك الله أن أبا بكر الصديق خرج صبيحة توليه الخلافة باثواب ليبيعها وينفق منها على أهله وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده وأن زكريا عليه السلام كان نجاراً.

ألا تنظر فى سيرة الصحابة والتابعين وأولئك الذين تدعى نسبتك لهم وهم أبرياء حتى من الهواء الذى تتنفسه والتراب الذى تمشى عليه لتجد منهم الدباغ والقواريرى والسماك والصياد وراعى الأبل والنجار والبناء.

أليس فى صدرك عزة أهل التقوى ورفعتهم حيث يفضل أحدهم الموت جوعا عن مديد السؤال وذل الطلب من غير الله تعالى، أستغفر الله العظيم أخرجنا هؤلاء الذين ماذكرتهم إلا وردت قوله تعالى : «**إنا لله وإنا إليه**

راجعون» من عظم مصيبة أهل الطريق بهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

أقول : إنه بعد التخلى والتحلى يمر الشيخ مأذونا أن شاء الله بمريده على عشر مقامات وهى :

١-التوبة :

قال تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم**»[1] ، وقال ﷺ : «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»[2] .

والتوبة هى الرجوع عما كان مذموما فى الشرع إلى ماهو محمود ولها ثلاثة شروط : الندم على ماتقدم من الذنوب وترك الذنب فى الحال والعزم على عدم العودة وارضاء الخصوم بأداء الحقوق فإن عجز عن ذلك فيعزم بقلبه على الخروج منه عند الإمكان، ويرجع إلى الله سبحانه بالتفرغ والابتهال فى ابراء ذمته والدعاء للخصوم.

وهى الأصل الذى بنيت عليه الطريق، ومقدمات التوبة انتباه القلب ورؤية سوء الحال وعلاماتها هجران قرين السوء وقلة الكلام وملازمة الذكر والأسف على مافات وثمرتها الرجوع للحبيب بعد أن كان للشيطان حبيبا.

---

(1) التحريم 8

(2) متفق عليه والرواية المذكورة لمسلم

2- الورع :

وهو ما يترتب على التوبة النصوح قال تعالى : «**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**»[1] وقال ﷺ : «**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً لما به بأس**»[2] ووجد ﷺ تمرة فى الطريق فقال : «**لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لاكلتها**»[3] وقال سيدنا أبو بكر الصديق: كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى الحرام، والتوبة والورع مقامان متكاملان، فالتوبة عن الحرام والورع هو ترك الحرام ومجال العمل بالورع يكون فى ثلاثة أركان.

أ - ورع الحديث : بترك الكلام إلا فى الضرورى وعرفه بشر الحافى رضى الله عنه بقوله : إذا أعجبك الكلام فاصمت وإذا اعجبك الصمت فتكلم.

ب- ورع الأفعال : وهو ترك الشبهات والا بتعاد عن الخوض فى مالا يعنى، وقد رجع عبد الله بن المبارك من خراسان إلى الشام لرد قلم استعاره، ورجع إبراهيم بن أدهم من القدس فى فلسطين إلى البصرة بالعراق لرد تمرة، ورجع البسطامى من بسطام إلى همدان لرد نملة وجدها فى كيس اشتراه من هناك وقال : غربتها عن وطنها.

جـ- ورع القلب : وهو أسمى الدرجات الثلاث وحقيقته التورع عما سوى الله.

---

(1) البقرة 172.

(2) الترمذى وقال حسن صحيح

(3) متفق عليه

وهناك درجة رابعة من الورع هى أسفل أنواعه وهى الورع عن الحرام، الظاهر .

3 - الزهد :

الورع مؤد إلى الزهد بالضرورة قال تعالى : «**يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**»[1] ، وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كنفتيه - أى عن جانبيه - فمر بجدى أسك - أى صغير الاذن - ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم» فقالوا : مانحب أنه لنا بشئ وما تصنع به؟ قال : أتحبون أنه لكم، قالوا : والله لو كان حيا كان عيبا أنه أسك فكيف وهو ميت ! فقال : فو الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»[2] .

وينقسم الزهد إلى قسمين : فرض وهو الزهد فى الحرام

وفضل وهو الزهد فى الحلال

وتكلم الشيخ أبو يزيد البسطامى عن مراحله فقال : كنت ثلاثة أيام فى الزهد فلما كان اليوم الرابع خرجت منه، اليوم الأول : زهدت فى الدنيا ومافيها ، واليوم الثانى : زهدت فى الآخرة ومافيها ، واليوم الثالث : زهدت فيما سوى الله.

4 - الصبر :

قال الله تعالى : «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»[3] ، وقال

---

(1) فاطر 5.

(2) رواه مسلم.

(3) الزمر 10.

ﷺ : «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خير له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[1].

وينقسم إلى فرض وهو الصبر على القيام بالواجبات وترك المحرمات وفضل وهو ماعدا ذلك من فعل أو ترك أو احتمال.

كوشف أحد المريدين بشيخه أنه فى النار فجاءه فى الغذ وقد تغير باطنه يقدم رجلا ويؤخر أخرى فقال له الشيخ مكاشفا : أهذا لانك رأيتنى فى النار ليلة واحدة وأنا منذ أربعين سنة أرى مكانى هذا ، ولكننى علمت أن ليس لى رب غيره أرجوه أو إله سواه أخافه فلزمت بابه، فإن أدخلى جنته فبرحمته وإن ساقنى إلى النار فبعد له.

فلما كان الغد رأى المريد شيخه يرفل فى حلل الرضوان فى عرصات الجنان، وهذا من الصبر الرفيع الجليل، وقانا الله وجعلنا من عبيد الإحسان فلا طاقة لنا بالإمتحان.

5 - الفقر :

قال تعالى : «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد»[2] ، وقال ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض»[3] .

---

(1) رواه مسلم.

(2) فاطر 15.

(3) رواه البخارى

وجماله إظهار الغنى فيه، وأحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه فى جميع الأحوال وصفة الفقر : هى السكون عند العدم والإيثار عند الوجود ، والمقصود بالفقر : هو دوام الافتقار لله فى كل الأحوال لا العدم فقد كان بعض كبار الصحابة كذى النورين وعبد الرحمن بن عوف وصهيب من ذوى اليسار وكانوا مع هذا من أئمة الفقراء إلى الله، فالدنيا لا تضر مادامت فى اليد مع إقامة حق الله فيها أما إن دخلت القلب فهو الخسارة والضياع.

6 - الشكر :

قال تعالى «**لئن شكرتم لأزيدنكم**»[1] ، وقال ﷺ : «**إن الله يرضي عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحدمه عليها**»[2] ، والشكر هو اعتراف اللسان بالنعمة واتصاف البدن بالخدمة واعتكاف القلب على بساط الشهود وبإرادة حفظ الحرمة ويكون بالقلب اعترافاً وباللسان ثناء وبالجوارح عملا.

7 - الخوف :

قال تعالى : «**ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق**»[3] ، وقال ﷺ : «**إنى أرى مالا ترون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك وضع جبهته ساجدا**

---

(1) إبراهيم 7.

(2) رواه مسلم

(3) هود 106.

لله تعالى، والله لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»[1]

وللخوف مراتب وهى : الخوف والخشية والهيبة، فالخوف من شرط الإيمان قال تعالى : «وخافون إن كنتم مؤمنين»[2] ، والخشية من شرط العلم قال تعالى : «إنما يخشى الله من عباده العلماء»[3] ، والهيبة من شرط المعرفة قال تعالى : «ويحذركم الله نفسه»[4] والخائف حقيقة هو من لا يخاف غير الله.

8-الرجاء :

قال تعالى : «قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم»[5] وقال ﷺ : «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ماكان من العمل»[6].

والرجاء هو سرور الفؤاد بحسن الميعاد ومن دقائقه أن يكون مجموعا بالمقام الذى قبله وهو الخوف فهما كجناحى طائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا صار الطائر إلى الموت.

---

(1) رواه الترمذى

(2) آل عمران 175

(3) فاطر 28.

(4) آل عمران 28.

(5) الزمر 53.

(6) متفق عليه.

ومن أسرار ما جاء في هذين المقامين مجتمعين ختام بعض الآيات المنذرة ببشرى وتطمين كقوله : «**إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم**»[1] فلا تسكن وحشة الخوف فى القلب إلا ومعها فرحة الرجا فسبحان الفعال لما يشاء.

قال إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه : كنت أنتظر مدة من الزمن أن يخلو المطاف لى حتى إذا كانت ليلة ظلماء شديدة المطر خلا المطاف فدخلت للطواف وكنت أقول : اللهم أعصمنى ، فسمعت هاتفا يقول : يا ابن أدهم تسألنى العصمة وكل الناس يسألون العصمة فإذا عصمتكم فعلى من أتكرم؟

9 - التوكل :

قال تعالى : «**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**»[2] وقال ﷺ : «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**»[3]

والتوكل هو إظهار العجز مع الله والاعتماد عليه، والتوكل ليس تركا للأسباب بل هو أخذ للأسباب مع اعتقاد أنها من إرادة الله ومحله القلب وحقيقته أن تعلم أن ماتيسر فبتوفيق الله وما تعذر فبقضائه فالتوكل مقام والتكسب سنة سيد الأنام.

قال الشيخ أبو الحسن الديلمى رضى الله عنه: وصف لى إنسان أسود بأنطاكية يتكلم على القلوب فقصدته فلما رأيته أبصرت معه شيئا من

(1) الأعراف 167.

(2) الطلاق 3.

(3) رواه الترمذى وقال حديث حسن

المباحات يريد أن يبيعه فساومته وقلت له: بكم تبيع هذا ؟ فنظر إلى ثم قال: اقعد حتى أبيع هذا وأعطيك شيئا من ثمنه فإنك جائع منذ يومين قال: وكنت جائعا منذ يومين.

فتغافلت عنه كأنى لم اسمع ماقال وذهبت عنه وساومت غيره ثم عدت إليه وقلت له بكم تبيع هذا ؟ فنظر إلى وقال : اقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا أعطيناك من ثمنه شيئا قال : فوقع فى قلبى منه هيبة، فلما باع ذلك أعطانى شيئا ومضيت خلفه لعي أستفيد منه شيئا يقوله.

فالتفت إلى وقال : إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله تعالى إلا أن يكون لنفسك منها حظ فتحجب عن الله، ومن علم أن الله سبحانه كافيه لايستوحش من إعراض الخلق عنه ولا يستأنس بإقبال الخلق عليه ثقة بأن الذى قسم له لايفوته وإن إعرضوا عنه والذى لا يقسم له لايصل إليه وإن أقبلوا عليه.

10-الرضا

قال تعالى : «**ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر**»[1] وقال ﷺ : «**إن الله تعالى بعد له وقسطه جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط**».

والرضى هو سكون الخلق إلى أحكامه سبحانه وموافقة القلب بما رضى واختار وإن شئت قلت هو سكون القلب تحت مجارى الأحكام، وكتب سيدنا عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما : أما بعد فإن الخير كله فى الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر.

---

(1) التوبة 72.

وبداية الرضا مكتسبة وآخرته موهبة ولا يتميز بهذا عن باقى المقامات إلاهو إذ هى أحوال وردت على القلب من غير طلب وشيمة الحال أنه كما جاء يذهب وماسمى حالا إلا لتحوله وصارت مقامات بالمجاهدة وصاحب المقام متمكن، وصاحب الحال مربى وما سمى المقام مقاما إلا لإقامته واستقراره.

وحكى عن بعض الصالحات أنها عثرت فدميت أصبعها فضحكت فقيل لها فى ذلك فقالت : شغلنى سرور الأجر عن ألم المصيبة.

وتتأتى هذه المقامات العشر بالتدرج من واحد إلى الذى يليه ولارقى من مقام حتى يستوفى أحكامه، ثم نأتى خصائص الطرق ومناهجها إذ التصوف كالدراسة العامة والخصائص كتخصص من اجتاز المرحلة الدراسية النهائية فى تخصص بعينة بعد استكمال ماقبله.

وبناء علية وجب إلقاء نظرة على خصائص المدرسة الشاذلية وأسلوبها السلوكى التربوى إذ الطريقة العيساوية شاذلية السند والأتصال والمنهج.

المنهج الشاذلى :

تركز الطريقة الشاذلية عموما على أمرين هامين أحدهما : موجه للشيخ المكلف بالدعوة والقائم بالنصح والإرشاد وهو الأتباع الكامل والاقتداء التام بما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وهو مقصد الإمام الشاذلى بقوله : من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعى والاخر : موجه للمريد السالك فى الطريق حتى إذا تنازعته هواتف الحق وعوائق الخلق عرف سبيل الصدق فلزمه وهو المشار إليه بقول الإمام الشاذلى: ارجع عن منازعة ربك تكن موحداً واعمل بأركان الشرع تكن مستقيما واجمع بينهما تكن محققا.

ولها أيضا خمسة عشر مائزا رئيسياً تتفرغ عن الركنين المذكورين وهى :

1- حسن الشارة وتجميل الهيئة والتحلى بالثياب النظيفة الحسنة وهذا غير ماكان سائداً قبل الإمام الشاذلى من لبس المرقعات والخشن من الملبوس وإن كان هذا لايعنى الاعتراض وإنما هو موافق لذلك الزمان ووافق تركه زمن الإمام الشاذلى وزمننا. وقد علل ابن عطاء الله هذه الخاصية الظاهرية بأنها للإعراض عن لبس زى ينادى على سر اللابس بالإفشاء ويفصح عن الطريق بالإبداء ومن لبس الزى فقد أدعى والسر كله فى الإحسان لافى اللباس وما على من المحسنين من سبيل .

2- أكل الطعام الطيب وشرب الماء المبرد مادام من مصدر حلال مع حمد الله وكان الإمام الشاذلى يقول : يابنى برد فإنك إذا شربت الماء السخن فقلت: الحمد لله تقولها بكزازه وإذا شربت الماء البارد وقلت : الحمد لله استجاب كل عضو منك بالحمد لله، ويقول : ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ولاببقيقة الصناعة وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين فى الهداية كما قال تعالى :**«وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بأياتنا يوقنون»**. والمهم أن تكون مع الله وتكون كيف شئت ولبس الثوب اللين الحسن وأكل الطعام الشهى وشرب الماء المبرد لا يوجب العنت، إذا كان مقرونا بالشكر.

3 - التوسط والاعتدال وقد علل الإمام الشاذلى هذا الأمر بقوله: لاتسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة .

4 - الأهتمام بإحياء المناسبات الدينية وغرسها فى أذهان الناشئة بإحياء ذكرياتها ومواسمها.

5 - طرح الاختيار مع الله.

6 - عدم قبول المريد فى الطريق إلا بعد تبحره فى علوم الشريعة وآلاتها بحيث يقطع العلماء فى مجالس المناظرة بالحجج الواضحة وإلا لا يؤخذ عليه العهد وسار على هذا النهج الإمام الشاذلى وأبو العباس وابن عطاء الله وياقوت العرشى .

7 - التركيز فى النهى عن كبيرتين فى عرف الشاذلية أشار إليهما الإمام الشاذلى بقوله : لا كبيرة عندنا أكبر من اثنين : حب الدنيا بالإيثار والمقام على الجهل بالرضا .

8 - نقل الطريق بالأخذ من صدر إلى صدر ولهذا كان رضي الله عنه يقول : كتبى أصحابى ولم يعمد لاهو ولا خليقته المرسى إلى تدوين علوم الطريق ومعارفها.

9 - الجهاد بالسيف والقلم واللسان إذا ما دعى الداعى وقد أعطى الإمام الشاذلى بنفسه القدوة الحسنة بمشاركته فى صد الصليبيين فى معارك المنصورة.

10- حض المريد على التكسب والاشتغال وكفه عن السؤال قال ابن عطاء الله : كان الشيخ أبو الحسن يكره المريد المتعطل ويكره أن يسأل تابعه الناس، وقد كان الإمام الشاذلى يعمل فى الزراعة ويتعيش منها وينفر من المريد الكسول ويحث على طرق باب الأسباب والعمل.

11- السخاء فى الله بمافى الاستطاعة وذم البخل والابتعاد عن الحرص والتقتير المذموم .

12- التعفف عن مال الغير ورد مايوهب ولو كان بغير مسألة مالم يكن مقابل عمل أو تجارة أو نحوها.

قال الشيخ أبو العباس : دخلت يوما على الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه فقال لى : إن أردت أن تكون من أصحابى فلا تسأل أحداً شيئا وإن أتاك شئ من غير مسألة فقلت فى نفسى : كان النبى ﷺ يقبل الهدية، وقال : ما أتاك، من غير مسألة فخذه، فقال الشيخ : كأنك تقول : كان النبى ﷺ يقبل الهدية وقال : ما أتاك من غير مسألة فخذه؟

النبى ﷺ قال الله فى حقه : قل إنما أنذركم بالوحى، ومتى أوحى الله إليك؟ إن كنت مقتديا به فى الأخذ فكن مقتديا به كيف يأخذ، كان ﷺ لا يأخذ شيئا إلا ليثيب من يعطيه ويعوضه عليه فإن نظرت نفسك تقدست هذا فاقبل وإلا فلا.

13- تقديم الغنى الشاكر على الفقير الصابر.

14- الاستقامة المطلقة على أمور الشرع قال رضى الله عنه : ماثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنة فمن أعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ فى العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب.

15- الامتناع عن العمل بماجاء بطريق الكشف والمشاهدة والإلهام إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة فإن وافق والإلز م الترك ومنه قول الشاذلى : إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك : إن الله تعالى قد ضمن العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها لى فى جانب الكشق ولا الإلهام ولا المشاهدة.

المنهج العيساوي الشاذلي :

بعد أن رأينا المنهج الصوفى عموما وما يعنيه سير السالك على الطريق وضيقنا الحلقة قليلا لنرى المنهج الشاذلى هانحن نصل إلى المنهج العيساوى فى التربية والسلوك إذ كل منزل يؤدى للذى بعده.

فإن قلنا إن فلانا يسير فى الطريق الصوفى كان مقصدنا عموما وإن قلنا إنه شاذلى أضفنا إلى أركان المنهج العام السابقة ما جددته الشاذلية ووجب أن يلتزم الشاذلى بالمنهجين المتكاملين فإن قلنا إنه عيساوى الطريقة لزم أن تكون مدارج السلوك فى هذه الطريقة ما سبق بالإضافة إلى منهجها.

كان الشيخ الكامل يوصى عامة مريديه : «بالبر والتقوى وبملازمة الصلوات في أوقاتها وتلاوة القرآن العظيم والصلاة على النبى ﷺ وقراءة الأحزاب والأوراد والوظائق والأذكار ويأمرهم بالأدب والصدق والمحبة والسخاء والحنانة والرأفة على الإخوان ولا يبيعون إخوانهم بزلة ويجعلون المسلمين فى حل ويكفون ألسنتهم عن أذية المسلمين).

1- البر والتقوى : وهما أمران متكاملان جاءت بهما الشريعة وأشارت إلى تلازمهما فى أكثر من موضع ومنه قوله : «**ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من أتقى**» البقرة 189 وقوله تعالى : «**وتعاونوا على البر والتقوى** » المائدة 2.

والبر اسم جامع لأنواع الخيرات وقد حدد الحق سبحانه صفات أهله ونعت أحوالهم الباطنة التى لا علاقة لها بما يبدو على ظاهر الإنسان من التوجه غربا أو شرقا بسبعة عشر نعتا هى للمتأهل أصول الخيرات وأبواب الفلاح

والسعادات فقال : «**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى الباساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**» البقرة 177

والبر لا ينال حتى ينفق الإنسان مما تحب نفسه من أوقات اللهو والمال والمتع الدنيوية الفارغة وهو قوله : «**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**» آل عمران 92. كذلك فإن صفة المؤمن إذا ما تحدث مع أخيه أن يكف لسانه عن المناجاة والكلام معه بالإثم الموجب لغضب الله والتعدى على حرماته وإنما المناجاة تكون بالبر والتقوى وهو قوله:«**ولا تناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى وأتقوا الله الذى إليه تحشرون**» المجادلة 9، وعلى المؤمن أيضا أن يدعو ربه ليكون من الأبرار فى حياته وحال وفاته وهو قوله تعالى: «**ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار**». النساء193.

الأمر الذى يجعل عمله فى مكان سام عال مع أمثاله من أهل البر وهو قوله تعالى : «**إن كتاب الأبرار لفى عليين**» المطففين 18، أما حسابهم على برهم وحسن أفعالهم فى الحياة الدنيا فلا تدخل فى حساب البشر ولافى طوقهم التحدث عنها إذ يكفى فيها قوله تعالى : «**وماعند الله خير للابرار**» آل عمران 198. فهم فى أرغد عيش وأهنأه ويكفى لو صف ماهم فيه من فرح وحبور وانشراح وسرور وأصناف التنعم والتلذذ ما قاله تعالى

فـى حقهم: «**إن الأبرار لفى نعـيـم**». الانفطار 13، ناهيك مما أشار إليـه تعالـى من تميزهم فى المطاعم والترفه بقوله : «**إن الابرار يشـربـون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا**». الإنسان 5 - 6.

2 - ملازمة الصلوات فى أوقاتها : إذ دخول الطريق لتنقية الباطن فرض على المسلم حكم بهذا الإمام الغزالى وغيره من المحققين وقال الشاذلى: من لم يتغلغل فى ما نحن فيه مات وهو مصر على الكبائر.

ولا يصل فى الطريق إلا من حافظ على النوافل بعد أكتمال الفرائض وإلا فهو كمن أكمل عمره يتوضأ ولا يصلى، أو يحرم ولا يدخل مكة، ومقصد الشيخ من المحافظة على الصلوات هو إقامتها فى أوقاتها لا أداء الصلاة المفروضة فتاركها بين رأيين فى الفقه معروفين وهما الكفر أو الفسق ورأى واحد فى الطريق لا يحتمل التأويل.

3 - تلاوة القرآن الكريم : وهى تلاوة التدبر والأمتثال بأن يجعل الشيخ لمريده وقتا يجول فيه معه فى أنوار القرآن وجميل رياضه المونقة وحدائق معانية الزاهرة، أو يجعل المريد لنفسه من ذلك وقتا معلوما وإن كانت بإذن الشيخ وحضوره أكثر فائدة وأعمق أثرا وأصح أسلوبا لأخذه عن ربه وتلقيه للعلم الحى النافع بالقرب والوهب وليصوب للمريد ما جانبه فيه الصواب وما خانه من سداد، إلا إن سمح له بذلك.

وربما أذن له فى التلاوة ورغبه فى عظيم ثوابها وجزيل جزائها حتى يحسنها ويتعلق باطنه بكلام الحق سبحانه ويتنور به سره ثم سمح له فى التكلم بما يرد عليه.

4 - كثرة الصلاة على النبى ﷺ : وهى خصوصية تميز بها عموم الشاذلية ولكنها تجلت بوضوح فى الجزولية بكتاب شيخهم دلائل الخيرات،

والصلاة على النبى ﷺ تكون عن حب وتعلق روحى بعد العلم بسنته والتشبث بهديه فى كل الأمور، وقد نقل العلامة الغزال عن القطب الجزولى أنه قال : قراءة كتاب دلائل الخيرات فى حق أتباعنا وتلامذتنا أبلغ.

وتلاوة الكتاب حسب التقسيم الموجود به ليختم فى يومين أو ثلاثة أو أربعة أو ليختم مرة كل أسبوع يوم الأحد برواية أو يوم الأثنين برواية أخرى من أوراد الطريقة العيساوية، وسنعرض لهذا بمزيد من الإيضاح فى مبحث قادم إن شاء الله.

5 - قراءة الأحزاب والأوراد والوظائف والأذكار: ويكون وفق منازل الطريق المعروفة بترتيبها وتدرجها بالسالك على يد شيخ عارف قادر على اقتلاع حظوظ النفس ليكون الحق جملة نصيبها عالم بطب القلوب وكمالاتها وآدابها وآفاتها وأمراضها خبير بوضع الدواء على الداء فلا يخطئه رؤف رحيم بالمسليم ناصح لمن يتبعه مشتغلا بطاعة الله سبحانه قولا وفعلا واعتقاداً لا يداخل قلبه زخارف الدنيا ومطاياها وقماشها ورياشها تابع للنبى ﷺ فى أحواله كلها.

ويجب على الشيخ للمريد ثلاث وهى : التسليك فى البداية والتبليغ فى النهاية والحفظ فى الرعاية ويجب على المريد للشيخ ثلاث وهى : أمتثال أمره وكتمان سره وتعظيم قدره، وعلى المريد إن فقد هذا الشيخ أن يعمل بما عرف من الكتاب والسنة ومابها من أذكار ومأثورات فإنها الحرز المصون والكسب المضمون وليلزم خاصة نفسه ولا يتبع أهواء الذين لا يعلمون خصوصا فى زماننا

هذا فكم من مدعى دعى وكم من غوى وضال ومضل حمانا الله والمسلمين من هذه الشرذمة المنحرفة المبتدعة.

فلا يصلح للإرشاد إلا من كان على علم يهدى به العباد عارف بالتوحيد ومحسن للتعبير عنه ولا أقصد بالتوحيد ما يردده أشرطة التسجيل البشرية مما يجب لله تعالى ومايستحيل ومايجوز مما لم يخض فيه الرسول ﷺ ولا أصحابه ولا التابعين ولا كبار الأئمة وإنما استحدث عقب معارك كلامية بين فرق متنازعة لازالت تلقى بأثار معاركها علينا.

قال الأستاذ ابن عطاء الله شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل به عرف الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه؟ ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل إليه، . أ.هـ.

التوحيد الذى هو غاية همة السالك وشريعته وسنته القصوى وملجأه والمأوى يرقى به من الأسماء والصفات إلى توحيد الذات وينال به المعنى ويلاحظ به الجمال الأسنى.التوحيد الذى يقتل به السالك السوى ليحيا بربه ويذل به نفسه قهرا بالأمر ويصرف قدرته فيها بالنفع والضر فإنه سبحانه على العرش استوى وهو خالق العرش والثرى ومابينهما فالكل به قام وبقدرته أمسك وهو مع خلقه بدون اتحادو ولا حلول ولاعلة ولا معلول وإن كل الخلق ظلال وهو سبحانه الحقيقة الثابتة الموصوفة بالكمال والجلال والجمال جل وتقدس.

6 - الأدب : ولكل وقت ومقام أدب مطلوب وسلوك مرغوب فالأدب مع الله تعالى أن لا يجدك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ومع الشيخ بالأمتثال لأمره والانقياد لنهيه وزجره فإن الأحوال الشريفة لا تبلغ إلا بصحبة الأشياخ والاجتماع بهم وصحبتهم والأخذ عنهم، ومن صحبهم على غير الأدب معهم

ودوام خدمتهم حرم من مددهم وبركتهم قال الأستاذ الجنيد : من حرم احترام المشائخ ابتلاه الله بالمقت بين العباد نسأل الله السلامة وإنما حرم المريدون الوصول بترك الأصول وعدم الاقتداء واتباع الهوى.

والأدب مع الإخوان بالتودد والملاطفة ومع عامة المسلمين بمعاشرتهم بالمعروف والدعاء لهم والترفع عن زلات سفهائهم ونصح عامتهم، ولن نتكلم فى الآداب جملة على التفصيل إذهى مركوزة فى الوجدان وعلى المريد الصادق أن يعمل بأكمل مايعرف والله الموفق أولا وآخرا.

قال الإمام الشاذلى رضى الله عنه : إن جالست العلماء فجالسهم بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة إما أ تفيدهم أو تستفيد منهم وإن جالست العباد والزهاد فجالسهم على بساط الزهد والعبادة وحل عنهم ما استبعدوه وسهل عليهم ما استوعروه وذوقهم من المعرفة مالم يذوقوه وإن جالست الصديقين ففارق ما تعلم ولا تنتسب لما تعلم تظفر بالعلم المكنون وبصائر أجرها غير ممنون.

7 - الصدق : وهو أساس هام فى الطريق ولم يكتف الحق سبحانه بأمر المسلم به بل أمره بأن يكون مع أهله بقوله : «**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**» التوبة 119.

ووصفه الرسول ﷺ بأنه طمأنينة المسلم فقال : «**دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة**»[1] والصدق يكون فى الحديث وفى التوجه وفى القلب وفى القصد فهو أصل ينبت منه السلوك

(1) رواه الترمذى وقال حسن صحيح.

السوى وقد نفى الرسول ﷺ عن الكاذب صفة الريمان وناهيك بهذا ذما وتحقيرا لأهله فقال عندما سئل أيكون المؤمن كذابا؟ «**لا**» [1] ولقوله أيضا «**الصدق مجانب الإيمان**» [2] وقال سيدنا الخضر عليه السلام: آثر الصدق على ما يضرك على الكذب فيما ينفعك.

8 - المحبة : ويكثر فى الطريقة العيساوية التركيز على هذا الركن حتى أصبح علامة لها دالة عليها وحتى ضربت فى هذا الأمثلة لاشتهاره وذيوعه ومنه ما قيل فى المثل السارى : إن السنة مسناوية والمحبة عيساوية. ومسناوية نسبة للشيخ سعيد المسناوى المتوفى فى 945هـ.

والمحبة لله وما يحبب إليه وما يحبه من أعمال الخير والصلاح وحب أهله الكمل رضوان الله عليهم والإخوان والمسلمين حتى ضالهم والدعاء لهم.

قال ﷺ إن الله تعالى يقول يوم القيامة «**أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى**» [3] ، ويقول أيضا فى الحديث القدسى: «المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» [4]

قال العلامة الفاسى فى ممتع الاسماع متحدثا عن الشيخ الكامل ذاكراً لبعض صفاته السنية : الولى الكبير الجليل الشهير شيخ الطريقة العيساوية بالمغرب كان آية فى المحبة والأدب.

---

(1) رواه مالك مرسلا

(2) رواه البيهقى

(3) رواه مسلم

(4) رواه الترمذى وقال حسن صحيح

9 - الحنانة : وهى الرافة على المسلمين وحب الخيرلهم والشفقة على ضعفتهم والحدب على الإخوان فى الله وتفقد أحوالهم وتقديم العون لهم بل وتمتد الحنانة لتشمل الرحمة بالحيوان الضعيف والدابة العجماء بأن يكون الفؤاد رقيقا شريفا مبتعدا عن القسوة والغلظة، قال ﷺ : **«لايرحم الله من لا يرحم الناس»**[1] ، قال : **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[2]

وعلى المريد إعلام إخوانه بحبه لهم فإنه من السنة المشرفة وأن يخدمهم ويكرمهم ويوقرهم ويرحمهم قال الشيخ التلمسانى رضى الله عنه: «أصحبوا مع الله فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب الله لتوصلكم بركة صحبتهم إلى صحبة الله، وقال سهل التسترى : الأنس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق إلا من أهل ولاية الله فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله.

10 - تعظيم حرمات المسلمين : باحترامهم وإن اسأوا بل وجعلهم فى حل ومسامحة مسيئهم والدعاء لهم وعدم الخوض فى الكلام عنهم، فإنه فضلا عما فيه من صرف القلب والجوارح عن الله ينطوى على مخاطرة عظيمة تكسب الاثم وتوجب العقاب مالم يبادر إلى الأستغفار.

11 - تقديم العبادة بالبسط والجمال على القبض والجلال وهو المقصود بما نقله الغزال عن الشيخ الكامل : (أنه كان يتكلم مع خواص أصحابه من مادة عين الرحمة الكبرى ويبشرهم بفضل الله تعالى دنيا وأخرى) ويكون ذلك

---

(1) متفق عليه

(2) متفق عليه

بالترغيب والتبشير وذكر الثواب العظيم الذى أعده الله سبحانه لمن أطاعه ووصف الجنان وديار الخلد والحور العين والخيرات الحسان والزرابى المبثوثة والفرش المرفوعة.

وبذلك يستأنس القلب بالمحبة عن الخوف والرهبة إذ ترى المدرسة العيساوية أنه أبلغ أثرا وأكثر فائدة وأساس هذا ماقاله ﷺ : «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**»[1]

12- الترقى بتعلم العلم والعمل به والحاقه بالاستغفار: فهو حمد واستغفار متصلان إذ لا يتوقف نمو المريد العلمى والدخول تحت أحكام الشرع ونواهيه مما يوجب الاستغفار مما كان فيه قبل علمه وهو قول الشيخ الكامل رضى الله عنه: (طريقتنا تتبع العلم بالعمل بدوام الحمد باجراء حكم الشريعة مع كثرة الحمد من حيث المنة به ودوام الاستغفار من حيث النظر إلى أكمل منه).

هذه على العموم خصائص المدرسة العيساوية الشاذلية أما ماهية الطريق وهيئة أتباعه وسلوكهم فسنجده فى وصاياه ونصائحه إلى مريديه فيقول مجملا لما ذكرناه :

قبس من هديه رضى الله عنه :

(طريقتنا هذه لا تدخل فى قلب قاس)[2] فتراه أثبت رضى الله عنه أن أهلها هم ذوى القلوب الشفافة النقية (ولا فى جسم عاص) فلزم أن يكون أهلها من المداومين على الأمر والنهى (ولا فى عقل جاهل) أى لا ينتسب إليها إلا

(1) رواه البخارى ومسلم والنسائى وأحمد

(2) يلاحظ أننا نضع كلام الشيخ الكامل بين قوسين تمييزا له.

ذوو العلم والمعرفة وإلا فسد الانتساب لغياب معرفة المعبود وطرق مرضاته (ولاتدرك بالقياس) إشارة إلى أن أسرار الطريق وإشاراته لا تدخل ضمن اجتهاد العقل المحدود وقياساته القاصرة واستنتاجاته (ولاهى خارجه عن الكتاب والسنة) سقط بهذه الجملة كل لفظ وفعل واعتقاد يخالف القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المشرفة (بل هى حكمة عليه وموهبة لدنية) فبما أنها ليست مما يخاض فيه بالعقل كالفلسفة والمنطق ولا تخرج فى الوقت نفسه عن كلام الله وحديث رسوله ﷺ أصبحت موهبة يمن بها الحق على من يشاء من عباده فلا تؤخذ بالتعلم ولا بالقراءة والإطلاع بل بما يقذفه الله فى صدور أهلها من أهل السير والسلوك (على السنة والنية ومساقة على أثر الأنبياء والأولياء) فهى نابعة من السنة المكرمة بالاقتداء بفعل النبى ﷺ وقوله وإقراره وما اتبعه عليه الأولياء بحسن نيتهم وسلامة عقيدتهم (مع دوام ظاهر صاحبها على الإستقامة) بعد أن فرغ من إيضاح باطن الطريق وهو ماكان عليه رسول الله أشار إلى أن كمال الباطن يلزم استواء الظاهر.

فلاستقامة بالباطن من صفات أهل مقام الإيمان ويسبقه بالضرورة التحلى بصفات أهل مقام الإسلام (فمن عمل على هذا فهو من حزبنا محسوب علينا ومنسوب إلينا ومن لم يكن مشهور ظاهر أمره على هذا فنحن براء منه وهو برئ منا) بعد أن حدد رضي الله عنه معالم الطريق وصفات أهله بين أنه من لم يقف على حدودها ورسومها فليس من أهلها ولا يعنى وجوده ضمنهم شرف تحليه بالنسبة العيساوية ولاكرامة انتسابه لها بل هو غريب عنها وعن أهلها الذين يتبرأون وعلى رأسهم شيخهم منه ومن باطل عمله وباهت ادعائه ومن جميل وصاياه فى السلوك قوله:

(يامعشر المريدين عليكم بطلب العلم والعمل به والوقوف عند الحدود الشرعية وأكثروا من ذكر الله العظيم والصلاة على نبيه الكريم ص وتلاوة القرآن الكريم والتحلى بأخلاقه والتفكر فيه وملازمة الأوراد وقراءة الأحزاب وخصوصا الحزب المسمى سبحان الدايم لا يزول مقرونا بحزب الفلاح).

ثم يوصى المريد بالتمسك بالنهج العيساوى الشاذلى النابع من صميم القرآن وصريح السنة فيقول : (فليتعلم الأدب وليجتنب الكذب ويلازم الصدق والمحبة والحنانة والرأفة على الإخوان ولا يبيع إخوانه بزلة ويجعل المسلمين فى حل ويكف عن أذيتهم). ثم يوصى بأساس هام من أساسيات السلوك يلزم المريد أن يضعه نصب عينيه فيقول أمرا للمريد به(ويرضى بما قسم الله له ويصبر على ما أصابه)، ثم يواصل درر نصائحه المنساقة كالشهد من فمه الشريف فيقول: (ويتعلم ما يلزمه من التوحيد وأحكام العبادة).

ثم ينصح بفائدة جليلة على السالك ترديدها والتمعن فيها والعمل بها فما بالك وقد تحلى بها العديد من السادة الصوفية كالشيخ الأكبر وسيدى أحمد الرفاعى وسهل التسترى وكانت وردا من أورادهم يقضون يومهم فى ترديده ومعايشته فيقول (ويتعلم هذه الكلمات التى من عمل بها نجا وهى : الله معى الله ناظر إلى الله شاهد على [1] لا يرانى حيث نهانى ولا يفقدنى حيث أمرنى)

ثم يستمر فى نصحه الثمين لمريده الصادق فيأمره بأن (يواظب على ما الزمه من الأوراد ويلازم، حضور الميعاد ويقضى ما فاته من الفرائض والواجبات

---

(1) قال الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى عن : الله معى الله ناظر إلى الله شاهد على. دخلت به الخلوة ففتح لى به وفيه أسرار عجيبة وأذواق غريبة من ذكره كل ليلة سبع مرات وهو فى فراشه وجد له حلاوة فى سره.

ويتوب من جيمع الزلات ويحسن معاشرة الأهل والأصحاب ويحضر مع إخوانه قراءة الاحزاب ويتقى الله فى كل وقته).

ثم يتسأل رضى الله عنه مستغربا ممن يريد الحرث فى البحر أو الوصال فى القطع فيقول : (كيف تشرف ذات بأنوار النبى ﷺ ولم تفعل ما كانت تفعله الذات الشريفة) ويوضح هذا بتحديد أكثر حتى لا يغتر جاهل فيقول : (السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا).

وكان رضى الله عنه يشترط على المريد فى تلقين الورد: (امتثال المأمورات واجتناب المنهيات والمحافظة على الصلوات ومراقبة الله تعالى فى جميع الأوقات والصمت والمحبة والصبر والعزلة والحنانة والرافة وأن يرى جميع معاملة الإخوان معه فى الله).

ويقول فى حق المبطلين الذين كلت أيدينا وبحت رقابنا ونحن نرجوهم البعد عن الطريق وأهله : (يريدون الياقوت بالضرب فى الحديد ويريدون مقام الرجال بأعمال الجهال ويريدون أحوال الابرار بأعمال الفجار)

ثم يقرر ما أثبته شيخه الجزولى والسادة الصوفية من قبله من فائدة الصحبة فى الله وثمرتها فيقول (ما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح ومخالطة الخواص تكسب ثلاث خصال العلم، وصفاء القلب، وسلامة الصدر والعكس بالعكس).

ثم يختم هذا الجوهر المبثوث من كلامه بقوله : (الصدق مع الله نور والمعرفة برهان والالتفات إلى غيره بهتان وإضاعة حقوقه كفران والغفلة عن ذكره خسران).

وبعد أن فرغ رضي الله عنه من إيضاح الأساليب التربوية الإسلامية القويمة ومناهج السلوك وبين معالمها وحدد أركانها تفضل بذكر مائز عالى القدر جليل الأثر أهل أهلها الحيازة أسرار الوراثة وأنوار الخلافة.

فالعلماء العاملون أولياء الله الصالحون هم ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا درهما أو دينارا بل هداية وصلاحا ونجاحا وفلاحا ولكل منهم قدر من هذه الوراثة حسب ما تفضل الله تعالى عليه به ولكل منهم وارث يرث أسراره وعلومه ومامن الله به عليه من معارف إلهية وحقائق وتجليات أحدية.

فتراه رضى الله عنه يجعل وراثه هم أتباعه أينما كانوا فى أى زمن أو قطر إذ يكفى المريد صدق اتباعه واخلاص نيته فى السير إلى الله تعالى ليكون له حظ من هذا الميراث وأكرم به من ميراث شعاره التوحيد وعلومه الكتاب والسنة وآدابه الشريعة الغراء وأهله هم خاصة الله من خلقه الناصحون للأمة الداعون إلى الله على بصيرة.

فالطريقة مبذولة لكل راغب وأبوابها مشرعة لكل وارد ولكل مجتهد فيها نصيب ومامن سائر فيها إلا.وهو من أهلها وحاملى بركتها وهى لمن صدق لا لمن سبق لمن اتبع لا لمن ابتدع.

فيقول رضى الله عنه : (إن لكل ولى وارثا إلا أنا وأهل الاحاطة فميراثى أتباعى وأتباع أتباعهم وهلم جرا إلى يوم القيامة) وتعلم أخى فى الله أخذ الله بيدى ويدك إليه إن للمشائخ الكرام وصفوة أهل الله الأعلام مدداً من مدد الله ونوره يسرى فى أتباعهم مسير النماء فى الشجر وإن الشيخ يسير بالمريد ويلاحظه ويوجهه بحاله تارة وأخرى بمقاله قيد الحياة وبالزيارات المنامية والمشاهدات اليقظوية والتوجيهات الروحية حال انتقاله إلى جوار ربه.

ومن ألطاف الله أن هذه الرؤى والمشاهدات والاجتماعات بالرسول الكريم ﷺ أو المشايخ الكمل أو أتباعهم قد تكون حتى قبل دخول الطريق ليتهيأ السالك ويتأهل للسير فيه راشداً بإذن الله.

ومما يسمح بذكره فى هذا السياق تبيانا لنور الطريق وإظهار لفضلها أننى وقبل أن يكرمنى الله تعالى بدخول الطريق وصحبة أهلها فى سنة 1975م رأيت أننى دخلت بيت شعر مما نسكنه فى البادية جنوب طبرق لأجد به رسول الله ﷺ فداه أمى وأبى متكئا على ما نسميه بالمقدم - وهو قطعة خشبية طولها قدر متر وقليل تسند البيت - ينفرج فمه الشريف عن أسنان مرتبة كأنها الدر والياقوت المنظم مبتسما لى، ولم يمض على ذلك شهر أو اثنين حتى تفضل على المولى الكريم بسلوك الطريق وصحبة أهله.

وما إن إنتظمت فى سلكها ودخلت حزبها حتى رأيت فى مبشرة أخرى سيدنا أبا بكر الصديق جالسا على أديم الأرض وقد فرغ لتوه من صلاة نهارية فى مصلى على تراب الأرض محدد بحجارة متراصة أفقيا لا ترتفع عن الأرض أكثر من شبر واحد، وهو رجل أبيض اللون تغلب عليه الحمرة أشقر الشعر نحيف البدن فى سن الستين تقريبا خفيف شعر اللحية أخضر العينين ناتئ عروق ظهر الكفين مرتديا لعمامة وثياب بيضاء.

وأخذت أنظر إليه وينظر إلى وأنا أردد فى سرى قولى له : اسقنى من رحيق الصديقية، والله سبحانه المعطى لارب غيره ولاعاط سواه.

فأتباعه رضى الله عنه هم وراث سره وفضله أما خليفته فيهم والمربى لهم والقائم على تدرج سلوكهم وتوجههم فهو سيدنا الخضر عليه السلام وقد بين هذا

رضى الله عنه فى قوله :(إن لكل ولى وارثا إلا أنا وأهل الإحاطة فميراثى أتباعى وأتباعهم واتباع اتباعهم وهلم جرا إلى يوم القيامة وإن المدد لهم من بعدى بالتصاريف الإلهية والأسرار الربانية حبيبى وقرة عينيى سيدى أبو العباس أحمد الخضر سلام الله تعالى عليه).

الخضر عليه السلام :

وهو رجل جميل الخلقة كريم الهيئة مهيب أبيض اللحية مطرق الرأس على الدوام عليه إزار ورداء من صوف لا يخلقان ولايبليان ضخم الجسم واسع الصدر محجوب عن أبصار العامة كثير الاجتماع بالخاصة من أهل الصفاء والوفاء .

وقد قال رسول الله ﷺ معللا سبب تسميته بالخضر : «**إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من خلفه خضراء**»[1] ، وشرفه الله سبحانه بأن ناداه بعبد من عبادنا وتخصيصه بعلم لدنى من عنده فقال :«**عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**»[2].

فهو لدنى العلم وعلى المسلم أن يتبع أهل العلم اللدنى ويصحبهم إذ لو كان أحد مكتفيا من العلم لا كتفى نبى الله موسى ولكنه قال أتبعك.

وهو نبى رسول على رأى الإمام الجزولى على ما سترى إن شاء الله فى حزب سبحان الدايم، وقال البعض بنبوته وآخرون أثبتوا له الولاية فقط، ويؤيد رأى الإمام الجزولى ما قاله الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى رضى الله عنه :

---

(1) رواه البخارى

(2) الكهف 65.

أبقى الله تعالى بعد وفاته عيه الصلاة والسلام من الرسل الأحياء بأجسادهم فى هذه الدار أربعة، إدريس وإلياس وعيسى والخضر عليهم السلام، والثلاثة الأول متفق عليهم والأخير مختلف فيه عند غيرنا.

وقد نقل إجماع العلماء على حياته غير واحد من المحققين، قال الإمام النووى إمام أهل الحديث رضى الله عنه : جمهور العلماء على أنه حى موجود بين أظهرنا [1]

وقال الشيخ ابن الصلاح : هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم فى ذلك وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين.

ولا يلتفت إلى كلام ابن تيمية بتعليل لقيا الصالحين له أنه تمثل من الشيطان فالشيطان لا يتمثل بالأنبياء ولو جاز هذا لما صح دين ولا سلمت شريعة، ولا يستغرب أن يخطى ابن تيمية رحمه الله فكل ابن أدم خطأ ولكن المضحك هو أعتقاد بعض من يرى رأيه فى زماننا هذا عصمته وتقديم اجتهاده على ثوابت السنة وحقائق النقل.

وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : يلتقى الخضر وإلياس كل عام فى الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هولاء الكلمات : بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ماشاء الله لا يصرف الشر إلا الله ماشاء الله ماكان من نعمة فمن الله ماشاء الله لا حول ولاقوة إلا بالله ، قال ابن عباس : من قالهن حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات أمنه الله من الغرق والحرق والسرق والشيطان والسلطان والحية والعقرب.

---

(1) شرح صحيح مسلم الإمام النووى ج 15 ص 136.

وروى البيهقى وابن أبى حاتم عن الإمام الحسين رضى الله عنه عن أبيه على كرم الله وجهه : إن الخضر عليه السلام عزى فى رسول الله ﷺ عند وفاته فسمع الحاضرون حسه ولم يروا شخصه، وذكر البيهقى فى دلائل النبوة محادثة له مع عبد الله بن عمر.

وكان يأتى إلى سيدنا عمر بن عبد العزيز ويماشيه ويبشره بأنه سيولى ويعدل[1] وأحيا بإذن الله فرس عبد الله بن المبارك حين ماتت فى الجهاد[2] ورافق إبراهيم بن أدهم فى مبدأ أمره والتقى به أبو زراعة الرازى واجتمع به رجاء بن حياة وذو النون المصرى والشيخ الشاذلى والشيخ أبو العباس المرسى والشيخ ياقوت العرشى والشيخ أبو عبد الله القرشى ولقن الشيخ الدباغ بعض الأذكار والأدعية، واجتمع به الشيخ الشعرانى الذى أفاد فى الميزان بقوله : قد أجمع أهل الكشف قاطبة على حياة الخضر عليه الصلاة والسلام إلى وقت اجتماعنا به.

قال العلامة الفاسى : تواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه وقد حكى ذلك عن الشيخ الجزولى رضى الله عنه وأصحابه فيما قيد عنهم من الأخبار أنهم كانوا يلقونه ويأخذون عنه. أ.هـ

ومما هو مشهور ومستفاض ما أثبته القطب الدردير وغيره أن الإمام الجزولى أخذ عنه حزبه المعروف بالمسبعات وتقرأ وقت العصر وهى :

فاتحة الكتاب (سبعا) سورة الناس (سبعا) سورة الفلق (سبعا) سورة الإخلاص (سبعا) سورة الكافرون (سبعا) آية الكرسى (سبعا) سبحان الله

---

(1) الإصابة ابن حجر العسقلانى ج1 ص 446

(2) روح المعانى الألوسى ج 15 ص 324.

والحمد لله ولا إله إلا الله والله وأكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (سبعا) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليبت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد (سبعا) اللهم اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (سبعا) اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يامولانا مانحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم (سبعا).

وأعلم أن الاجتماع به يكون يقظة ومناما وأنه لا يجتمع بأحد من الأمة إلا معلما له ولا يستفيد علما من أحد من الأمة لأنه غنى عن علم الاستنباط لما أعطاه الله تعالى من العلم اللدنى.

ومر بك اجتماع الشيخ الكامل به وكذلك بعض كبار تلامذته كالشيخ محمد المختارى ثم تميزت الطريقة العيساوية بهذه العلاقة الكريمة كما أسلفنا.

هذه - سيدى المريد جذبك الله إلى حضرته - هى المدرسة العيساوية وهذه صفة أهلها، واعلم أنه لاعز أكرم من التقوى وأن من يتق الله يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وأن من علامة حب الله تعالى لعبده أن يوفقه لملازمة الأولياء الصالحين وسلوك دربهم فعليك بمجالستهم ونهج طريقهم بإخلاص.

واحذر من مجالسة فقهاء السوء وعلماء الباطل من الملحدين والضالين والمنكرين فإن التشبه بهم والسماع منهم يغش قلوب من لم يحط بأحوالهم من

المريدين واسلك طريق قوم هم صفوة الله من خلقه واثبت تنبت واجتهد تكسب وادع الله لى ولك بالتوفيق فإنه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير.

الأوراد:

بعد أن علمت أخى السالك الموفق بإذن الله أساليب المدرسة العيساوية الشاذلية فى تربية وجدان المؤمن وتهيأته لتلقى نفحات الجود والترقى إلى منازل السعود وكمال الأدب وصريح الشهود وتحقيق القصد المقصود والفناء فيه فى الركوع والسجود.

فإن كان مصحوباً لشيخ عارف مبصر غذاه بتربيته وزكاه بإشارته وعبارته ونماه بالأوراد والأذكار فى مجاهدته وفترته مما لا يكتب في الصحف والكراريس وإنما يعرفه أرباب الطريق وأهل التخصيص المجتهدون فيه من سادة المشايخ الكرام مما لا يسمح المقام بذكرها ولا تعطى إلا لأهلها من صدر إلى صدر بأوقات وهيئات تدرك بلطائف الإشارات ودقائق المكاشفات ورقائق التجليات.

ويتدرج السالك بالأوراد على مراحل ثلاثة مع الإكثار من الصلاة على النبى ﷺ من عصر يوم الخميس إلى يوم الجمعة، وربما جعل الشيخ للمريد أن لا يذكر إلا الصلاة على النبى خلال هذه الفترة

الورد الصغير:

وهو ما يوظف للمريد المبتدئ حال الطريق حيث لازالت على قلبه قسوة الدنيا وبهجة الظواهر فيتناول مايوافق ابتداءه ويوائم توجهه واستعداده كى لا تشتد عليه فى بدايته المجاهدة فينكص أو يعجز عن إتيان ما كلف به.

بعد صلاة الصبح : قراءة حزب سبحان الدايم، ثم بسم الله الرحمن الرحيم (100 مرة) ياقيوم (100 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ (100 مرة).

بعد صلاة الظهر : بسم الله الرحمن الرحيم (100 مرة) يالطيف (100 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ (100 مرة)

بعد صلاة العصر : بسم الله الرحمن الرحيم (100 مرة) يا متين (100 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ (100 مرة) بعدصلاة المغرب : بسم الله الرحمن الرحيم (100 مرة) يامالك (100مرة) اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ (100 مرة) بعد صلاة العشاء : بسم الله الرحمن الرحيم (100 مرة) ياوهاب (100 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ (100 مرة) ويردد على رأس كل مائة خلال اليوم : اللهم ياحفيظ يارقيب ياشديد يامعين يامغيث احفظنى بحفظك ياحنان يامنان يارؤف عليك اعتمادى يا الله يا الله ياالله ويكرر ذلك ثلاث مرات مع ختم دلائل الخيرات على مدى أيام الأسبوع.

الورد الأوسط :

وهو لمن سار على الطريق ولزم آدابها وإشاراتها وتمكن فى حاله ومقاله واشتاق إلى المزيد ورغب فى إطالة أمد المناجاة وأوقات اللقاء، فينظر الشيخ فى حزب يرتبه له ليقرأه بالإضافة إلى حزب سبحان الدايم كحزب الحصن والاستقامة أو الإبريز أو الكبير أو الحمد أو الفتح، وإن لم يكن له شيخ اختار منها ما أراد.

بعد صلاة الصبح : بسم الله الرحمن الرحيم (100 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك ومبلغ علمك

وآياتك(100 مرة) لا إله إلا الله (100 مرة) الله أكبر (100مرة) سبحان الله (100مرة) الحمد لله (100 مرة) استغفر الله لدينى (100 مرة) استغفر الله العظيم وبحمد ربى (100 مرة) لا إله إلا الله الشديد القوى القهار (100 مرة).

بعد صلاة الظهر : بسم الله الرحمن الرحيم (100 مرة) سورة الإخلاص (100 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (100 مرة).

بعد صلاة العصر : بسم الله الرحمن الرحيم (100 مرة) لا إله إلا الله سبوح قدوس رب الملائكة والروح (100 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (100 مرة)

بعد صلاة المغرب : بسم الله الرحمن الرحيم (100 مرة) صلاة الفاتح لما أغلق وهى : اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدرة ومقداره العظيم (100 مرة) سورة الإخلاص (100 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (100 مرة).

بعد صلاة العشاء : بسم الله الرحمن الرحيم (100 مرة) سبحانك أنت الله جل جلالك (100 مرة) سبحانك أنت الله ما أعظم شأنك (100 مرة) سبحانك أنت الله تقدست أسماؤك (100 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (100 مرة).

وعلى رأس كل مائة خلال اليوم اللهم ياحفيظ يا رقيب .. إلخ

الورد الأكبر

وهو للراسخين من أهل المعرفة والعناية الذين أذهب الله تعالى عنهم الران وأسقط من قلوبهم الغان فهم بالله لا يشاهدون غيره ولا يأخذون عن سواه فيتلون ما شاء الله لهم من الأحزاب إذ لا يصل إلى هذا الورد بالضرورة إلا من جعل الله له فرقانا وعرف تهذيب الطريق ومراحل السلوك.

بعد صلاة الصبح : بسم الله الرحمن الرحيم (1000 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك ومبلغ علمك وآياتك (100 مرة) لا إله إلا الله (1000 مرة) الله أكبر (100 مرة) سبحان الله (100 مرة) الحمد لله (100 مرة) أستغفر الله لذنبى (100 مرة) استغفر الله العظيم وبحمد ربى (100 مرة) لا إله إلا الله الشديد القوى القهار (100مرة).

بعد صلاة الظهر : بسم الله الرحمن الرحيم (1000 مرة) لا إله إلا الله (1000 مرة) سورة الإخلاص (1000مرة) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (1000 مرة)

بعد صلاة العصر : بسم الله الرحمن الرحيم (1000 مرة) لا إله إلا الله سبوح قدوس رب الملائكة والروح (1000 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (1000 مرة).

بعد صلاة المغرب : بسم الله الرحمن الرحيم (1000 مرة) صلاة الفاتح لما أغلق (1000 مرة) سورة الإخلاص (1000 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (1000 مرة).

بعد صلاة العشاء : بسم الله الرحمن الرحيم (1000 مرة) سبحانك أنت الله جل جلالك (1000 مرة) سبحانك أنت الله ما أعظم شأنك (1000 مرة) سبحانك أنت الله تقدست أسماؤك (1000 مرة) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (1000 مرة).

وعلى رأس كل مائة خلال اليوم اللهم ياحفيظ يا رقيب ... إلخ

هذه أخى السالك أخذ الله بيدى ويدك هى المدرسة العيساوية الشاذلية ومنهجها فى العمل بالكتاب والسنة وأسلوبها فى التربية والسلوك والسير بالأوراد والتدرج بالمجاهدة.

واستمع أخى الراغب فى سلوك الطريقة العيساوية والمحب لها والعازم على دخولها والتلبس بمكارم شيمها لما أمليه عليك وخذه بجد واجتهاد.

إن للإذن أو الإجازة ثمانية طرق :

الأولى : طريقة السماع : وهى أن يسمع المريد من لفظ الشيخ سواء كان إملاء أو تحدثا وسواء كان من حفظه أو من كتاب وهى أرفع أنواع الإجازة

الثانية : طريقة القراءة : وتلى الأولى فى المرتبة وهى أن يوافق الشيخ على ما يقرأ عليه ويقره سواء كان من حفظ القارئ أو من كتاب.

الثالثة : طريقة المناولة المقرونة بالإجازة : وهى أن يناول الشيخ المريد أصل سماعه ويجيزه فيه أو يأتى المريد بمكتوب للشيخ فيطلع عليه ويعيده له مقرونا بالإذن بتناوله.

الرابعة : طريقة الإجازة : وهى أن يجيز الشيخ المريد فى أمر بعينه أو عموما دون تحديد وهى أعم أو يجيز عموم فئة كان يقول أجزت كافة المسلمين.

الخامسة : طريقة المكاتبة : وهى أن يكتب الشيخ للمريد بالإجازة أو يدله على أمر بعينه.

السادسة : طريقة الإعلام : وهى أن يعلم الشيخ المريد بالإذن بدون الدخول فى تفاصيله

السابعة : طريقة الوصية : وهى أن يوصى الشيخ عند موته للمريد بما يريد إجازته فيه أو أمره به

الثامنة : طريقة الوجادة : وهى أن يجد شخص ما ما يؤدى إلى طاعة الله وقربه بخط رجل بعينه معروف فيأخذ عنه ما يجده.

أقول : فإننى قد أجزت كل راغب فى دخول الطريقة العيساوية الشاذلية وكل راج لترويض قلبه على الذكر والصلاة على رسول الله ﷺ وقراءة كتاب دلائل الخيرات وكل من فى قلبه الشوق والتلهف على الإنتظام فى سلك سندها المبارك المزان بالصالحين والعلماء وكمل الأولياء وآذنته فى قراءة أحزابها وتسبيح أورادها والانتقال فيها من ورد إلى آخر والرجوع عن ورد إلى الذى أصغر منه وأجزت كل من أراد التصدر لمقام النصح بها والإرشاد ونفع العباد بطرق الإجازة المشار إليها بالرابعة والمكاتبة المشار إليها بالخامسة والوجادة المشار إليها بالثامنة.

على أن يكون العهد بينى وبينه فى ذلك أن السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا وعلى الشرط المعتبر عند أهل الأثر من ملازمة التقوى والديانة والتحلى بحلل السماحة والصيانة وما يستطاع من ضبط الرواية وإتقان الدراية والتثبت من أحوال الرجال والرجوع إلى أئمة المجال.

مع علمي اليقيني الصرف بقدر نفسى التى ليست حتى من أشباه أهل هذا الشأن ولا فرسان هذا الميدان بل لا أرانى أهلا لأ أجاز فضلا عن أن استجاز ولكن يستروى بالشق الضنين عند فقد المعين ويحملنى عظيم قدر الطريق وكريم شمائل وجميل شيم شيخها الكامل وغوثها الحافل ورجالاتها الكمل الأماثل على الرجاء فى أن تنشل هممهم العلية همتى الدنية وترقى أرواحهم الربانية بنفسى السفلية وأن يفيضوا على ما يؤهلنى لأن لا أخيب قصد محب ولا أرد مطلب راغب فى التحلى بشمائل الجهابذة النحارير الفائضين بالمدد الغزير الغطاريف المشاهير وسرهم السارى المنير وإجازته فى دخول الطريقة العيساوية العلية.

والله الموفق وهو تعالى يرحم الجميع برحمته ونسأله سبحانه أن ينفعنا بما علمناه ويجعل سعينا فى ذلك لما يرضاه ويعصمنا بتوفيقه ويشعرنا تقواه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

1 - حزب سبحان الدايم

2 - حزب الحمد

3 - حزب الفلاح

4 - الوظيفة الربانية

5 - حزب الإبريز

6 - حزب الحصن والاستقامة

7 - حزب الفتح

حزب سبحان الدايم

للشيخ محمد بن سليمان الجزولى رضى الله عنه

ويسمى أحيانا بحزب التوحيد، قال الشيخ الجزولى متحدثا عن فضله : ماواظب عليه الاولى أو مبارك وقال الشيخ الكامل عنه : إن فيه إسم الله تعالى العظيم الأعظم، وأوصى أتباعه بملازمته قائلاً : فإن لازمتموه فإنكم تفلحون وتنجحون وتعمر سوقكم وتصلون إلى مقامات الرجال وقال الشيخ أبو مهدى الفجيجى : إن القارئ لهذا الحزب العظيم لايقربه الجن فمن قربه منهم حرق هذا إن كان الجن كافرا وأما إذا كان مسلما فيأتيه أولا ويقرب منه ثم لا يطيق فيتباعد عنه.

وقال العلامة الفاسى فى ممتع الأسماع : الحزب برمته من شعار أتباع الشيخ والمنتسبين إليه ومن وظائفهم وأورادهم يقرأونه بعد صلاة الصبح وله صولة ظاهرة وقوة باهرة وبركة واضحة وتحصين عظيم من الآفات العارضة، إلى أن يقول : ما واظب عليه إلا سعيد أو ولى أو مبارك.

وقال الشيخ أبو العباس أحمد الفاسى : ما رأينا أحدا واظب على قراءته إلا وجد له بركة ونورا فى قلبه وقال الشيخ محمد المسعودى الصيد : هذا الحزب المبارك من جملة ما يتقرب به إلى الله تعالى .

ونقل الشيخ محمد بن إبراهيم المراكشى فى فضله الكثير فى شرحه له.

ونحن نذكره هنا بأصح ما علمنا مما أتصل إلينا من رواياته وأوثقها والله هو المعين والهادى إلى الصراط المستقيم.

أعـوذ بالله من الشـيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحـيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، توكلت على الحى الذى لا يموت (ثلاثا) الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا[1]، الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمدا أفضل[2] ماهو أهله، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، أعـوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثا) بسم الله الذى لا يضـر مع اسمـه شئ فى الأرض ولا فى السمـاء وهو السـميع العليم[3] (ثلاثا) سبحـان ربى العظيم وبحمده ولا حـول ولا قـوة إلا بالله العلى العظيم (ثلاثا) أسـتـغـفـر الله العظيم الذى لا إله إلا هو بديع السـمـوات والأرض ومابينهما من جميع جرمى وظلمى وما جنيته[4] على نفسى وأتوب إليه[5].

---

(1) ثبت فى بعض النسخ إثبات وقل الحمد .. كما فى الآية (111) من سورة الإسراء وثبت فى بعضها حذفها وهو الأصح فالشيخ قصد الثناء لا خطاب الغير وكلاهما جائز، وقد جاء فى حديث النبى ﷺ : آية العز الحمد لله الذى .. الآية، رواه أحمد، وقوله فى دعاء الكرب " الحمد الله الذى ... الآية رواه الحاكم ، وقـال العلامة الفاسى : حزب الفلاح الذى أوله الحمد لله الذى ... الآية مما يؤيد ما ذهبنا إليه.

(2) لا يلتفت إلى من اعتراض على لفظ أفضل على تقدير أنها حلت محل من توهما فقد أثبتها الشيخ أبو عثمان سعيد الدكالى تلميذ الشيخ الجزولى بخطه، والمراد : أعطه لما قام به من حقك إلى خلقك ما أنت أهله.

(3) كتب الشيخ أحمد الفاسى والشيخ أبو الطيب الزياتى على قوله : بسم الله الذى .. إلخ أى : أعوذ باسم الذى لا يضر مع التعوذ به شئ

(4) وفى رواية وماجهلت علي نفسى أى ما فعلته من المعاصى غير عارف بحكم الله فيه وبرواية ثالثة وما شهدت على نفسي بمعنى علمت أو تيقنت فعله.

(5) من أول الحزب إلي هنا حزب الفلاح للإمام الجزولى ويقرأ عادة مقرونا بحزب سبحان الدايم لا يزول ويقرأ منفرداً بدون ما بعده بعد صلاة المغرب أما من قوله العزيز ذو الجلال إلى آخر الشهادتين. فمن حزب آخر للإمام الجزولى أيضا .

العـزيز ذو الجـلال لا إله إلا الله (مرتين)، الحكيم ذو الجمال لا إله إلا الله (مرتين)

الكبير ذو الكمال لا إله إلا الله (مرتين)، القريب ذو الإكرام لا إله إلا الله (مرتين)

المجيب ذو الإحسان لا إله إلا الله (مرتين)، الرؤف ذو الإنعام لا إله إلا الله (مرتين)

لا إله إلا الله لا إله إلا الله

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله

سبحان الدايم لا يزول[1] سبحان الباقى لا يفنى، سبحان الله مولانا، إلهنا جل وعلا، إلهنا نعم المولى، إلهنا نعم النصير، ، إلهنا نعم القدير ، إلهنا نعم الوكيل، إلهنا دايم ربى الله الله دايم ربى حاضر ناظر دايم ربى

جل الواحد القهار عن الشبه والنظير، جل الموصوف بالكمال عن الشبه والمثال، جل العزيز المحيط عن إدراك العقول، جل الموصوف بالقدم عن صفات المحدثات، جل الموجود القديم عن الضد والند، كان الله وحده ولا شئ معه[2] ، فأوجد الموجودات ليعرف[3] جل الله ، فأوجد الموجودات ليعبد عز الله، نعم

---

(1) هذا أول حزب سبحان الدايم ومن هذا الابتداء أخذ اسمه ويقرأ ابتدا من هنا بطريقتين الأولى : أن يقول أحد أو بعض المقدمين الجملة ثم ترد الطائفة نفس الجملة، والثانية أن تقول طائفة جملة ثم ترد عليها طائفة بالجملة التى تليها.

(2) فسر الإمام الجزولى قوله : كان الله وحده .. إلخ بقوله كان على ما يليق بجلاله لافى المكان ولا فى الزمان

(3) يلاحظ أنه استعمل كلمة يعرف دون يعلم لأن المعرفة متعلقة بالصفات والعلم متعلق بالذات، وذات الحق لا يلعم حقيقتها إلا هو وهو نفس اللفظ المستعمل في الحديث القدسى : كنت كنزا مخفيا فأوجبت أن أعرف فخلقت الخلف فبى عرفونى ا.هـ، وقد قدم المعرفة على العبادة للزوم تقدمها بالضرورة .

المولى واجب والمخلوق جائز ، نعم المولى قديم والمخلوق حادث، نعم المولى دايم والمخلوق هالك، نعم المولى غنى والمخلوق فقير، نعم المولى عزيز والمخلوق ذليل، نعم المولى عظيم والمخلوق حقير، نعم المولى كبير والمخلوق صغير، نعم المولى قادر والمخلوق عاجز، نعم المولى عالم والمخلوق جاهل، نعم المولى كامل والمخلوق ناقص، نعم المولى جليل لا يشبه المخلوقات، نعم المولى جليل فى قلوب العارفين، نعم المولى جميل فى قلوب العابدين[1] ، نعم المولى كامل فى قلوب الواصلين.

جل المولى جليل عن الحلول[2] فى القلوب، لا يختص بالمكان سبحانه عظيم، الاختصاص بالمكان من صفات المخلوقات، كان الله مولانا ولازمان ولا مكان[3] ، فالزمان محدث والمكان محدث، والزمان مفتقر والمكان مفتقر، والقديم[4] الغنى جل الله مولانا عز الله مولانا.

فهذه المعرفة لايسع جهلها، فعليكم بالتوحيد فإنه واجب، لا يعذر المكلف بجهله بالتوحيد، التوحيد دين الله ليس فى ذا إشكال، الجاهل، بالتوحيد لا يوصف بالإيمان، لا يوصف بالإيمان ولو كان عالما، لا يوصف بالإيمان ولو كان عابدا، من لم يوصف بالإيمان لايوصف بالأمان نسأل الله مولانا أن يعلم جهلنا، فإنه قادر يعطينا سؤلنا، يستجيب لمن دعاه سبحانه مولانا ياقريب يامجيب جب

(1) وفى رواية : نعم المولى جميل فى قلوب العارفين، وقد أتى الإمام الجزولى بأوصاف الربوبية ليكون المريد بها متعلقا وأوصاف العبودية ليكون المريد بها متحققا.

(2) وفى بعض النسخ : عن الحل فى القلوب .

(3) وفى بعض النسخ : كان الله مولانا قبل الزمان والمكان وهو نفس المعنى ولكن فى لفظ القبلية قبح لا يخفى .

(4) وفى بعض النسخ للقديم، وبعضها القديم بدون الواو.

دعانا بفضلك، نحن عبيدك خائفين من عدلك ياعليم، نحن عبيدك طامعين فى فضلك يارحيم[1] ، يا لطيف ياجواد ياحليم ياكريم.

الله الله مولانا أنت الواحد الأحد، الله الله مولانا أنت الفرد الصمد، الله الله مولانا أنت الموجود المعبود، يامالك ياقدوس ياعزيز ياجبار، سبوح قدوس عزيز جبار، موجود قديم إله عظيم، مالك قدير إله عظيم، واحد قهار إله عظيم، عليم شهيد إله عظيم، خبير بصير إله عظيم، سميع بصير إله عظيم، لطيف خبير إله عظيم ، جليل جليل إله عظيم، جليل جميل على عظيم.

معنا حاضر سبحانه مولانا، معنا حاضر بالعلم المحيط، معنا حاضر بالعلم القديم، معنا حاضر بالسمع القديم، معنا حاضر بالبصر القديم، معنا حاضر بالقدرة القديمة، معنا حاضر بالإرادة جل الله، معنا حاضر بالإرادة القديمة، معنا حاضر بجميع الأسماء.

سبحان مولانا لا يحل فى الأقطار

سبحان العلى العظيم، سبحان العلى الكبير، سبحان الجليل الجميل، سبحان الحليم الكريم، سبحان الحميد المجيد، سبحان الغفور الشكور.

اللهم صل على سيدنا محمد[2] ، اللهم صل على نبينا الممجد، اللهم صل على شفيعنا فى المحشر ، اللهم صل على خير الورى أجمعين.

---

(1) يلاحظ تقديم الإمام الجزولى للخوف على الرجاء.

(2) عرف الإمام الجزولى لفظ السيد بقوله : أعلم أن السيد معناه الحليم وقيل معناه الجليل وقيل معناه الذى يفزع إليه عند النوائب، وأصله سيود على وزن فيعل فقلبت الواو ياء لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون فأدغم إلياء فى الياء فقالوا : سيد.أ.هـ.

الصلاة والسلام على زين المرسلين[1] ، الصلاة والسلام على صاحب المعراج، الصلاة والسلام على راكب البراق، الصلاة والسلام على راكب النجيب[2] ، الصلاة والسلام على صاحب القضيب[3] ، الصلاة والسلام على مفتاح الجنان، الصلاة والسلام على من جاء بالبيان ، الصلاة والسلام على الصادق الأمين، الصلاة والسلام على البشير النذير، الصلاة والسلام على السراج المنير، الصلاة والسلام على حبيب الرحمن، الصلاة والسلام على الخضر أحمد[4] الصلاة والسلام على النبى العظيم، الصلاة والسلام على النبى المرسل، النبى المرسل لبنى كنانة[5] ، المخصوص بالعلوم اللدنيات[6] ، المخصوص بالأسرار

---

(1) ثبت أن الإمام الجزولى لما وقف فى زيارته تجاه الروضة المشرقة قال : السلام عليك يازين المرسلين فأجابه النبى ﷺ بقوله : وعليك السلام يازين الصالحين بصوت عال سمعه من حضره من المسلمين.

(2) النجيب : قيل هى ناقته ﷺ القصواء المعروفة، وقيل اسم فرس له

(3) لم يرد لهذه الجملة ذكرا عند الشيخ الغزال ولا عند الشيخ المراكشى ولا فى المجموع الصغير ولا فى النسخ القديمة ولم أجد على الرغم من شيوع قراءتها فى ليبيا لها ذكراً إلا فى نسخة الشيخ منتصر بن حسام الدين التلمسانى أصلا من أهل أسيوط بمصر وكان قد أخذ عن أحد أقطاب سلسلة الطريقة العيساوية الشيخ محمد بن على الاسفى الشهير بالحفيان عند مروره على مصر أثناء ذهابه للحج سنة 1132 هـ، مما يجعلها ثابتة فى أصل الحزب خلافاً لمن قال بغير ذلك، والقضيب هو عصا ممشوقة كان يتوارثها الخلفاء تبركا، وقيل أنه اسم أحد أسيافه ﷺ التسعة وهى : مأثور والعضب وذو الفقار والقلعى والبتار والحتف والمخدم والرسوب والقضيب والله أعلم.

(5،4) من المعروف أن الإمام الجزولى من القائلين بنبوة الخضر ورسالته ونقل عنه فى بعض مقطعاته الشعرية أحمد الخضر نبى مرسل أرسله الله إلى قوم فى البحر ، أرسله الله لبنى كنانة هداهم الله لنيل المعالى عليه السلام دائما سرمدا ، وغيره يرى أنه أرسل إلى كنانة وهو أحد أجداد النبى ﷺ يدلهم على اتباع شريعة إبراهيم عليهما السلام إرسال تشريف لا تكليف فهداهم الله على يديه، والله أعلم

(6) إشارة إلى قوله : وعلمناه من لدنا علما.

الموهوبات[1]، القدوة للأخيار فى كل زمان، المخصوص بالعرفان لأهل العناية.

الله الله مولانا أرض عن الصحابة، أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، أهل المجد والثناء النجوم الطوالع، وتالِ الصحابة وجميع الأولياء، وتابع الصحابة وتابع التابعين، وتابع التابعين وجميع المؤمنين[2].

أهل المجد والتعظيم رضى الله عنهم، أهل الحب والشوق رضى الله عنهم، أهل النور والسر رضى الله عنهم، أهل الصفا والوفاء رضي الله عنهم، السادات الشرفاء رضى الله عنهم، والأولياء الخلفاء رضى الله عنهم[3]، رضى الله عنهم رضى الله عنهم ثم نختم بالسلام على النبى العظيم ثم نختم بالسلام على النبى الكريم، ثم نختم بالسلام على النبى الحبيب، ثم نختم بالسلام على النبى الشفيع[4].

بركة الخضر ياإلهى معنا تحضر ياإلهى، بركة إلياس ياإلهى معنا تحضر ياإلهى، بركة أويس ياإلهى معنا تحضر ياإلهى، بركة

---

(1) إشارة إلى أن علم الخضر عليه السلام وهبى لا كسبى وهو المشار إليه بقوله : عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا

(2) هنا تم أصل حزب سبحان الدايم للإمام الجزولى ويليه زيادة الشيخ محمد السهلى أكبر تلامذته بإذن شيخه

(3) هم أولياء الله المتصرفون بأمره أهل نصره دينه وإشاد عبيده ومهما مات منهم من أحد خلف الله مكانه ومن أوصافهم أنهم لا يسبون شيئا ولا يلعنون ولا يؤذون ولا يحتقرون من تحتهم ولا يحسدون من فوقهم

(4) هنا تمت زيادة الشيخ السهلى ومابعده إلى آخر الحزب زاده الشيخ أحمد الحارثى بإذن استاذه سوى فقرات زادها بعض الاتباع سننبه عليها فى حينه إن شاء الله تعالى.

السادات ياإلهى معنا تحضر ياإلهى [1]، أهل المشرق ياإلهى وأهل المغرب ياإلهى [2]، وأهل البر ياإلهى وأهل البحر ياإلهى، وأهل السماء ياإلهى وأهل الأرض ياإلهى، وأهل العرش ياإلهى وأهل الكرسى ياإلهى ، بالأنبياء ياإلهى والأولياء ياإلهى، بمولاى إدريس [3] ياإلهى وابنه إدريس [4]، بعبد القادر [5] ياإلهى والحبشى [6] ياإلهى، ابن هوار [7] ياإلهى والشنبكى [8] ياإلهى ،

---

(1) لم ترد هذه الجملة عن الشيخ الحارثى ولا فى النسخ القديمة ولا بأس بذكرها.

(2) البعض يأتى هنا بزيادة تقول : بأهل الجوف يا إلهى وأهل القبلة يا إلهى ولا يوجد لها أصل ولم ترد عن الشيخ الحارثى.

(3) هو ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة بنت رسول الله ﷺ قدم من المشرق إلى المغرب سنة 172هـ وبويع يوم الجمعة 4 رمضان 172هـ وتوفى سنة 177 هـ.

(4) إدريس بن ادريس المذكور قبله يسمى بادريس الأصغر تمييزا له عن والده ولى بعد موت ابيه بوليلى سنة 177هـ وبويع فى جامعها سنة 188 هـ وعمره 11 سنة وبنى فاس وتوفى سنة 213 هـ.

(5) عبد القادر الجيلانى ولد سنة 470 بجيلان ويقال لها جيل ودخل بغداد سنة 488هـ وبها توفى سنة 561 هـ، ومن كلامه : الخلق حجابك عن نفسك ونفسك حجابك عن ربك وما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك ومادمت ترى نفسك لا ترى ربك.

(6) هو عطاء بن أبى رباح التابعى المحدث الصوفى كان عبدا حبشيا حج سبعين حجة وتوفى بمكة عن مائة سنة 115 هـ ومن كلامه : من جلس مجلس ذكر كفر الله تعالى عنه بذلك المجلس عشرة مجالس من مجالس الباطل.

(7) هو الشيخ أبو بكر بن هوار الهوازنى البطائحى كان يقطع الطريق ثم تاب، ومن كلامه : التوحيد إفراد القدم عن الحدود وخروج الأكوان وقطع الحجاب وترك الوقوف مع كل ما علم وكل ماجهل.

(8) هو الشيخ أبو محمد الشنبكى بن موسى البطائحى كان هو أيضا قاطع طريق ثم تاب وأخذ عن ابن هوار، ومن كلامه : من ادعى سرا مع الله لا يشهد له حفظ ظاهره فاتهمه فى دينه، ومن كبار تلامذته الشيخ أبو الوفا شيخ الطريقة الوفائية والشيخ منصور البطائحى خال القطب أحمد الرفاعى

الجنيد[1] ياإلهى والثـورى[2] ياإلهى، بسـيـدى يونس[3] ياإلهى والبـصرى[4] ياإلهى ، بسيدى معروف[5] ياإلهى وأبى يزيد[6] ياإلهى، بسيدى سهل[7] ياإلهى والشبلى[8] ياإلهى، بعبد السلام[9] ياإلهى وأبى سلهـام[10] ياإلهى،

(1) هو الأستاذ الجنيد بن محمد القواريرى سيد الطائفة أخذ عن خاله السرى السقطى والمحاسبى والقصاب وتوفى يوم السبت 297 هـ ودفن ببغداد ومن كلامه : الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار.

(2) هو عالم الأمة وعابدها وزاهدها سفيان بن سعيد لثورى ولد سنة 97هـ وكانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث وتوفى سنة 161 هـ، ومن كلامه : إذا سمعتم ببدعة فلا تحكوها لأصحابكم ولا تلقوها فى قلوبكم.

(3) هو يونس بن عبيد توفى سنة 139 هـ ومن كلامه : يعرف ورع الرجل فى كلامه إذا تكلم.

(4) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى من جلة التابعين وأئمتهم لقى الإمام على والكثير من الصحابة وهو أحد اثنين يجوز لهما إرسال الحديث، نشأ فى بيت أم المؤمنين السيدة أم سلمة وتوفى بالبصرة سنة 110 هـ، ومن كلامه : كل من أتبع طاعة الله لزمتك مودته ومن أحب رجلا صالحا فكأنما أحب الله.

(5) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى مجاب الدعوة مشهور بالزهد صحب داود الطائى وتوفى ببغداد سنة 200 هـ ومن كلامه : إذا عمل العالم بالعلم استوت له قلوب المؤمنين وكرهه كل من فى قلبه مرض.

(6) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى توفى سنة 261 هـ ومن كلامه : خلع الله على العبيد النعم ليرجعوا بها إليه فاشتغلوا بها عنه.

(7) هو سهل بن عبد الله بن يونس التسترى توفى سنة 283 هـ ومن كلامه : حياة القلوب التى تموت بذكر الحى الذى لا يموت

(8) هو أبو بكر بن جحدر الشبلى أخذ عن خير النساج وصحب الجنيد ومن عاصره من المشايخ وكان عالما بالحديث الشريف والفقه على مذهب مالك عاش 87 سنة وتوفى سنة 334 هـ ومن كلامه : ليس للمريد فترة ولا للعارف علاقة ولا للمحب شكوى ولا للصادق دعوى

(9) هو عبد السلام بن مشيش الحسنى الشريف شيخ الإمام الشاذلى توفى سنة 625 هـ، ومن كلامه: الدلالة على الله هى الدلالة على نسيان النفس فإذا نسيت نفسك ذكرت ربك.

(10) سلهام أى القباء أو البرنس باللسان البربرى بنطق زناته.

بالشاذلى[1] ياإلهى والغزالى[2] ياإلهى أبى مـدين[3] ياإلهى وأبى يعـزه[4] ياإلهى، أبى شعيب[5] ياإلهى، وأبى مهدى ياإلهى[6]، بسيدى يشو[7] ياإلهى

---

(1) هو القطب أبو الحسن على الشاذلى الحسنى الشريف نسب إلى شاذ له بتونس توفى فى ذى القعدة 656 هـ، ومن كلامه : أربع لا ينفع معهن علم حب الدنيا ونسيان الآخرة وخوف الفقر وخوف الناس.

(2) أبو حامد محمد الغزالى صحب الشيخ الفارمدى وتعمق فى العلوم وألف الكتب النافعة وتوفى يوم الإثنين 14/ جمادى الآخره /505 هـ ومن كلامه : لايفيدك كثرة تحصيل العلم وجمع الكتب مالم تعمل.

(3) هو أبو مدين شعيب القطنيانى توفى عن نحو ثمانين سنة فى تلمسان سنة 594 هـ، ومن كلامه : ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها.

(4) هو أبو يعزى يلنور بن ميمون الدكالى أقام خمس عشرة سنة فى البر لا يأكل إلا من حب الشجر وتوفى فى شوال 572 هـ ومن كلامه : من طلب الحق من جهة الفضل وصل إليه.

(5) هو أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى من أشياخ أبى يعزى الملقب بسارية من مدينة أزمور بالمغرب وبها توفى يوم الثلاثاء 15/ربيع الثانى / 561 ه وكان إذا وقف فى صلاته يطيل القيام فلذلك لقب بالسارية، وهو الذى صلى على حجة الإسلام الغزالى بطوس وكان أوصى الا يصلى عليه حتى يأتى رجل يصلى عليه وكان الشيخ أبو شعيب ممن تطوى لهم الأزمنه والأمكنة.

(6) هو أبو مهدى بن السلامة الدغوغى كان ممن يمشى على الماء ويطير فى الهواء توفى سنة 590 هـ ، ومن كلامه : لا تكتموا على إخوانكم ما تشاهدونه من الكرامات وحدثوهم بها لتحببوا لهم طاعة الله تعالى.

(7) هو مالك بن غفير الشهير بابن خده بن يوسف بن يشو الحسنى الشريف توفى سنة 932هـ وقيل أنه عاصر الإمام الجزولى وعليه فلا تكون هذه الزيادة من الشيخ الحارثى الذى توفى سنة 905 هـ.

وأبى محمد[1] ياإلهى، أبى إبراهيم[2] ياإلهى وأبى إليـاس[3] ياإلهى أبى العباس[4] ياإلهى سيدى نُمْيِكِر[5] ياإلهى، أبى زكرى[6] ياإلهى وأبى داود[7]

---

(1) هو أبو محمد ماجد الكردى توفى بالعراق سنة 561 هـ ومن كلامه : الصمت عبادة من غير عناء وزينة من غير حلى وهيبة من غير سلطان وحصن من غير سور وراحة للكاتبين وغنية عن الاعتذار.

(2) هو أبو إبراهيم اسماعيل الأدارى من أهل أدار كان من الأوتاد أقام بالروضة بالمسجد النبوى المكرم 20 عاما ثم عاد إلى بلاد المغرب ومن كلامه : لا تؤذوا أولياء الله ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

(3) هو أبو زيد الرجواجى من كبار العارفين الواصلين إلى مقام القطبانية راجع ما كتبناه عنه فى المبحث الخاص بسند الطريقة العيساوية

(4) هو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجى السبتى كان رحيماً حليماً صورا ومن أكابر الزهاد العلماء ولد فى 524هـ فى سبتـه وإليـها نسب وتوفى فى مراكش سنة 601 هـ ومن كلامه:

يا أخى قم ترى الكتاب دليلا ∴ وأجعل الذكر والسجود سبيلا
وأطلبن من الله جنـة خلـد ∴ بخضوع يراك فيـه ذليـلا

(5) سكن بصحراء

(6) هو يحيى بن موسى البلجى المغربى من وادى شفشاون من بلد رجراجة ذو كرامات كثيرة وأحوال ربانية جليلة من كلامه: اللهم إنك تعلم إنى فررت من مشاهدة معصيتك فأعنى.

(7) أبو دواد سليمان بن نجاح عالم بالتفسير توفى فى 496 هـ له 26 مؤلفا منها البيان فى علوم القرآن 300 جزء والتبيين فى الهجاء التنزيل 6 مجلدات

ياإلهى، ابن يبقى[1] ياإلهى أبى محمد[2] ياإلهى بسيدى محمد[3] ياإلهى بسيدى أحمد[4] ياإلهى بسيدى محمد[5] ياإلهى أبى مهدى[6] إلهى، أبى مهدى[7] ياإلهى بسيدى محمد[8] ياإلهى. وبسيدى الحرار[9] ياإلهى وجملة الأولياء الأخيار ياإلهى، بسيدى محمد ياإلهى الجزولى ياإلهى، بسيدى محمد ياإلهى سيدى حنينى[10] ياإلهى، بركة السادات ياإلهى معنا تحضر ياإلهى[11]

---

(1) هو بقاء بن بطو من أكابر الصديقين قال الشيخ عبد القادر الجيلانى : كل المشايخ أعطوا بالكيل الا الشيخ بقاء بن بطوفانه أعطى جرافا توفى سنة 553 هـ بالعراق ومن كلامه : من لم يجد فى نفسه زاجرا فقلبه خراب، ولا أنكر على من قال ابن يبقى فمعظم الروايات المعتمدة ذكرته بهذا الرسم واعتقدوا الله أعلم أنه تحريف الاسم الشيخ بقاء، وإلا فهو ولا فهو تحريف لاسم الشيخ أبو البقاء خالد بن يحيى المصمودى توفى بالمغرب فى 903 هـ ومن كلامه : إن الله يجدد على أوليائه فى كل زمان معجزة الرسول ﷺ ، ولا يلتفت إلى رأى من قال : إنه الفقيه القاضى أبو بكر محمد بن يبقى المتوفى فى 381 هـ فهو ليس من أهل هذا الشأن

(2) هو أبو محمد عبد الله بن تاخميسية الفاسى توفى سنة 608 هـ ولم يؤثر عنه كلام لانقباضه عن الناس حج عن طريق البحر وكراماته كثيرة .

(3) هو الشيخ محمد الصغير السهلى أكبر تلامذة الإمام الجزولى

(4) هو الشيخ أحمد بن عمر الحارثى ويرجح أن هذه الزيادة من كلام الشيخ الكامل رضي الله عنه.

(5 ، 6 ، 7 ، 8) هو الشيخ الكامل وضعه بعض المريدين بين مشائخه الأربعة وكرر التوسل باسمه وكنيته لعلو شأنه ومكانته.

(9) هو الشيخ عبد العزيز التباع

(10) لفظ حنينى صفة للإمام الجزولى وتعنى العطوف الشفوق بلفظ أهل القطر، وفى بعض النسخ بابا حنين فيقال : إن الحارثى نزل شيخه منزلة الأب ذى الحنانة.

(11) وفى بعض النسخ القديمة زاد بعد بركة السادات .. إلخ بركة سيدى ياإلهى معنا تحضر ياإلهى

(ثلاثا)، معنا تحضر ياإلهى فى كل محضر ياإلهى، فى كل محضر ياإلهى شيخى يحضر[1] ، فى هذا المحضر ياإلهى الكامل حاضر ياإلهى[2] يابن عيسى ياسيدى معنا أحضر ياسيدى[3] (ثلاثا) ، بصرخة سيدى ياإلهى تأخذ بيدى ياإلهى[4] .

بمحبة ربى ياإلهى عمر قلبى ياإلهى[5]، بطاعتك ياإلهى طهر جسمى ياإلهى[6] ، بمحبتك ياإلهى نور قلبى[7] ياإلهى، بتقوتك ياإلهى استرعيبى[8] ياإلهى، بحرمتك باإلهى أغفر ذنبى ياإلهى[9]

آمين آمين أمن رب العالمين[10] ، اللهم يارحيم ارحمنا والوالدين، واعف عنا ياالله ببركة الصالحين ، ببركة الصالحين والأنبياء والمرسلين، عبادك خائفين ببابك واقفين، غفرانك ياالله يارحمن يارحيم ، تب علينا ياالله وارزقنا حسن اليقين، ثبتنا ياMولانا عند سؤال الملكين، نجنا يامولانا أحد عنا الظالمين، وانصرنا يامولانا على القوم الكافرين، وارحمنا يامولانا وارحم جميع المسلمين .

ثم يذكر الكلمة المشرفة (لا إله إلا الله 300 مرة) المائة الأولى برفع الصوت والمائة الثانية بخفضه أقل والثالثة بخفضه أكثر، وعلى رأس كل مائة محمد رسول الله عليه صلاة الله (عشر مرات)

(1 ، 2 ، 3 ،4) من زيادات بعض أتباع الشيخ الكامل والصرخة بمعنى الاستغاثة وهذه نهاية أصل الحزب بزيادات الحارثى وغيره ، أما ما بعده فهو ختم حزب الفلاح وهو غير الفلاح المذكور قبل سبحان الدايم بل أخر سنذكره لاحقا وقد جرت العادة بإلحاقه به.

(5، 6 ، 7 ، 8 ، 9) فى بعض النسخ بتاء المضارع فيقال : تعمر قلبى، تطهر جسمى .. إلخ ، وفى بعض النسخ بحذف حرف الباء من أول الكلمة فيقال : محبة ربى ، أما الجملتان الأخيرتان اللذان تبدآن بلفظ بتقوتك، وبحرمتك فهما لايوجدان إلا فى قراءة أتباع الطريقة بليبيا .

(10) آمين بالمد فى الثلاثة الأولى والقصر فى الرابعة.

ثم اسم الجلالة (الله) مفردا عدد (300 مرة) أو أكثر بحسب النشاط.[1]

وجاءت أيضا زيادات بعد هذا وتوسل بأسماء الله تعالى والأنبياء وأدعية مختارة واستغفار وأذكار حسنة.

---

(1) هذه الأذكار ملحقة بالحزب لا بالزيادات الأخيرة.

حزب الحمد

للشيخ محمد بن سليمان الجزولى رضى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الحمد لله الذى أنعمَ علينا بنعمة الإيمان والإسلام وهدانا بِنَبِينَا وسيدنا ومولانا محمد عليهِ من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنَّا لنهتدىَ لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسلُ ربنَا بالحق اللهم لك الحمد كما أنت أهله وصل على سيدنا محمد كما أنت أهله وأفعل بنا ما أنت أهله إنك أهلُ التَّقوى وأهل المغفرة الحمد لله حمداً يبقى ربنا ويفنى كل أحد والحمد لله على كل حال الحمد لله بجميع المحامد كلِها ما علمتُ منها وما لا أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لا أَعلم الحمد لله حمدا يوافى نِعَمة وَيكافِى مَزِيدَ كَرمِه اللهم لا أحصِى ثنَاءً عليكَ كما أثنيت على نفسك الحمد لله الذى تواضع كل شئ لعظَمَته والحمد لله الذى خضع كلُّ شئ لعزتِه والحمد لله الذى ذل كلُّ شئ لقدرته والحمد لله الذى استسلم كل شئ لمشيئته والحمد لله الذى افتقر كل شئ لرحمته والحمد لله الذى أتت السموات والأرض طائعين لدعوته الحمد لله كما يليق بجلاله وعظمته الحمد لله رب العالمين كما ينبغى لِكَرَم وَجْهِهِ وعزٌ جلاله اللهم لك الحمد كما ينبَغِى لجلال وجهك وعظيم سلطانك اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم شأنك اللهم لك الحمد ولك الملكَ كُلُه ولك الخلقُ كلُه وإليك يرجع الأمر كله أسالك الخير كَلَه فى الدُّنيا والآخرة وأعوذ بك من الشرِ كله فى الدُّنيا والآخِرة الحمد لله الأول قبلَ كل شئ والخَالق له والحمد لله الآخر بعد كل شئ والوراث له والحمد لله الظاهر على كل شئ والوكيل عليه والحمد لله الباطن بكل شئ والمحيط من ورائه لديه والحمد لله حمدا كثيرً طيباً مباركا كما يحب ربنا أن يحمد اللهم إنى أصبحت لا أستطيعِ دفع ما أكرهُه ولا أملك نفعَ ما أرجوه وأصبَح الامر بيدك وَأصبَحت مُرتهناً بعملى فلا أحد أفقر

منى اللهم لا تشمت بيى عَدُوي ولاَ تسؤ بى صَديقى ولاَ تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر هَمّى ولا مبلَغَ علمى ولا تسلِط على بذَنوبى من لا يَرحمنى يا أرحمَ الراحمين اللهم إنى أصبحت متحرِزاً بك من كل شئ خَلقتَه أو تخلُقه إلى يوم القيامة اللهم إنى أصبحتُ منكَ فى نعمةٌ وعافيةِ وَستر فأتمِم نَعمتَكَ على وَعَافيتِك وسِترك في الدّنياَ والآخرة يا أرحم الراحمينَ يَارب العالمين اللهّم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وَحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر اللهم إن ذنوبنا عظمت وجلّت وأنتَ أعظمُ منها وأجل فأفعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله اللهم إنى أعوذ بك مما أعلم وأستغفركَ اللهُم مما لاَ أعلمُ سُبحَانَ من تعزّز بالعظمة سبحان من تردّى بالكبرياء سبحان من احتجب بالنور سبحان من تفرّد بالوحدانية سبحان من قهر العباد بالموت سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مادام ملك الله اللهم ثبت علمها فى قلبى واغفر لى ذنُوبى وأغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحَم الراحمين ياربٌ العالمين والصلاة الدائمة والتسليم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

وتقرأ بعده هذه الصلاة

اللّه صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وبارك وعلى سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت ورحمت وباركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد، اللهم أرض عن ساداتنا الخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن الحسن والحسين وعن أمهما وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

حزب الفلاح
للشيخ محمد بن سليمان الجزولى رضى الله عنه

سُبحانَهُ لا إله إلاّ الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أله (عشر مرات) ثبتنا يارب بقولها وانفعنا ياجواد بفَضلها واجعلنا من خيار أهلِهَا واحشرنَا فى زُمرته صلى الله عليه وسلم وعلى آله (ثلاثا) ثبتنا عِند الوفَاة وارحمنا بعد الممات لا تحاسبنا فيما فات ياكريم الكرمَاء (ثلاثا) ثبتنا عند السؤال وأرحمنا يا ذا الجلال لا تُحاسبنا بالأفعال يا معروفا بالإحسان (ثلاثا) يامولانا يامجيب من يدعوك مَا يخيب اقض حاجتنا عن قريب يا حاضر لاتغيب (ثلاثا) النصرُ من الله والفتح من الله من فى قلبه حَاجَة خير سَهلها له يالله (وفى الثالثة اقضها له يالله) مولانا مولانا ياسامع دُعانا بفضلك وإحسانك لا تقطع رجانا (ثلاثا) (وفى الثالثة بجاه محمد احفظنا وارعانا) أزل يارب حجاب الغفلة عن قلبى بجاه سيدنا محمد وأصحابه العشرة (ثلاثا) مولاى بالحق وبالحقيقَة أغفر لنا وافتح لنَا الطريقة كما فتحتها للقوم الصادقين هَدَيتهم أدخلتهم فى الصالحين حقق لنا طريقة الصوفية هى المسماة بالشّاذلية توسلنا بسيدِ الخليقة محمد فاسلك بنا طريقة عَليه أفضل الصلاة والسّلام وآله وصحبه على الدوام (ثلاثا) يا حنان يا منّان يا مَن لا يزول أبدا يا غياث يا مُغيثَ يامَوجود سر مداهون لنا فى الأسباب وأجعلنا فى الجنة (ثلاثا) يا من يَسمع ويرى من غير جارحة سَألتُك بِخير الوَرىَ ربّ فَرج كُربتى (وفى الثانية) رَبّ أقض حَاجتى (وفى الثالثة) رب أمحُ سيئتى بحرمةِ محمدٍ وعلى وفاطمة أنف عنا يا الله شَر النفس الظالمة (وفى الثانية أعم عنّا يا الله كل عينٍ ظَالمة وفى الثّالثَة أسعدنا ياالله وامتنا على الخاتمة) لا نشكو إلا إليك يا مرتقبا

علينا فوضنا الأمر إليك فيمن أساء إلينا (ثلاثا) وفى الثالثة فيمن طغى علينا الحمد لله و الشكر لله على فضل الله ربى رب العالمين (ثلاثا) جل الله مولانا قال أدعونى استجب هذا وقت الحاجة ياحَاضِر لا تَغيب (ثلاثا) تب علينا يا تواب لا تغلق فى وجهنا باب واجعل لنا فى الخير أسباب نحن عبيدك وأنت الله (ثلاثا) أمين آمين آمن رب العالمين، اللهم يارحيم ترحم بها الوالدين، واعف عنا يالله ببركة الصالحين، ببركة الصالحين والأنبياء والمرسلين عبادك خائفين ببابك واقفين غفرانك يا الله يارحمن يارحيم ، تب علينا يا الله وارزقنا حسن اليقين، ثبتنا يامولانا عند سؤال الملكين، نجنا يامولانا وأحد عنا الظالمين، وانصرنا يامولانا على القوم الكافرين، وارحمنا يامولانا وارحم جميع المسلمين.

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم».

الوظيفة الربانية
للشيخ محمد بن سليمان الجزولى رضي الله عنه

اللهم ألهمنى إلى الخير وأعنّى عَلَيه وبلغنِى منَازل أوليائِكَ وَبشرنِى بالفَوز يَوم لقَائكَ وَتُب عَلىَّ تَوبَةً نصوحاحا تَمحُو بهاَ عنى جميع أوزروى اللهم ثبّت قَدَمِى على طاعتك وتوحيدكَ وتَجَاوز بعفوك عن سيئاتى وَأجرنِى من سخطك وعصيانك اللهم أحفظنى بحفظك فإنَّك أنت الحفيظ لم تَزل اللهم خِر لى واخترلى وخلصنى خلاصا جميلاً بفضلك وأدفع عنى شرَّ كل ذى شر ومر عنى الظالمين وأجعل بيوتهم خاوية بما ظلموا ياذا الجلال والإكرام اللهم أذقنى حلاَوة رحمتك ونَسيم عفوك وارزقنى رضَاكَ واجعلنى راضيا بك رَبا كَرِيماً وزدنى من لدنك عِلماً يا زَائد الخضر فى علمه واطلعته على مكنون غيبك برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم طهر قلبى من الشّك والشرك والريب وامنحنى يقينا وإخلاصا وحسن الظّن بك ياربَّ العالمين اللهم ظِلنى تَحت ظل عرشك يوم لا ظِلَّ إلاَّ ظلُك واكفينى بك فإنك أنت الكافى عن كل شئ ولا يكفينى عنك شئ يارحمان الدنيا والآخرة أرحم عَبداً لا يَملك الدُنيا ولا الآخرة إنك على كل شئ قدير اللهم لا تُحرمنى كَرامتك فإنك أنت الكريم وملكنى نفسى ولا تسلطها على فإنك أنت الملك الفعَّال ونَجِنِى من فتنة الطاعة وشرَّ المعصية وصبرنى على طاعتك وعن معصيتك وأجعلنى من الصَّابرين فى البأساء والضراء بمنك وكرمك يَاذَا الجلال والإكرَام اللهُم ضَاقت على الأرض بمَا رَحبَت وضاقت علىَّ نَفسى وَأيقَنتُ أن لاَملجأ منكَ إلاَّ إليكَ وَعفوك أعظمُ من ذُنُوبى وأُوسَعَ فاعفُ عنى بِجودك وكَرَمك وأغنِنى بحلالك عن حَرامك وأغننى بك عمن سِوَاكَ فإنك أنتَ الغَنىُّ المنَّان اللهم افتح لى أبواب رحمتِك وفضلكَ وافتَح قلبى بِنُور رَحمتك حتىَ لا

نَعرفَ أحدا سِواك ولاَنرى فى الوجود إلاّ أنتَ وقدّ سنى من كلّ وصَف يمنعنى من الوُصـول إليك واجلب روحى إلى حَضـرة قـدسك اللهمّ سَلمنى من آفـات إبليس وجنوده وحُل بيني وبين من يريد أن يقطعنى عنك وأشهدنى عَظمتك وكبريا ءك وارزقنى الشّهادَة من فـضلك وَهَون علىّ السّلوك وهب لى نورا أهتدى به إليك اللهم إنّ وعـدك حق وقَولك صدق فـاجعَلنى من الذين وعـدتهم مـغفـرة وأجرا عظيما الله الله الله لا أرجو أحدا سواك فأنت رجائى ومقصدى يا من يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم اهدنا إلى أوضح السبيل ودلنى بك عليك بجاه سيدنا ومولانا محمد ﷺ خاتم النبيئين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسلميا والحمد لله رب العالمين

حزب الابريز

للشيخ محمد بن عيسى رضى الله عنه

اللهم صلى على سيدنا محمد إبريز كنز العزّ والفوزِ العظيم وإنسانِ عَيْن الحسن الباهِر القَويم الحائز بَما لا يدرك فى النّظر بمعانى الأكتساب فى الأزل القديم شمسِ الحقيقة اللائحة بسَمتِ العناية وغايةِ منتَهى النهايَة فى الصدق العَميم راية الحلم المَطّوقة بنور سر عينَ الحياة الفائزة بشمائل الفضل والتكريم صلاة تشرق على قائلها بِطَوَالعها المنوطَة بمواهب الرّحمة منك بارحيم اللهم بحق صدق الصادقين لديك وقسم المجتبين من خَاصّة الخلقِ عليك وتضرع النبيين المنتسبين بالحق إليك وبجلالك الجالى للعظمة والكبرياء وجمالك العالى بظهور الرحمة والهناء فأضحى الجلال ممزوجاً به لإدارة الحلم عند حلول القضاء والجزم بالحكم وقد نفذ الامر وَطويَت صحف النّجاة فيظهر جمالك فى مرءاة عَيْنِ المشاهدة للراغبين فتتضرع ضراعة الصدق بالتوجه إليك والخضوع فى طلب الرفق فيلوح من ناحية حلمك نور العفو لأن لا تزيغ قلوب الخائفين ولولا الظهور منك برؤية الجمال لهلك الكل بالكل بل الكل بالبعض من بعضٍ بعضِ البعض من جلالك فلكَ الحمد ربى على ما أسديَتَ وأنعمت إذ كل موجود لا ينكرما به جُدت وأكرمت ولو أسندتنا إلى أحد سواك طَرفَة عينٌ ما سَلم من أتى بنصف ذرة من الذنب لكن فضلك عَميم على جميع خلقك وإن كان العدل منك مهلكا لمن عَصاك فأخفاه سترك بحجاب الفضل حتى ظن من كفر بنعماك أنه لا يقدر عليه أحد ولم يَعلم بجهله أنك البّر الرحيم أسالك الحَفظ والعِصمة من الشك والشرك وزوال النعمة بالنقمة والنظر إلى سِواك بعين الذل وَالأمتهان فإنه لا يقدر أحد عن كشف الضر غيرك وما أفلح من أفلح إلا من أناب إليك فأنت المعدُّ لكلِ ما

تَضيق به النَّفس وأنت أرحم بها مِنها عليها فلا يعلم قدر فضلك على من أكرمته إلا أنت فأكرمني بنوال منه حتى لا أصدَعَ إلا لك وآنسنى بأنس معرفَتك فى غَيَابَات ليل ظُلمة الجهل وبين لى سبيلاً يرشدنى لوصول حضرتك فلا مانع لما أعطيتَ ولو كانت القدرة نافذة لغيرك لوقع المنع وضاق العطاء فهنيئا للواقف بساحل نيل فيض بحر إحسانك الشامل فقد أظهرت ما أظهرت وأخفيت منه لحكمة ما شئت والكل موجب لشكرك فألهمنى اللهم له مادمتُ راجيا لعطائك الذى لا ينفد إذ المخازن وسِعت كل شئ كما وسعت رحماك فى دنياك جميع الكائنات من خلقك وخصصت يوم لقائك من أقر بوحدانيتكَ وأمن برسلِك اللهم أرزقنى محبةً المخلصين من أوليائك وألفنى بهم حتى أكون من أعظمِهم لدَيكَ واجعلنى فيهم من المقبولين عندك واحرسنى بعين عنايتك التى لا ترام فأنت الولى والنصير اللهم بحق هيبتك التى لو ألقيت منها قدر حبةٍ من خردل على جميع بحارك لسعرت خوفا وعلى شوامخ جبال أراضيك لدكت وأصبحت نَسفاً أيدنى بالقرب من البعد وأنقذنى من الهزل بالجد وألبسنى حُلة من سرّ سطوتها القاهرة عند لِقاء كل جبار عنيد وأيدنى بتأييد نصرك العزيز فأنت أقرب إلى من حبل الوريد لاَ أنكرُ فصلك ولا أعرف غيرك فمن ذا الذى يعصمنى منك إذا أوجبت العقاب وصَّرفت على من خذلت جبرا عليه مَوَارِدَ العَذَاب فَلا تُعَجِل عقوبة من عصاك طامعا فى رحمتك فليس على أحد غير مَنتك فلا سعيدُ من أبغضته ولا شقىٌ من رحمته ولولا رحمتك سبقت غضبك وجرى بذلك قلمُك ما ظهر على من طردته جودُك وفضلك فنسألك اللهم دوام عافيتك المصحوبة بلطائف اللطف الخفى إذ الظاهر يشرق منه حلول النقمة فيكون بعد فتنه القلب والجزع المسبب فى الحيرة ونحن ضعاف لانقدر على حمل الضر وقد عودت من أحببت منك الخير فنطلب منك أن لاَ يعقبه كدَرَ يهتكُ السترَ علينا فمن وجوب

الوجوب على الكريم أن يَمنحَ بالعطاء من أساء إليه من غير واسطة فكيف من أتى بعقد واسِطة الوسائط حبيبك الذى تَوجته بتاج العز والنصر وأيدته بقربك فى أعلى الملكوت وأقمته مَقام العزّ فى بساط الجبروت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى هديت به من أرشدته لدينك القويم وجَعلتَه كريما فى كل من شرفُت وعظمت وأطلقت على لِسانه الحقّ فأصبح ظافرا بغنائم الذِكر والسرِ والفخرِ حتى شاهد مشاهد الأسرار الربانية والمعانى الإلهية بقدس حضرتك العلية فما أكرمها من عطية تفرد بها على جميع الأنبياء والأصفياء وخصَّصتَه بشفاعة أمتة يوم القيامة كما يرجوها أهل سمواتك وأراضيك من جميع خلقك حيث لم يطلب غيرها فنسألك اللهم أن تجازيه عنّا ومن أمن به أفضل ماهو أهله وأن تصلى عليه وعلى أله صلاة لا تعد ولاتنحصر ولا تنقطع مَادام دوامك وارتفع شأنك وعز سلطانك اللهم أجعلنى من الداخلين فى زمرته وممن يموت على ملّته وارزقنى شفاعته الكبرى ولا تحل بينى وبينه طرفة عين وغيبنى فى محبته واجعلنى مأمونا فى كَنَف حرِزه كما وعدنى وعدا سمعته منه وعاهدنى عهدا نتج منه عهد الصادقين وصافحنى براحتة الشريفة فتشبكت الأصابع حتى أدركت الغرض وقال لى ما أخفيته وأنت أعلم به منى فنسألك اللهم لساناً طلقاً فى مدحه لا يَكل ولا يفتر وعلى نوال فضلك لا يزال يحمد ويشكر وصل اللهم عليه وعلى آله عدد علمك المحيط بجميع ما شَهَرت وسَترتَ وعدد مابه أحطت فى كل لحظة إلى أبد الأبد وعلى جميع الأنبياء والملائكة الأبرار بفضلك وكرمك باعزيز ياجبار اللهم أقبل دعاءى وثبت رَجَاءى وأختم علىَّ وعلى عبادك المؤمنين بالشهادة أمين لا إله إلاَّ أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين (ثلاثا) وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حزب الحصن والاستقامة
للشيخ محمد بن عيسى رضى الله عنه

لقدْ رضيَ الله عن المؤمنينَ إذْ يُبَايعُونَكَ تَحتَ الشّجَرَةِ فعَلِمَ مَا فى قُلُوبِهِمْ فأنْزلَ السّكينَةَ عليْهم وأثابَهُمْ فتْحاً قَرِيباً ومغَانم كَثيرَةً تأخُذُونَهَا وكانَ الله عَزيزاً حَكيماً اللهم ارزُقْنَا القِيامَ بِحقِّ الطّاعَة بِسرِّ التّوفيقِ وَ النّظرِ إلى أنفُسنَا بعيْنِ التّقْصِيرِ فنسْتَقيمُ كَمَا أمرْتَ اللهُمّ إنّ الاسْتقامَةَ كَمالٌ وَمَنْ لايَسْتَقيمُ ضَاعَ سَعيُهُ فَلا تُضيّعْنَا إنّكَ علَى كُلّ شَيْءٍ قَديرٌ اللهُمّ إنّك تَفْتَحُ للذّاكِرِين بَاباً عَظيماً منْ أبْوَابِ المعْرفَة فعَلّمنَا مَا لا نَعْلَمهُ إنّكَ أنْتَ علاّمُ الغُيُوبِ وَقَد قُلتَ وقَوْلُكَ الحَقُّ فاذْكُرُونِى أذْكُرْكُمْ اللهُمّ اجْعَلْناَ منَ الّذِين نَوّرْتَ قُلُوبَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ فى الدُّنْيَا وَالآخِرةِ إنكَ على كل شيءٍ قدير سيماهُمْ فى وجُوههمْ من أثَرِ السجُود رَضِى الله عنْهُمْ وَرَضُوا عنْهُ قلْ بِفَضْلِ الله وبرحْمَته فَبذلك فَلْيَفْرَحُواهُوَ خَيْرٌ ممّا يَجْمَعُونَ اللهم إنّ الذكْرَ يَكْسُو صَاحِبَهُ مهَابة وَحلاوَةً وَنَضَارَةً وَتَذكَاراً وَهُو سَبَبُ النّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَرِيم وُجُوهٌ يَوْمَئذٍ نَاضرةٌ إلى رَبّهَا نَاظِرَةٌ اللهُمّ اجْعَلْنا منَ المحْبُوبِين الذينَ شَرَحْتَ صُدُورَهُمْ وأوْدَعْتَهُمْ حِكْمَتَكَ بِمَحَبّة رُوح الإسْلامِ وَقُطْب رَحَى الدّين ومَدَارِ النّجاة والسّعَادة وأسْعدْنَا بمحَبّةٍ منْكَ وَقَبُولٍ إنّكَ على كل شيءٍ قدير سَألْنَاكَ بما دَعَاكَ به الخَضِرُ عليه السّلام فى طَوافه اللهم يامن لا يُشْغلُه سَمْع عن سَمْع يا من لا تُعَطّلُهُ المسَائلُ يا من لا يُبْرِمُه إلحَاحُ المُلحّين أذقْنَا بَرْد عفْوكَ وَحَلاوَةَ مَعْرِفَتكَ وَرَحْمَتكَ يا أرحم الراحمينَ اللهم إنّكَ تَعْلَمُ سرنَا وَعَلانيتَنَا فَاقْبلْ مَعْذِرتَنَا وَتَعلَمُ حَاجَتَنَا فاعْطِنَا سُؤْلنَا وتَعلَمُ مَا فى أنْفُسنَا فاغْفرْ لَنَا ذُنُوبَنَا اللهمّ إنّا نَسألُكَ إيمَانًا يُبَاشِر قُلُوبَنَا ويَقيناً صَادقاً حَتى نَعلَم أنّهُ لَنْ يُصيبَنَا الا مِا كَتَبَ الله لَنا والرضَى بمَا قَسَمْتَ لنَا اللهم إنّكَ قُلْتَ لا إلَهَ إلا الله

حصْنى فَمَنْ دَخَلَ حصْنَكَ ءامَنَ مِنْ عذَابِكَ وَمَنْ دَخَلَ الحصْنَ ءامَنَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَيْسَ لَهُ عَليه سَبِيلٌ فَإِنَّا دَخَلْنا حِصْنَكَ لا إِلَهَ إلا الله وَحْده لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الملكُ وله الحمد وهوَ على كلّ شئٍ قدير إنّ عِبادِى لَيْسَ لكَ عَلَيْهِمْ سلطانٌ اللهم إن النُطقَ بِالشَّهادَتينِ يُزيلُ الهمّ والغَمّ والكفرَ وغَمّ الشرْكِ وَشقاوَةَ النفاقِ وَالشقاقِ فى الدُّنيا والآخرةِ الحمْدُ لله الذى أذهَبَ عنّا الحَزَن إنّ رَبّنا لغفورٌ شَكُورٌ اللّهُمّ إنا نَسْتغْفرُكَ منْ كُلّ ذَنْب تُبْنَا إِلَيْكَ منْهُ ثمّ عُدْنَا فيه وَنَسْتغفرُكَ ممّا وعدنَاكَ به من أنْفُسِنَا ثُمّ لَمْ نُوفِ لكَ بِهِ وَنَسْتَغْفرُكَ مِن كُلِّ عَمَلٍ أَرَدْنَا بِهِ وَجْهَكَ فَخَالَطَهُ غَيْرُكَ وَنَسْتَغفرُكَ من كلِ نعمةٍ أنعمْتَ بِها علَيْنَا فاسْتعَنّا بِهَا على معصيَتِكَ وتَسْتَغْفرُكَ يَا عَلامَ الغيُوبِ مِن كلّ ذَنْبٍ أتَيْناه فى ضيَاءِ النَّهَارِ وَظلامِ الليْلِ فى خَلاءٍ وَمَلاءٍ وَسِرٍ وَعَلانِيَةٍ فاغفرْ لَنَا فانّهُ لا يغفرُ الذّنُوبَ إلا أنْتَ الحمدُ لله الذى تَوَاضَعَ كُلُّ شئٍ لعظَمَتِه والحمْدُ لله الذى ذَلّ كُلُّ شئٍ لقُدْرَتِه والحمد لله الذى خَضَعَ كلُّ شئٍ لملكه واسْتَسْلم كلُّ شئٍ لقدْرَتِه اللهم اجْعَلْنا من العلمَاءِ العَارِفينَ والمشَائخِ المحققِينَ الذِين يُجاهدونَ فى الدُّنْيَا وَيَزْهَدون فيهَا على حُسْنِ حَالٍ اللهمّ إنّكَ تُخْرِجُ المؤمنِينَ مِنْ ظُلَمِ التّدْبِير إلى إشْرَاق نُور التفويضِ وتَقْذفُ بحقِ تثْبِيتِكَ عَلى فَاصِلِ بِاطِلٍ اضرابة فيزلْزِلُ أركانة ويهْدِم بُنْيَانه وقد قلْتَ بل نَقْذِفُ بالحقّ على الباطِلِ فيدْمَغُه فإذاً هو زاهِق اللهم إن نور الإيمَانِ قدِ استغْرَقَ فى قُلُوبِ المؤمنِين وأخمدَتَ أنوارُه نفوسهم وشرحَ ضياؤُه صدورَهُم وملانورُه قلوبَهُم فأبَى لهم الإيمَانِ المستغرق فى قُلُوبهم أن يَسْكُنْ مَعَهُ غَيْرُهُ إن الذين اتقَوا إذا مسّهُمْ طَائفٌ مِن الشّيْطانِ تَذكّرُوا فإذا هُمْ مبصرُون وَقَدْ يدل ذلك على أن أصل أمرهم على وجود السلامة فاجْعَلْنا مِمّنْ سَلِمَ وَنَجاً وَنَجّنَا من الهمّ إنّكَ على كُل شَئٍ قدير اللهم صل على سيدِنَا محمدٍ وعلى ءال سيدنا محمدٍ وبارِكْ على

سيدنا محمدٍ وعلى ءال سيدنا محمدٍ كما صليتَ وباركْتَ علَى سيدَنا إبراهيمَ أنّك حميدٌ مجيدٌ (ثلاثا) اللهم صل على سيدنا محمدٍ عبدِكَ ونبَيكَ ورسولِكَ النبى الأمى وعلى ءاله وصحْبه وسلم (ثلاثا) سبحان اللّه وبحمده (ثلاثمائة) لا إله إلاّ اللّه (ثلاثمائة).

ثم يختتم اللهم أرضَ عن أصْحَابِ رسول اللّه أبى بكر وعُمر وعثمان وعَلى وعن بقية أصحابه أجمعين وعنْ التّابعين لهُمْ ومَنْ تَبعَهُم بإحْسَانٍ إلى يوم الدين اللهم ارحمْنَا وارْحَمْ مَشَايخَنَا وَوَالِدينَا وَمَنْ علّمنَا وَمَنْ لَهُ فَضْل عَلينَا وَمَنْ أحْسَنَ إليْنَا وَأسَاءَ إلَيْه وَمَنْ سبَقَنَا بالإيمَانِ وَاغْفر لَنَا مَغْفرَةً عزْمًا وَلا تَجْعَل فى قُلُوبِنَا غلا للذِينَ ءامَنُوا رَبّنا إنّكَ رَءوف رحِيمٌ جَوَاد كرِيمٌ اللهم أجْعَلْنَا ممّنْ عَرفَ الحقّ فاتّبَعه وعرَف الباطلَ فاجْتَنبَه واجْعَلْنا اللهمّ من شُهَدَاء الحقّ القائمينَ بالقسْط إن اللّه وملائكَتَهُ يُصلُّونَ عَلى النبيّ يَا أيُّهَا الذينَ ءامَنُوا صلُّوا عليْه وسلّمُوا تُسْليمًا صلى اللّه عليه وعلى ءاله وصحْبه وسلّم تسليما (ثلاثا) سبْحَانَ ربّكَ رَبِّ العزّة عمّا يَصفُون وَسَلامٌ عَلى المرسَلينَ وَالحمْدُ للّه رَبِّ العالَمينَ.

حزب الفتح

للشيخ محمد بن عيسى رضى الله عنه

يافتـاح القلوب أنت الله مـولانا	ياستـار العيـوب أنت الله مـولانا
ياغـفـار الذنوب أنت الله مـولانا	يامـفـرج الكروب أنت الله مـولانا
ياعـلام الغـيـوب أنت الله مـولانا	ياحاضـرا لا يغيب أنت الله مـولانا
ياشـفـيق يارفـيق أنت الله مـولانا	ياسميع يابصير أنت الله مـولانا
يامـوجـود ياقـديم أنت الله مـولانا	يامـقلب القلوب أنت الله مـولانا
يارحـمن يارحـيم أنت الله مـولانا	ياجـواد يامـوجـود أنت الله مـولانا
ياقـريب يامـعـيـد أنت الله مولانا	يامـالك الملوك أنت الله مـولانا
يامـالك ياقـهـار أنت الله مـولانا	ياحليم ياكـريم أنت الله مـولانا
ياعـزيز ياحكيم أنت الله مـولانا	ياحى لا يموت أنت الله مـولانا
يامن به العطاء أنت الله مـولانا	يامن له البـقـاء أنت الله مـولانا
يامن لـه الدوام أنت الله مـولانا	ياقـدوس ياسلام أنت الله مـولانا[1]

آداب الذكر:

الذكر ركن هام فى الطريق ولا يؤقت بزمان ولو كانت هناك رخصة فى تركه لنا لها المجاهدون فى سبيل الله حال لقاء العدو **«يا أيها الذين**

---

(1) نقتصر على ذكر أشهر ثلاثة أحزاب للشيخ الكامل ففيها الكفاية إن شاء الله تعالى.

آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثير العلكم تفلحون[1]» وحقيقة الذكر هى المراقبة الدائمة فالذاكر مراقب لا يغفل إلا بقدر غفلته عن الذكر، ومما كتبه ابننا الكريم الارس منصور أبو فارس فى هذا الشأن مؤكداً له: إن الذكر وإن تعددت أوجهه فالمقصود هو مراقبة الله فى السر والعلن، إلى أن يقول: التأمل والتفكر والمناجاة لا تتأتى إلا بعد سكون جميع الجوارح لذكره تعالى.

وللذكر خمسة آداب تسبقه وهى: التوبة والطهارة ولزوم السكون والاستمداد من شيخ الطريقة وأن يرى أن الاستمداد فى الحقيقة من النبى ﷺ.

واثنى عشر أدبا حال الذكر وهى: الجلوس فى مكان طاهر ووضع اليدين على الفخذين وتطييب المجلس ولبس الحلال واختيار المكان الخالى وتغميض العينين وربط القلب بالشيخ والصدق فى الذكر والإخلاص والابتداء بذكر لا إله إلا الله واستحضار معنى الذكر ونفى كل ما سوى الله وما يحبه.

وثلاث آداب عقب الذكر وهى: السكون وكتم النفس ما استطاع ومنع شرب الماء.

ويراعى عموما إن كان الذكر فى جماعة أن يكون على صوت واحد وكذلك يراعى كيفية الحركة حين النطق بكلمة لا إله إلا الله المشرفة فينبغى أن يميل الرأس إلى جهة السرة ويجر (لا) إلى أعلى الرأس ثم يميل بلفظة (إله) نازلابها ويختم (بإلا الله فى اليسار إلى جهة القلب. وكل هذه الاداب فى ملاء أو على انفراد مشروحة بتوسع فى كتب القوم ووصاياهم وقد تفضل الشيخ عبد السلام الاسمر رضى الله عنه بشرحها مفصلة فى الوصية الصغرى فليراجع.

---

(1) الأنفال 45.

خاتمة

أعلم أخى المجتهد فى مرضاة سيدك بلغنى الله وإياك حصن مرضاته الأمين أن حب النبى ﷺ هو الأساس الذى يبنى عليه كل ما ذكرنا فى هذا الكتاب من الأعمال، والمؤدى إلى بلوغ الآمال وهى علامة كمال الإيمان وإشارة الإحسان والقبول والاقبال.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: لأنت أحب إلى من كل شئ إلا نفسى التى بين جنبى، فقال له ﷺ: «**لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه**»، فقال عمر: والذى أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلى من نفسى التى بين جنبى، فقال له النبى ﷺ: «**الآن يا عمر**»، أى الآن كمل إيمانك.

فمحبته واجبة وهى لخيرنا ونجاحنا ويالفرح المؤمن المحب بما رواه أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ من قوله: «**المرء مع من أحب**» فما أكرمها من عطية أصلحت صاحبها فى الدنيا وأفرحته فى الآخرة.

وجاء رجل من الأنصار إلى النبى ﷺ فقال له: والله يارسول الله لأنت أحب إلى من نفسى ومالى وولدى وأهلى ولولا أنى آتيك فأراك لرأيت أنى اموت وبكى الأنصارى فنزل قول الله تعالى: «**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**» النساء 69.

ومات أبو امرأة من الأنصار وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل. أى صغيرة.

فانظر فى خويصة نفسك وابحث لك عن مكان فى زمرة محبيه ﷺ وقد علمت أرشدك الله أنه لا سبيل إلى كمال الإيمان إلا بمحبته ولا طريق سواها للدخول فى معيته، ومهما أتيت بكثرة الأعمال والعبادة إلا وقيل لك أين أنت من إكسير السعادات والخيرات، فاجتهد فى حيازته بإخلاص قبل فوات الأوان ولات حين مناص.

فما بالك وقد جمع ﷺ كافة المعانى الموجبة لمحبته من جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن وعظيم الاحسان والإنعام على أمته ورأفته بهم ورحمته وهدايته وشفقته واستنقاذه لهم من النار وأنه جاءهم بكل خير وكشف عنهم كل سوء، فضلا عما فى محبته من أرباح وفلاح ونجاح وفوائد دنيوية وأخروية، فما أجدر القلوب الحية بأن تميل له وتهواه وتكون طوع بنانه ورهن إشارته وتحت أمره وإمرته.

ومن أحب محبوبا بصدق وافقه فانظر فى محبتك له ﷺ فإن كنت به مقتديا ولأوامره ممتثلا ولنواهيه مجتنباً ولشرعه مؤثرا فإنى أبشرك بأنك من الفائزين بمحبته اليوم وغدا إن شاء الله تعالى.

فعليك بالتخلق بأخلاقه ونصرة دينه قولا وفعلا وكثرة ذكره وتعظيمه والاكثار من الصلاة عليه والشوق إلى لقائه وحب ما أتى به ومحبة سنته وقراءة حديثه وسيرته ومعرفة شيمه وأوصافه وكريم شمائله وألطافه وحب من أحبه

وبغض من أبغضه وإلا يكون فى نفسك حرج مما قضى وتسلم له تسليما. «**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**» لتكون من الفائزين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كذاك لا أحسبنى بحاجة لإعلامك أخى المفضال بعجزى وقصورى وضحالة علمى وضآلة فهمى فى المتناول الميسور من أبواب العلم فما بالك بالكتابة عن أهل الله وخاصته الذائدين عن محجته الداعين إلى شرعته فإن وجد منى خطأ أو زلة أو نسيان فلتعذرنى ولتبادر إلى إصلاحه بعد التروى والتحقيق مثابا مأجوراً إن شاء الله تعالى فقد تحدثت على قدرى الصغير القليل لا على قدرهم الكبير الجليل.

وألا يحرمنى قارئ هذا الكتاب بركة دعائه بالعفو عن تقصيرى وتفريطى والمغفرة والتجاوز عن سيئاتى والمعذرة لى ولكل من احبنى واحببته.

وختاما وقد آن للقلم أن يذوق طعم الخمول بعد أن كاد يتفطر من هول ما خط، فإننى استودع الله الذى لا تخيب ودائعه الحائز لهذا الكتاب داعيا الله تعالى أن تكون أعمالى وأعماله خالصة لوجه الله الكريم وأن ينفع به مطالعه وسامعه ومقتنيه والعامل بما فيه وأن يحشرنا فى زمرة نبيه العظيم ﷺ، وأن يجعل علمنا وعملنا قبولا وإقبالا لاحجة علينا ووبالاً وأن يغفر لنا من الأقوال ما خالف الأفعال ويطهرنا من كل وصف ذميم ويتحفنا بكل حميد كريم ويذيقنا برد عفوه وينورنا بمعرفته ويعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته نحن وكل ما قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. آمين

درنه 16- 4- 1992م

أحمد سالم اكريم
القطعانى

مناجاة

حبيسة اطلقتها الكتابة عن الشيخ ابن عيسى سميتها الأنيسة

هو ذا العذول يلملم فلول جيشه المدحور ويمتطى جواده الأدهم المسجور موليا ظهره لراكب الأبيض المنصور، وهناك فى كهف الحقيقة حيث الرقيم وأهل الصفة الدقيقة يفترشون الوصيد ويديرون بينهم سلاف بكر عجوز غربت عنها الشموس وأشرقت بشذا ريحها النفوس.

إذ هبط روح أمين على القلب وتربع فى يمين لمته لاشرق ولا غرب وقال بواضح حجته بلا وصب ولا نصب:

انتصب باعبد بين يدى سيدك فقد دعاك إلى مناجاته واغتنام فيض هباته فى محل قربه حيث ما من بعيد عنه أو قريب إلا من حكم إثباته له فى قربه وإبعاده، فأجابه الفؤاد: حنانيك بالسمع لك والطاعة لبيك وسعديك.

فخلعت النعلين وطفق اللسان يتحدث عنه به بلامين:

سبحان من دلت عليه القلوب والقوالب وسلكت إليه الدروب والدرائب فإن تبعت الأشخاص الظلال وعبر عنها أهل المقال وقالوا: هى له تسجد بالغدو والآصال، سجد ذوو الحال للملك المتعال بالأقوال والأفعال والأحوال.

هادى القلوب إليه سبلا وجاعل الملائكة رسلا، حير السر فى مشاهدة عظمته وأناره بعزة أحديته، ما وسعته أرضه ولا سماؤه ووسعه القلب المؤمن المشهود له بالعبودية لجلاله، وسع كرسيه السموات والأرض ووضع فيه ميزان الرفع والخفض بعدله وإن من شئ إلا يسبح بحمده.

أصم من سمع غيرك، أخرس من نطق بسواك، أعمى فى ركن إلى ما عداك، وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى ما الحق شيئا، لاغير لا سوى فى حقيقة اضمحلال الأفلاك فالكل بك أتاك وإليك نفر مزدلف مستجير لائذ بحماك.

ابيضت عيناى يا خير مطلوب ويوسف الحسن يتيه فى دل جماله المحبوب ألا من قميص بشارة يلقى على يعقوب ليرتد بصيرا فما عاد يطيق صبرا عن محبوب عن المثال والشبيه تنزه وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا.

وذاك نمروذ اختيارى مصر على رميى فى حر نار التدبير والبين ونوحى ينوح على ظهر السفين وإدريسى يدرس وعزيرى يعاين نشز العظام وكسوها لحماً وبعثها فى العالمين وكليمى ألقى الالواح وأخذ برأسى ولحيتى وشمت بى الأعداء وأنا منه أسن بمئين ولو نظر فى ألواحه لوجد القرآن المبين، ربى لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين، ومن علىّ بيحيى لأحيا وأخرج يونسى من الظلمات لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

فهرس

الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب :

٩٢/٤٨٨١

I . S . B . N

977.5336.00.7

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله واصحابه واتباعه ومن والاه

وبعد

فما أجدر القلوب النقية والعقول الذكية فى خضم عصر المادة وطغيان بهرجها الزائف بأن تستظل بين الفينة والاخرى تحت وارف ظلال الايمان وتتذوق معانى أهل المعرفة والايقان.

وانطلاقا من شرف حمل مشعل المعرفة وراية الثقافة وجعلها فى متناول راغبيها تتقدم دار الكتاب الليبى للطباعة والنشر والتوزيع ومكتبة جمهورية مصر إلى روادها الكرام بهذا الكتاب القيم عن أحد أكبر علماء الإسلام فى المغرب العربى وهو الشيخ.

محمد بن عيسى

الذى قيل فى حقه كل الأولياء شربوا من بحر النبى ﷺ والشيخ ابن عيسى غرق فيه.

ونحمد الله الذى وفقنا لاخراج هذا الكتاب المبارك بهذا الثوب القشيب واهداءه للقارئ الكريم واضافة لبنة جديدة فى اطار مسيرتنا العلمية المشتركة.

الناشران

دار الكتاب الليبى
حسن الفراز
ش. العقيب بنغازى
ليبيا

مكتبة جمهورية مصر
حمدى عبد الفتاح عبد الحميد
ش. الباب الاخضر الحسين
القاهرة

الثمن 3 جنيه